

في كل مقالة لذة دائمة

يونيو ١٩٤٦

اقرأ فى مختار يوليو ١٩٤٦

سكينة النفس : لقد أنعم الله على كثير من الناس ، بالذكاء ، والمال ، والشهرة ، ولكنه لم يهب سكينة النفس إلا لقليل ممن هيأهم لإدراكها . وهذا مختصر كتاب من أنفع الكتب التى نشرت فى هذا العام ، وأمتعها .

حياة « إيفان الخيف » وحبه : انسان صغير ، لا تكاد تحسبه إلا مخلوقاً من البشر فى جميع الأحوال ، فى مأكله ومشربه ، وحبه وزواجه ، وفى حزنه على زوجته التى فاضت روحها حين جاءها المخاض .

كيف نفهم الروس : خلاصة أحاديث لجماعة من الخبراء ، تهيؤهم تجربتهم ومنزلتهم لإبداء الرأى فى أعقد مشكلة فى العصر الحديث ، هى فهم الروس .

أنا وحدى : أعظم مغامرة فى تاريخ الارتياد على مر العصور . رجل يقيم وحده مختاراً وهو فى ظلمات القطب الجنوبى ، ليقوم بأبحاث علمية متعددة نافعة ممتعة ، يصف فى هذا الكتاب التجارب العجيبة التى مرت به إلى أن جاء يوم إنقاذه .

علموا أولادكم الحياة : سلسلة جديدة .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 34, JUNE 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة [illegible] — وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : ألفرد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٤ — شارع القاصد بالقاهرة ، تليفون : ٤٢٢٦٤

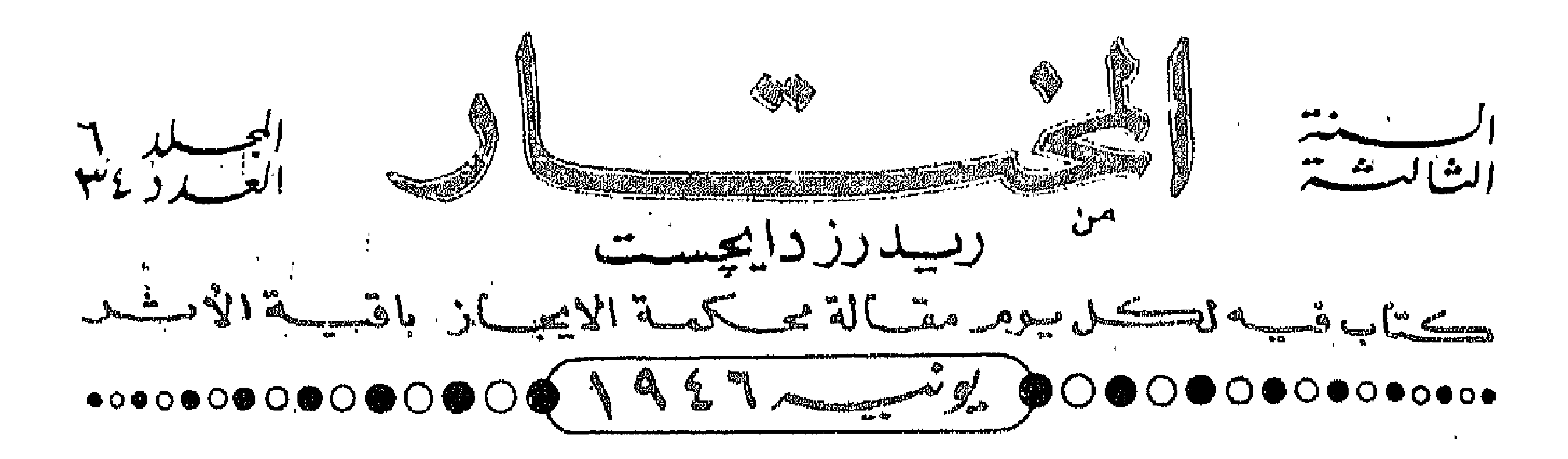
المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون



سر النقط الصغيرة التى اخترعها أستاذ من أساتذة الجاسوسية الألمانية ، وزعم أن سرها لن يفضح .

آية التجسس الألمانى

ج . إدجار هوفر
رئيس قسم المباحث فى الحكومة الأمريكية

فى صباح يوم من أوائل شهر يناير ١٩٤٠ وقف مسافر أمام حاجز سفينة وهى تدخل ميناء نيويورك ، وكان مرشد الميناء وسائر الموظفين قد صعدوا لساعتهم إلى متن السفينة ، فدنا أحدهم من المسافر الواقف أمام الحاجز دون أن يراه أحد وقال :

« سيكون اسمك ت . س . جنكنز . اذهب من فورك بعد النزول إلى فندق بلفوار ، وانتظر فى حجرتك » .

وفى المساء سمع جنكنز ، بعد أن انتظر ساعات ، صرير مفتاح فى قفل ، وفتح الباب فى الجناح المجاور له فتحاً رفيقاً ، ودخله رجلان من رجال مكتب المباحث فصافحهما جنكنز — وكان هو نفسه من أعوان قسم المباحث — وجعل من فوره يلقى عليهما بياناً خطيراً قال :

« كنت طالباً فى مدرسة الجاسوسية النازية ، فى معهد كلوبستوك بمدينة همبورج ، وقد تخرّج الفوج الذى كنت منه منذ أسبوعين . وقد ألقى علينا الدكتور هوجو سيبولد ، مدير المدرسة ، خطبة وداع قال فيها :

« إن أعظم مشكلات الجواسيس الألمان فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية هى كيف يظلّون متصلين بنا . وقد لقينا من الأمريكيين الأمرّين ، على أنه لن يمضى زمن طويل حتى نصير قادرين على تبادل الرسائل فى طول الأرض وعرضها دون أن نعبأ

بأحد . وليس فى وسعى أن أبين لكم سرّ الطريقة اليوم ، ولكن تنبهّوا إلى النقط — نقط كثيرة ... وكثيرة » .

ثم قال جنكنز : « وقد أرسلتُ إلى أمريكا ومعى الأوامر الصادرة إلىّ ، وهذا هو كل ما أمرتُ به » .

ويوم وصل جنكنز كان رجالنا قد هتكوا الستر عن كلّ وسيلة جديدة توسّل بها الألمان واليابانيون لتبادل الرسائل السرّية . وهذا يفسّر لِمَ جُنِّبنا الكوارث فى مصانعنا . فقد عرفنا رُسُلهم ، وتتبعنا العناوين التى ترسل إليها رسائلهم ، وفككنا رموزهم الخفية ، وحللنا ضروب الحبر السرى التى استعملوها ، وكشفنا مخابىء أجهزتهم اللاسلكية المذيعة ، واستعملنا بعضها أحياناً لأغراضنا وهم لايعلمون .

وقد سرقنا مرة علبة عيدان الثقاب من جيب جاسوس ، وكان أربعة من هذه العيدان تشبه كلّ الشبه سائر العيدان ، ولكنها كانت فى الحقيقة أقلاماً صغيرة تكتب كتابة خفية ، ثم تظهر الكتابة بعد معالجتها بمحلول مصنوع من عقار نادر . وقد كشفنا هذا الجهاز الذى يكاد يشبه مايلفّقه خيال الروائيين ، كما فضحنا سرّ رسائل تسجل على أفلام دقيقة ، وتلف على بكر تحت الخيط ثم تخاط فى كعوب المجلات . وكان من هذه الأفلام فلم مدسوس فى جوف خزان الحبر فى قلم ، فلم يكن لنا بدٌّ من كسر القلم والخزان لاستخراج الفلم .

ويوم نزل ساحل أمريكا ثمانية من الرجال المدربين على تخريب المصانع وغيرها ، كان معهم مناديل كتبت عليها القيادة الألمانية العليا بحبر خفىّ أسماء شيعة النازيين فى الولايات المتحدة . وقد استخرجنا من كعب حذاء مصنوع من المطاط صورة فوتغرافية لتصميم جهاز نجاةٍ صُنع للغواصات الأمريكية .

فقد كشفنا جميع هذه الوسائل وغيرها ، ولكن تلك « النقط ، النقط ، النقط » ما خبرها ؟ وكانت خطوتنا الأولى أن دعونا عالماً طبيعياً شاباً من علماء معاملنا ، وكان قد قام ببحث محكم فى التصوير الضوئى الدقيق بالألوان ، فعهد إليه أن يتولى تجارب قائمة على آراءٍ رآها رجال مكتبنا فى أسرار الزعم الذى ادّعاه سيبولد . وفى أثناء ذلك كان كل رجل من رجالنا يبحث باهتمام عظيم عن دليل ما يفضى به إلى سرّ هذه النقط التى لم يكشف أمرها بعد .

وفى يوم من أيام أغسطس ١٩٤١ لقينا مسافراً شاباً ساعة وصوله من البلقان ، وكنا نعلم أنه من الشباب العابث وابن غنى كبير ، وكان هناك ما يحملنا على الظن بأنه

جاسوس ألمانى ، ففحصنا أمتعته فحصاً دقيقاً من فرشة الأسنان والأحذية ، إلى ملابسه وأوراقه . وأمسك أحد رجال معاملنا بظرف أمام المصباح بحيث يقع الضوء على سطحه منحرفاً ، فإذا هو يرى شيئاً دقيقاً يلمع أمامه . فهذه نقطة عكست الضوء . نقطة — علامة ترقيم مكتوبة فى مقدمة الظرف ، دقيقة سوداء صغيرة لا تزيد مساحتها على أثر من وَنِيم ذبابة .

فترفق صاحبنا بألطف الرّفق لما أراد أن يمسّها ، فأخذ إبرة ودسّها تحت حافة هذه الدائرة السوداء وزحزحها قليلا . لقد كانت نُكْتَة من مادة غريبة أقحمت على ألياف الورق ، حيث ظهرت كأنها نقطة من نقط الكلام المطبوع ، ثم كبرت بالمجهر مئتى ضعف ، فتبين لنا أنها صورة فلم صوِّرت عليه رسالة كاملة مكتوبة بالآلة الكاتبة . وقد كانت رسالة جاسوس يبعث نصها القشعريرة فى البدن وهذه هى :

« هناك ما يبعث على الظن أن البحث العلمى للانتفاع بطاقة نواة الذرة يسير قُدماً فى اتجاه معين فى الولايات المتحدة ، وبعضه قائم على استعمال اليورانيوم ، فينبغى أن توافونا بكل نبأ عن هذه التجارب ولاسيما :

١ — ما الطريقة التى تستعمل فى الولايات المتحدة لنقل اليورانيوم الثقيل ؟

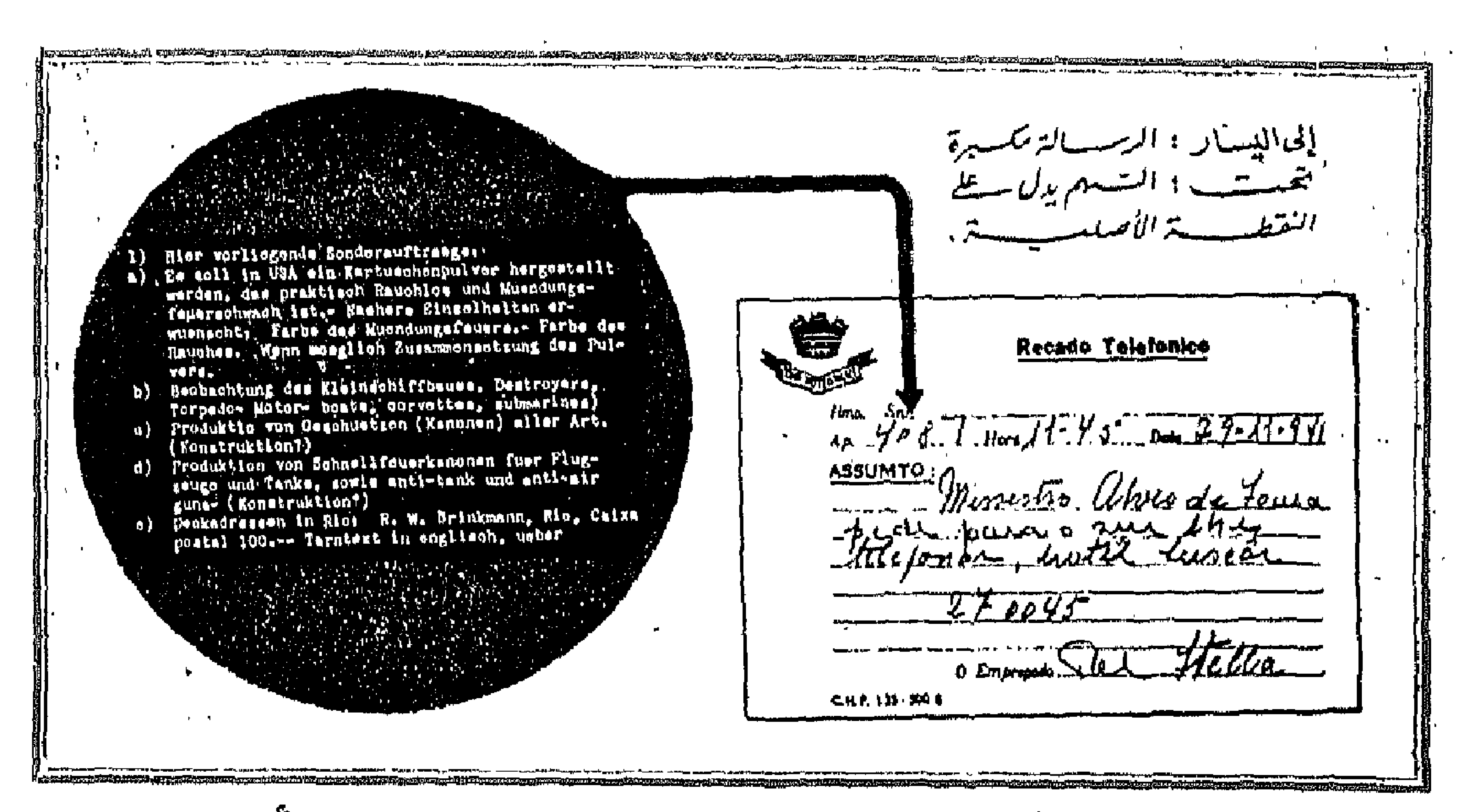
٢ — أين تجرى تجارب اليورانيوم ، فى الجامعات وفى معامل الشركات الصناعية وسواها ؟

٣ — ما الخامات الأخرى التى تستعمل فى هذه التجارب ؟ لا تعتمدوا فى الإجابة إلا على أوثق الخبراء .

الآن ظفرنا بما نريد ! فقد عثر قسم التجسس الألمانى على طريقة لتصغير رسالة كاملة بالتصوير الضوئى حتى تصير نقطة دقيقة.

كان صنع هذه النقطة الدقيقة بارعاً كل البراعة ، نافعاً كل النفع ، فقد كانت تماماً كالنقطة التى تطبع بالآلة الكاتبة أو بالمطبعة فى آخر الجملة . ولقد كان فى جيب هذا الجاسوس البلقانى ، مثلا ، أربع ورقات من ورق البرقيات تحتوى على أوامر للجواسيس مفرغة فى نقط كالنقط التى فى آخر الكلام . وكان عددها إحدى عشرة نقطة دقيقة فى الأوراق الأربع . ووجدنا قطعة دقيقة من الفلم ملصقة تحت أحد طوابع البريد ، وكان فيها صور ٢٥ صفحة كاملة مطبوعة بالآلة الكاتبة .

فعلمنا يومئذ أن الشاب البلقانى العابث قد تلقى أمراً بأن لا يقتصر فى عمله على



إلى اليسار : الرسالة مكبرة
تحت : السهم يدل على
النقطة الأصلية .

استقصاء مشروع القنبلة الذرية وحسب ، بل أن ينبىء رؤساءه كل شهر بما نصنعه من الطائرات وما يرسل منها إلى بريطانيا وكندا واستراليا ، وعدد من يدرب من الطيارين الأمريكيين . فلما سئل تجاهل وتظاهر باللطف والمودة ، ولكنه يوم أدرك أننا قد اطلعنا على سر النقط ، باح بكل ما عنده .

كان قد درس على الأستاذ زاب المشهور الذي اخترع طريقة صنع النقط الدقيقة في المدرسة الفنية بمدينة درسدن ، فقد كانت رسائل الجواسيس تطبع أولاً على أوراق مربعة ثم تصوّر بآلة تصوير دقيقة كل الدقة ، فتصغّر الورقة الواحدة إلى حجم طابع بريد ، ثم تصور مرة أخرى بوساطة مجهر مقلوب ، فتصبح نقطة لا تكاد ترى ، وتظهر على لوح زجاج يغشاه غشاء كثيف من مستحلب سرى . وبعد أن تظهر الصورة السابقة تدهن بمحلول الكولوديون ، حتى يمكن رفع الغشاء عن لوح الزجاج ، ثم يعمد العامل إلى جهاز غريب أشبه ما يكون بالحقنة التي يحقن بها تحت الجلد ، فيقطّ طرف الإبرة ، ثم يسنّ الطرف المقطوط ، ثم يضع هذا الطرف المسنون على الغشاء ويضغط فتقصّ النقطة منه ، ثم يرفعها .

ثم يختار من الرسالة مكاناً توضع فيه النقطة ، فيحك سطح الورق حكاً خفيفاً بإبرة ، ثم تدس النقطة في الورق بالجهاز الذي يشبه الحقنة ، ثم تستعمل إبرة أخرى دقيقة لإرجاع ألياف الورق المحكوكة إلى مكانها ، وأخيراً يمسح هذا المكان بقليل من الكولوديون لكي تتماسك ألياف الورق .

وقد تمكن زاب بعد ذلك من تبسيط

طريقته وتيسيرها ، فقد صنع خزانة لا تزيد على حجم حقيبة محام تتم فيها معظم هـذه الأعمال بطريقة آلية . ثم صنعت هـذه الآلات صنعاً واسع النطاق ، وأرسلت إلى الجواسيس الألمان فى أمريكا الجنوبيـة .

وكان المستحلب السرى يرسَل إليهم فى مواعيد محددة ، وكان الجواسيس الألمان فى أمريكا الجنوبية يحملون جهراً عجيباً يسهل طيّه ، فيمكنهم من قراءة هذه الرسائل .

ولست أظن أننا سنكشف اللثام يوماً ما عن الطريقة التى مكنتنا من أن نتبين ونضبط مئات من الرسائل التى كتبت فى أمريكا الجنوبية على طريقة النقط الدقيقة ، ولكن فحص هذه النقط الدقيقة فحصاً مستمراً مكننا من أن نطلع كل يوم على أعمال جماعات شتى من الجواسيس ، وقد كان نشاطهم لا يفتر . فتراهم يجمعون الحقائق عن حركة السفن فى قناة بناما ، وعن ضعف باب أحد خزاناتها ، وعن مبلغ ما دُمر من الزيت المخزون يوم أغار اليابانيون على برل هاربر . وكانت الرسـائل تتوالى عليهم من برلين تحثهم على زيادة ما يرسـلونه إليها . وقد وجدنا فى ملابس جاسوس ورقة عادية من أوراق فندق عليها رسالة تلفونية ، وكانت بريئة لا تثير شبهة ، ولكن الكلام المطبوع على تلك الورقة كان يحتوى على نقطتين ، فلما كبّرناهما تبينا أن فيهما عدة رسائل ، بينها الرسالة التالية :

« أوامر خاصة :

« نُمى إلينا أن باروداً لطلقات البنادق يصنع الآن فى الولايات المتحدة ، وأنه يكاد يكون بلا دخان ، وأن ناره الخارجة عن فتحة القناة ضعيفة . فوافونا بالتفاصيل : لون النار عند فتحة القناة ، لون الدخان ، وبتركيب البارود إن استطعتم » .

ج . إدجار هوفر

وقد كان اليابانيون يستعملون هـذه النقط فى رسائلهم . ففى ١٢ فبراير ١٩٤٢ أرسلت رسالة من طوكيو إلى ملحق بحرى يابانى فى جنوب أمريكا ، وكانت مكتوبة بطريقة النقط الدقيقة ، وكانت النقطة مدسوسة فى ظرف رسالة مرسـلة إلى عنوان فى البرازيل ، وكان رقمها ٩٠ فى سلسلة من الرسائل خصصناها برقابتنا . وإليك نص الرسالة :

« إذا كان الاتصال مع « ك » مستحيلا فأرسـل « ا » أو من ينوب عنه إلى الأرجنتين ، لينشىء اتصالا مع الملحق البحرى هناك » .

وقد كان « ك » جاسوساً بحرياً يابانياً مشهوراً

وكان بعض الجواسيس يلفقون رسائلهم عسى أن يخدعوا بها رؤساءهم فيظنوا أنهم على صلة بأوثق المصادر المطلعة ، وكانوا كثيراً ما ينقلون أنباء عن الصحف والمجلات. وقد أرسلوا بين ٣٠ يناير ١٩٤٢ و ٥ فبراير ١٩٤٣ ستّ عشرة رسالة نقلت أنباؤها من مجلة « تايم » واثنتين وسبعين رسالة نقلت أنباؤها من مجلة « نيوز ويك » ولكن الألمان فى البرتغال كانوا يشترون المجلات الأمريكية من البحارة المحايدين . وقد دفع أحدهم ٢١ ريالا ثمناً لنسخة واحدة فيها أنباء حربية ، فانفضح سر الجواسيس الذين ينقلون أنباءهم عن الصحف ، فجاءهم الأمر من ألمانيا : « لسنا نطلب أنباء منشورة » .

وقد ألقى القبض على جواسيس كثيرين ، وخرّبت أوكار جماعات منهم لأننا نفذنا إلى سرّ النقطة الدقيقة . وفى أحد الأيام عرض فى رسالة ذكر امرأة مقيمة فى مدريد ، ففحصنا مجلدات فهارسنا التامة المتقنة ، فأسفر عن أنها أرسلت منذ سنوات حوالة مالية برقية إلى رجل فى أمريكا ، ووجدنا أن هذا الشاب يقضى وقته متسكعاً فى وشنطن ، وأنه كان شديد الكلف بفتاة أمريكية ، وكانت هذه الفتاة قد التحقت بمجندات الجيش ونقلت إلى ساحل أمريكا على المحيط الهادى . فأمرت بأن تعود إلى وشنطن ، ولم يكد ينقضى ربع ساعة على وصولها ، حتى كانت فى قسم المباحث .

سُئلت : أتعرف هذا الرجل معرفة وثيقة ؟ فقالت إنه كان متدلهاً فى حبها ، ولكنه كان كثير الهم شديد التكتم ، فنفرت منه فقطعت مراسلته . فعرضنا الأمر عليها عرضاً واضحاً صريحاً ، فقد كنا فى حاجة إلى طريق ننفذ منها إلى دخيلة فكره . فهل ترضى باعتبار أنها جندى فى الجيش الأمريكى ، أن تحاول أن تستطلع أمره لتعلم هل هو من الأعداء ؟

ودُبّر الأمر حتى تلقاه اتفاقاً فى الشارع ، فانطلت الحيلة عليه ، وفرح فرحاً عظيما أنْ رآها ثانية ، وظلت خلال الشهر التالى تمثل دور « دليلة وشمشون » تمثيلا باهراً. واليوم ترى هذا الجاسوس رهين السجن ، لأنه ثرثر لها عن تجسسه معتقداً فى غروره أنها ، لشدة هيامها به ، ترضى أن تصبح شريكة له .

وعلى هذا يسير العمل : إنتظر حتى تتاح لك فرصة أو يؤاتيك التوفيق ، ولابد لخصمك من أن يرتكب خطأ يوماً ما . والخطأ فى هذه الحادثة الأخيرة، إنما كان ذكر

السيدة التي تسكن مدريد في الرسالة الخفية.

وأهم تقنية نفذنا إلى سرها عن طريق معرفتنا أسلوب النقط الدقيقة كانت في بلد في أمريكا الجنوبية ، حيث وجدنا رسائل كثيرة من ضروب مختلفة من النـاس ، وكانت كل واحدة منها مملوءة نقطاً دقيقة مرسلة إلى برلين . وكانت رسائل غرام ، ورسائل عمل ، ورسـائل إلى الأهل ، وكانت تبدو بريئة من الشبهة ، ولـكن النقط الدقيقة المدسوسة فيها كانت ذات صلة بنسف سفن المحور المعتقلة في موانىء أمريكا الجنوبية، أو تحوي تفاصيل عن إنتاج الحرب. وكانت الرسائل مختلفة الخط ، أو مطبوعة على آلات كاتبة شتى ، ولـكن النقط الدقيقة التي كانت مدسوسة فيها ، صنعت جميعـاً بآلات واحدة ، وكانت التوقيعات كلهـا بخط واحد لا يتغير . لقد أعدتها إذن هيئة واحدة . ثم جاء اليوم الذي ألقي فيه القبض على رجال حلقة محكمة من جواسيس النازي في مدن أمريكا الجنوبية ، وقد تولت سلطات الجمهوريات الأمريكية ذلك العمل ، يعينها رجال مكتبنا .

وكل ما تقدم ليس سوى أمثلة قليلة على ما أبطلناه من تدبير الألمـان واليابانيين ، لأننا ظفرنا بنبأ هدانا إلى سر النقط الدقيقة. ويرجع الفضل فيه إلى جاسوس من رجالنا اندس بين طائفة الجواسيس الألمان الذين خرجهم سيبولد أحسن تخريج .

OO·OO·✫✫·OO·OO

من آيات أوسكار وايلد

- قال لرجال الجمـارك وهو داخل إلى أمريكا : « ليس لدي ما أطلعكم عليه ، سوى عبقريتي ! » .
- إنما خلقت المرأة ليحبها الرجل ، لا ليدرك كنهها .

أسلوب الوقاية

للكاتب المسرحي فيرنك مولنار أسـلوبان في التخلص من الزوّار الذين لا يرغب في رؤيتهم ، فتقول سكرتيرته لبعضهم : « يؤسفني أن المستر مولنار ليس هنا » . ولـكنها تقول للبعض الآخر الذي ينقم عليه مولنار أشد النقمة « يؤسفني أنه ليس هنا » ، ثم تضيف : « فقد انصرف منذ دقائق فإذا أسرعتم أدركتموه في الشارع » .

إذا أقبل طالب العمل بفكرة جديدة ، فقد ميز نفسه عن معظم طلابه ، ومهد لها النجاح .

إبتكر لنفسك عملاً

جيمس د. وولف

مختصرة من "كسلتز" فورسيت"

إذا لم يكن لدى صاحب العمل مكان معين لطالب العمل ، فالغالب أن أن يصرفه بقوله : « آسف فإننا لسنا الآن فى حاجة إلى أحد » .

فإذا وقع هذا لك فلا تنسَ أن صاحب العمل قد يكون مخطئاً ، فإن ثمة عملا فى أغلب الأحيان ينتظر امرءًا واسع الخيال يأتى ويخلقه لنفسه .

وقد تعلمت هذا الدرس فى صباى ، إذ كنت تواقاً أن أكسب شيئاً من المال، فسألت أصحاب محال المرطبات المثلوجة الثلاثة فى بلدى، عملا كائناً ما كان ، ولكن لم يكن ثمة عمل ، غير أننى وجدت بعد أسبوع أن أحد هذه المحال استخدم ولداً جديداً . فاستجمعت شجاعتى وسألت صاحب المحل عن سبب ذلك .

فقال لى : «أجل ، وسأخبرك يا بنى . فلم يكن يدور بخلدى أن لدى عملا عندما سألتنى، غير أن «فريد» أتانى بفكرة جديدة . كان عنده دراجة فعرض علىّ فكرة حمل المرطبات إلى الزبائن ، وأنه على استعداد أن يوزعها بدراجته . وهذه فكرة جديدة فى هذا البلد ، وسيكون لها شأن » .

وكانت لدىّ دراجة أنا أيضاً ، ولكن كان لدى «فريد» شىء آخر لم يكن عندى — هو الفكرة .

كان هذا شأن أحد أصدقائى وهو رئيس تحرير قسم الألعاب الرياضية بإحدى صحف بنسلفانيا اليومية الكبرى ، فقد هيأ لنفسه بتفكيره أول عمل تولاه . كان يتوق أن يصبح صحفياً ، ولكن الصحيفة الوحيدة فى بلده الصغير لم تقبله ، فأخذ يدرس تلك الصحيفة وينقب عن مواضع الضعف فيها . واستقر قراره أخيراً على أنه ينقصها باب للألعاب الرياضية، وأنها لا تتضمن من أنباء المزارع والزراع إلا النزر اليسير .

وعاد الشاب بعد سبعة أيام إلى صاحب الصحيفة يحمل إليه فكرتين وبعض مقالات مكتوبة تأييداً لقوله ونموذجاً لما يقترح . وكان الأسبوع حافلا بالمباريات الرياضية : مباريتان لكرة القدم ، ومباراة لقذف الأقراص ، وسباق للخيل يوم سوق البلد .

وناول رئيس التحرير مقالا مشوقاً عن هذه المباريات كمثال لما يكتب فى باب الألعاب الرياضية . ثم عرض عليه باباً آخر بعنوان « حوادث المزارع » ضمنه مجموعة من الأخبار استقاها من المزارعين فاستخدمه صاحب الصحيفة لساعته .

واستطاع شاب عاد أخيراً من الحرب أن يهيء لنفسه عملا بدأ به حياته . كان ميكانيكياً ماهراً عرض خدماته على صاحب مصنع إصلاح السيارات فلم يكن ثمة عمل ، بيد أنه لم يفقد الأمل فقد اختمرت فى رأسه فكرة : عرض على صاحب المصنع أن يعاون فى العمل دون أجر ، وقال الرجل أن لا مانع .

وكان للمصنع سيارة واحدة للإصلاح ، فكان المحل لا يجيب طلبات كثيرين من أصحاب السيارات التى تعطلت فى الطرق . فأتى الشاب بموتوسيكل قديم له صندوق على جانبيه ، فملأه بالأدوات اللازمة لأعمال الإصلاح المستعجلة . فسر صاحب المصنع وأعطى هذا العامل المجاهد عملا يدر عليه ربحاً وفيراً .

فكرة بسيطة ؟ قد تكون كذلك ، ولكن تدبَّر هذه الحقيقة : فقد ظللتُ ثلاثين عاماً أو تزيد مديراً لشركة إعلانات قابلت خلالها ما لا يقل عن ٥٠٠٠ شخص يبحثون عن عمل ، فلم يكن بينهم أكثر من خمسين تقدموا بأى فكرة تتصل بالمسائل التى كنا نتحدث بشأنها .

وعليك عند ما تنقب عن فكرة أن ترقب بعين ناقدة تلك الأعمال التى لا يحسن الناس القيام بها . فإن قلة اهتمام الآخرين بأعمالهم قد تفتح لك آفاق النجاح . خذ مثلا قصة ذلك الرجل الذى بدأ حياته بائعاً للصحف فى باترسون بنيوجرسى ، فقد لاحظ أن الأولاد الذين يوزعون إعلانات المحال التجارية يلقون بها فى الشوارع فى غير احتفال ، حتى أن جلها يضيع على الناس .

وسأل الغلام نفسه : « لعل التوزيع يكون أجدى لو سلم كل إعلان لربة المنزل يداً بيد على الباب » ، وراح بهذه الفكرة إلى رجل أوشك أن يفتح متجراً جديداً فظفر بعمل ، هو توزيع إعلاناته .

وقضى الغلام أربعة أيام يوزع إعلانات كان غيره من الأولاد يوزعها فى يوم واحد . وفى صباح يوم الافتتاح تكاثر المشترون على المتجر حتى غص بهم ، وكاد يضطر لتغليق الأبواب . واستخدم الغلام. وبعد أربعة أشهر ، كان الغلام فى سن السادسة عشرة ، فعرضوا عليه أن يدير متجراً آخر من سلسلة المتاجر التى يملكها صاحب العمل . وهذا الغلام بائع الصحف

هو اليوم ت . ج . جراسى مدير متاجر «جريت إيسترن» المشهورة ، ويبلغ عددها ٦٣ متجراً .

واجعل من عادتك أيضاً أن ترقب كل فكرة غريبة يستخدمها الآخرون بنجاح . ألق بالك أيضاً إلى الإعلانات المنشورة فى صحفك المحلية ، فقد تجد فيها مناحى جديدة لتحسين العمل فى المتاجر .

وستجد أيضاً كثيراً من إعلانات الأعمال الناشئة ، وقد تجد فى مواهبك ما يلائم أحد هذه الأعمال .

وثمة ينبوع فيّاض للفكر الجديدة فى المجلات الصناعية ، ومهمتها أن تنشر الفكر الجديدة وتطوراتها . وتزخر هذه المجلات بالطرق المثلى لعمل كل شىء . وأصحاب العمل والمديرون لا يكادون يفرغون للبحث عن الفكر المستحدثة فى هذه المجلات الصناعية . وإن طالب العمل الذى يتجلّى فيه من النشاط والإقدام ما يستطيع بهما أن يستخرج هذه الفكر ويضعها موضع التنفيذ ، لن يلبث حتى يجد أذناً تصغى إليه .

وإن سرعة تطور المخترعات الجديدة : كالرؤية عن بعد ، والأجهزة الكهيربية ، وتكييف الهواء ، والطيران المدنى ، وتجميد الطعام وما إليها — كل ذلك ميدان واسع لأصحاب الخيال والهمة والابتكار . فإن طالب العمل اليوم يجد حواليه مشاكل جديدة تنتظر من يحلّها ، ومشاكل قديمة تنتظر من يحلّها حلا خيراً من حلها القديم . وإن حاجات عالم ما بعد الحرب التى لا تنفك تتغير ، تنادى طالب العمل ، فعليه أن يصيخ إلى ندائها ويعى ما تقول .

حكمة أستاذ

يوم أتممت دراستى العالية فى الجامعة ، عرض علىّ منصب تدريس فقبلته ، فذهبت إلى أستاذى الحكيم وليم ترنت لأودعه فقال : « لا أستطيع أن أزوّدك بآراء العلماء فى أساليب التدريس ، ولكننى أستطيع أن أطلعك على شىء عرفته بالتجربة . فقد يتفق لك وأنت تحاضر أن ترى أحد الطلبة يهزّ رأسه هزًّا عنيفاً ليدل على أنه غير راض عما تقول . وقد تغريك حركة رأسه بتعنيفه أو بمحاولة إقناعه ، فخير لك أن لا تفعل ، فربما كان هو الطالب الوحيد فى الفصل الذى ينصت إلى ما تقول » .

[جون إرسكين]

هكذا تكون المجاعة

جون فردريك ميهل*

مختصرة من مجلة "آسيا والأمريكان"

عادت المجاعة تجتاح العالم ، ففى أوروبة ١٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الناس ليس لديهم مايكفى لغذائهم، وفى الصين ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠، وفى جنوب شرق آسية ١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ، والهند تهددها المجاعة . ونحن ننشر هذا المقال المؤثر لمشاهدات جندى فى المجاعة الكبرى التى اجتاحت بلاد البنغال ، فى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ إنذاراً بما يتهدد العالم من بلاء فى سنة ١٩٤٦

كاد الظلام يرخى سدوله حين هبطت طائرتنا مطار كلكتا ولما تمض ثلاث ساعات على قيامنا من جبهة برما ، فتنفست الصعداء إذ « خلصنا » أخيراً ، فقد كرهت نفسى شعاب الغاب الرطبة ، وعافت أكل لحم العلب المنتن .

فلما نزلنا كلكتا فى تلك الليلة لم نكد نصدق أعيننا ، فقد كان ثمة صابون وماء ساخن للاستحمام، وكانت ثمة مطاعم وفنادق يقدم كل منها لروّاده مجموعة مختارة من اللحوم والفطائر والمثلجات .

بيد أن كلكتا كانت كذلك بلداً يخيم عليه الجوع والموت ، فلم يك ثمة أرز أو ذرة لسكان أحيائها الوطنية الممتدة الأطراف ، أو لطائفة الشحاذين والمنبوذين الذين يذرعون الشوارع والطرقات : لم يكن لهؤلاء جميعاً إلا الأفاريز الجرد حيث يستجدون المارة فضلة من طعام، ويدلكون بطونهم المنتفخة وهم يزحفون وراء أهل اليسار من الخاصة والأوربيين . هناك على قارعة الطريق كانوا يسقطون جثثاً هامدة حتى تأتى سيارات النقل فتحملهم إلى أفنية حرق الموتى .

لن يعرف أحد أبداً كم من الناس ماتوا فى مجاعة البنغال ، فقد غلا الأرز ورخصت الحياة فى طول الولاية وعرضها ، ولم يك ثمة إحصاء دقيق لعدد من أحرقوا ، وقد ترك كثير من الجثث تبلى حيث وقعت .

وقد تضلّعت كلاب كلكتا شبعاً فى وليمة الموتى، وجاست خلال الشوارع تنهش لحوم البشر وتحمل عظامهم بين أنيابها ، وكانت تهاجم الموتى الذين يسقطون ساعة يكفّون عن المقاومة . ولقد رأيت غير مرة كلباً

---

* كان فى السلاح الطبى التابع للجيش البريطانى ، وهو اليوم طالب حقوق فى جامعة مشيجن .

يصارع امرأة تملكها الفزع ليستولى على جثة زوجها .

وقد غطى الظلام فى تلك الليلة الأولى على أبشع مظاهر البؤس الجاثم ، ولكننى كنت أسمع مع وقع خطواتى حركات خفيفة مستمرة حولى ، منها يد تمتد إلى ساقى لتمسك بها ، وصوت خافت يُسرّ : « ياسيدى ! يا سيدى ! » . وكنت ترى عند مدخل أحد المطاعم الكبيرة جثتين عاريتين لاتزالان تلتمعان فى الضوء بما تفصّد منهما من عرق . وأقبل ضابط شاب وبرفقته سيدة فاعتذر إليها ، وأسرع إلى الجثتين فزحزحهما من النور إلى الظلام ، ثم دخل المطعم وهو يتحدث إليها كأن لم يحدث شيء .

وزحف نحوى من الظلام رجل يشق طريقه جاهداً وقد مالت عمامته فوق وجه أرهقته غبرة الموت . كان رأسه قد تدلى ومد إلىّ ذراعه ، وكان يتحرك فى بطء وبجهود أليم ، فغمرنى وإياه قوس النور ، على أنى أحسست أن ثمة آخرين كانوا يرقبون ، فوقفت لحظة وقد تملكنى الخوف والحيرة حتى اقترب منى وكاد يمسنى ، فوليت فى الظلام عائداً أدراجى إلى الفندق الذى نزلت فيه ، وقد استحال خوفى إلى غثيان غصّ به حلقى ، فحين وصلت إلى حجرتى ولما أكد ، انتابنى قيء مرير .

وعلمت فى الصباح التالى أنى لن أستطيع مغادرة كلكتا قبل مضى أسبوع ، واقترح ضابط شاب اسمه كروفورد أن أعاونه فى عمله بضعة أيام ، وكان يعمل مع حكومة البنغال فى إخلاء الشوارع من الجثث ، ولكنه نصحنى أن أقضى اليوم الأول أتفرج على المدينة وقال : « ستحتاج إلى أحشاء لاتضطرب إذا أنت أزمعت العمل معى » .

وزرت نادى التجديف بكلكتا وكنت أحمل إليه كتاب تعريف ، وكان معظم أعضائه من الرجال يمرحون فى البحيرة ، فدلفت إلى حجرة الجلوس حيث جلس النساء يتجاذبن أطراف الحديث . فلما سنحت الفرصة أدرت دفة الحديث إلى المجاعة ، فانفجرت فىّ إحداهن قائلة : « اسمع أيها الشاب ! إن هذه المجاعة قد سببت لنا متاعب جمة لا قبل لنا بها ، فطالما تناوشتنا الأيدى فى الشوارع ، وطالما أثقلوا علينا بثرثرتهم ونحن فى بيوتنا شبه محاصرات ، وقد سرقت صفائح فضلات منزلى مرتين خلال أسبوع واحد . وتكشف للنادى يوم الاثنين الماضى أن نصف ما يقتنيه من البط تقريباً قد سرق من البحيرة . ويبدو لى أنك غريب ونحن لذلك نصفح عنك ، بيد ان هذا موضوع ثقيل ولن تجد بيننا جميعاً من يرتاح إليه » .

وفى صباح اليوم التالى ركبت عربة إلى أفنية إحراق الجثث لأقابل كروفورد ، فلما اقتربت شممت رائحة الأهوال التى تجرى فى داخل . وكان العمال يكدسون الجثث على أكوام من الخشب ثم يصبون عليها البترول ويشعلون فيها النار بالمشاعل .

وظهر كروفورد وقال : « إن الوقت قد حان للعمل » . وجاء من المدينة راكب يسعى يحمل إلينا أنباء الأحياء التى غصت بالموتى . والتى ينبغى أن يبادر إلى إخلائها من الجثث ، ومجموعة من الشكاوى من كبار الأهالى ممن لم تخل أفنية دورهم والطرقات المؤدية إليها من الجثث . حتى لقد أصبحت الأرض المملوكة الخالية من الموتى هى آية تدل على أصحاب السلطان فى كلكتا . وكان بين هذه الشكاوى شكوى من جماعة تنذر برفع قضية إذا لم ترفع الجثث عن أرضها ، على أن الشكوى التى أثارت اهتمامى جاء فيها : « لقد عشت فى كلكتا أثناء مجاعات عديدة ، كانت الجثث ترفع فيها بسرعة مشكورة ، بيد أن قلة كفاية الحكومة الحاضرة تضعف ثقتى بالوسائل والنظم القائمة . »

ومررنا بعجلة لإعانة الجائعين من ضحايا المجاعة ، فرأينا المشرفين عليها يوزعون غرارة من الأرز ـ غرارة واحدة على آلاف من الناس . فكنت ترى الأحياء فى مقدمة الحشد يتبلغون بما يقيم أودهم ، وترى الموتى يحصى عددهم فى فناء فى مؤخر الدار .

وفى هذا المساء عندما قدمنى كروفورد إلى رئيسه سألته عن محلات إعانة المجاعة ، وكم نفس استطاعت هذه المحلات إنقاذها ؟ فجاء جوابه صريحاً قاطعاً : « إنك لن تستطيع أن تقف شر المجاعة ببضعة أكياس من الأرز كما تعلم . ولكن هذه المحلات تخدم غرضين ، فإن فرصة الحصول على حفنة من الأرز تجتذب من الجائعين من هو أقرب إلى التضعضع والسقوط ، وحتى إذا نحن لم نستطع أن نطعمهم جميعاً ، فإن هذه المحلات تجعل من السهل جمع جثثهم » .

إن العقل الإنسانى يستطيع أن يتعود كل ما يمر به ، بيد أننى لم أدرك مدى الجهد الذى يقتضيه هذا التعود يوم ألفيتنى آكل قطعة من الحلوى وأنظر فى غير ما اهتمام إلى امرأة تجود بروحها .

إن العقل لا يتحمل أكثر من قسط معين من التأثر ، فإذا أقحمت عليه منه مزيداً لم يعد يتأثر . وإذا أنا استطعت أن أعبر عما رأيت من فظاعة يقصر الوصف عنها ، استطعت كذلك أن أعبر معها عن نظرتى القاسية وعدم اهتمامى الذى كان وليد الضرورة والأحوال المحيطة بى .

ويمكن أن ترى بوضوح علامات المجاعة المزمنة فى جميع أنحاء البنغال ، فإن نصف عدد السكان تقريباً قد أصابهم المرض والعاهات ، ولكن لعل ما أصاب السادة الأغنياء الذين امتلأت بطونهم هو شر هذه العلامات : نظرة وحشية ، وغلظة فى الأكباد . إن ما تجرّه المجاعة وما تجره الحرب،أعظم من الأنفس التى تهلك فيهما ، فإن فساداً خفيا يسرى فى دم جميع من ابتلوا بالعيش فى ظلّهما .

لنذكر أن الملايين من الناس فى العالم الحديث الذين يجدون من الغذاء فوق ما يريدون ، لا يفصل بينهم وبين الملايين التى تتضور جوعاً ، إلا كالذى يفصل بين رواد الفندق الكبير فى كلكتا وبين المتضورين جوعاً فى شوارعها .



كن يقظاً

ذهبت جماعة من الشبان المتدربين على المخاطبات اللاسلكية إلى مكتب شركة تسيِّر بواخر كثيرة فى بحار الأرض ، وكلهم ينوى أن يطلب عملا على إحدى هذه السفن . وشغلوا بالحديث ، فلم ينتبهوا لرسالة بشفرة مورس يذيعها مكبر الصوت فى حجرة الانتظار ، ولا لرجل دخل المكتب وجلس قليلا ، ثم إذا به يقفز ويمضى إلى مكتب المدير ، ثم ما لبث حتى عاد ضاحكا مغتبطاً .

فقال له أحد الشبان : « بربك قل لنا كيف سبقتنا ، فقد تقدمناك إلى هذا المكتب ؟ »

فقال : « لو أصغيتم إلى الرسالة التى أذاعها مكبر الصوت لظفر أحدكم حتما بالعمل الذى جاء من أجله » .

فسألوه دهشين : « أية رسالة ؟ »

فقال الرجل الغريب : « رسالة بالشفرة أذاعها مكبر الصوت هذا . فقد قالت : إن الرجل الذى تشتدُّ حاجتى إليه هو الرجل الذى يكون دائم اليقظة . فأول رجل يتلقى هذه الرسالة ويجيئنى إلى مكتبى الخاص ، أعينه فى الحال عامل الاتصال اللاسلكى فى إحدى سفنى » . [والتر . س . ميلو]

زوجان شابان من خريجى الجامعات ، لم يستنكفا أن يشتغلا خادمين فى بيت — فظفرا بما لم يدر فى خيالهما .

حللنا مشكلة السكن

مارجرى إلن ولف

مختصرة من صحيفة " مينا بوليس سنداى تايمز "

بعض أصدقائنا بالجنون ، وأثنى بعضهم على شجاعتنا العظيمة . أما نحن فلا نرى أننا عَدَوْنا أيسر قواعد الفطنة فيما فعلنا ، وقد ظفرنا بمسكن يطيب لنا فيه العيش ، وننال فضلا عن ذلك أجراً حسناً .

كان فرانك خريج جامعة عاد من ميدان المحيط الهادى برتبة ملازم ، وأما أنا فخريجة جامعة أيضاً ، وسكرتيرة مدرَّبة ذات تجربة ، ومع ذلك فقد رضينا أن نشتغل خادمين فى منزل .

تبدأ قصتنا يوم تزوجنا فى سنة ١٩٤٢ ، وكان فرانك قد عين ضابطاً فى الأسطول ، فلم نقض معاً سوى ستة أشهر قبل خروجه للخدمة وراء البحار . ولم يكن لنا بيت خاص بنا ، فقضينا ثلاثة أشهر فى حجرة صغيرة رثة ، وكنا نأكل فى المطاعم ، وقضينا الأشهر الثلاثة التالية فى شقة عتيقة فيها فرن غاز صغير ، وملحق بها حمّام مشاع بيننا وبين غيرنا . فلما سافر فرانك شغلت منصب سكرتيرة ، وأجرت غرفة فى بيت سيدة غريبة عنّا لا نعرفها .

ثم عاد فرانك بعد اثنين وعشرين شهراً وعلى صدره وسام حربى ، وهو يتحرق شوقاً إلى « أن يعيش مرة أخرى كما يعيش الناس من بنى آدم » . وكان شديد الرغبة أيضاً فى دراسة التجارة الخارجية ، لأننا عزمنا على أن نتجر مع أمريكا الجنوبية . وقد رأينا فيما رأينا أن أفضل مناهج هذه الدراسة ، هو المنهج المتبع فى معهد عال فى العاصمة « وشنطن » ، وكان من حسن حظنا أن وجدنا مسكناً إلى حين فى فندق من الدرجة الثانية . كان مؤلفاً من مخدع ومطبخ صغير يعج بالصراصير والفئران ، وكان أجره باهظاً .

فشرعنا مرة أخرى نكبّ كارهين على قراءة إعلانات « شقق للتأجير » ، فلم نجد شقة خالية فى أحد المبانى التى شيدت لكى تؤجر شققها بمبلغ يسير . فاضطررنا أن نلجأ إلى إعلانات « غرفة مفروشة » على شدة كرهنا الأكل فى المطاعم . وكان الأجر ٥٠ ريالا أو ٦٠ ريالا فى الشهر لأية غرفة لها حمام خاص بها . فلم نكد نرى واحدة

منها حتى اشمأزت نفوسنا — وكانت غرفة سطح فى علية الدار فوق الدور الثالث . فوهنت عزيمة فرانك ورأى أن ينصرف عن دراسته . ثم ساد الصمت بضع دقائق ، وإذا هو يصيح : « مهلا ، مهلا ، إن مدينة كبيرة كمدينة وشنطن ينبغى أن يكون فيها بيوت كثيرة فيها غرفة خالية يطيب العيش فيها ، وما علينا إلا أن نبتكر طريقة تهدينا إليها .

فقلت : « ما زلت على رأيى من أنى لا أحجم عن مسح الأرض لنظلّ معاً ، فلم لا نعمل خادمين فى بيتٍ ، فأكون أنا الطاهية وتكون أنت الخادم ؟ » وما كنت إلا مازحة حين قلت ما قلت ، ولكن شدّ ما دهشت حين رأيت فرانك يأخذ رأيى مأخذ جدّ ، فقال : « فلناق نظرة على الصحيفة لنرى هل من عمل نستطيع أن نظفر به » .

فلما تبيّنا أن أعمدة الصحيفة زاخرة بإعلانات طلب الخدم لأعمال المنزل ، وأنها خالية من إعلانات أناس يعرضون أن يكونوا خدماً فى المنازل ، خطر لفرانك خاطر باهر . قال : « إذ نحن أجبنا الذين يطلبون خدماً ، وجب أن نلبى حاجتهم . فلننشر نحن إعلاننا ، وعندئذ ينبغى لمن يردّ علينا أن يلبى حاجتنا » .

ولم يكن لنا بدّ من أن نقدّر ما يدخل فى طاقتنا قبل أن نكتب الإعلان ، فقد كنت فتاة ذات دراية بتدبير المنزل ، لأن والدتى ظلت سنين طريحة الفراش ، فوقعت على كاهلى وعلى كاهل شقيقتى مهمة تدبير منزل كبير . وكنت أهوى فن الطبخ ، وقد علمتنى أمى وحماتى شيئاً كثيراً من أصوله ، ثم كنت ذات خبرة فى إدارة المكاتب .

وكان فرانك يعرف كل شىء عن آداب تقديم الطعام والقيام على خدمة البيت . فقد كان لأسرته خدم مدربون أحسن تدريب ، ثم اشتغل ذات صيف نُدُلا فى نادٍ فى الريف .

وكذلك وضعنا نص الإعلان كما يلى :

« زوجان من خريجى الجامعات ، الزوجة طاهية وسكرتيرة ، وتتولى تدبير المنزل . الزوج ، محارب قديم ، طالب علم ، يعمل نُدُلا فى المساء وطول عطلة الأسبوع . الشروط حجرة للسكن وحمام خاص ، وإجازة يوم فى الأسبوع » .

ويوم صدر إعلاننا فى صحيفة وشنطن بوست ، بدأ تلفوننا يدق فى الساعة السابعة والنصف صباحاً . فدونت بالاختزال تفاصيل كل حديث ، ثم صنّفناها فجعلناها ثلاثة أبواب : المستحيل ، والمشكوك فيه ، والممكن . وقد

كان عدد العروض التى جعلناها فى باب « الممكن » كافياً ، فرددنا على أصحاب العروض فى البابين الأولين ، بأنه لا يسعنا أن نقبل ما عرض علينا . وقد رفضنا ما عُرض علينا من سكن وعمل وأجر قدره ١٦٠ ريالا فى الشهر ، لأن المنزل كان فى عزبة فى الريف ، فكانت بعيدة عن مدرسة فرانك . وعرضت علىّ سيدة تدير نُزُلاً للوجهاء مئة ريال فى الشهر لأقوم بعمل الطبخ (على أن لا يزيد ما أطبخه على مايلزم لطعام ١٤ أو ١٥ من نزال دارها !) وأن أتولى أعمال تنظيف المنزل .

وأخيراً وقع اختيارنا على مستر ومسز ج . لأسباب كثيرة . الزوج محام والزوجة مؤلفة تستطيع أن تنتفع بمهارتى فى الاختزال والطبع بالآلة الكاتبة . ولم نجد غيرهما بين الذين حدثناهم من نظر إلينا نظرته إلى أناس من البشر وقد ترفقا فى سؤالنا عمَّا نعتزمه فى الحياة ، ولماذا ؟ ثم تبيَّنا أنهما يحبان ما نحبُّ من الطعام الغريب ، والكتب والناس والكلاب . ثم سرّنا ما ألفيناهُ فيهما من توخى الدقة فى كل شىء ، وذلك يقتضينا جهداً فى العمل ، ولكننا آثرنا أن نكدح من أجل سيّدين يقدران الإتقان والنظافة فى مرافق البيت حق قدرها . كان البيت مثل ألوف من البيوت المتوسطة فى الضواحى ، ولكن حسن الذوق كان يتجلى فى أثاثه ، وكان فى الطابق الأسفل غرفة مريحة للخدم ، غير أن الرجل وزوجته سألانا : ألا نؤثر أن نشغل غرفة الضيوف ؟ فقلنا : نعم ولا ريب .

ويوم نقلنا متاعنا إلى هذا البيت ، كان الجزع والرهبة يستبدّان بى . أما فرانك فكان يرجو غير متفائل أن تنجح التجربة . وقد كدت أصطدم بمسز . ج . فى الساعة الأولى ، وكانت كلٌّ منا مسرعة تحمل فى يدها دفتر الاختزال . فقد خطر لكل منا نفس الخاطر الباهر : أن تملى هى علىَّ تفاصيل لا تحصى ينبغى أن تبين لمديرة طارئة على البيت — أين تجمع القمامة ، ومتى تقدم وجبات الطعام ، وأين توضع الصحون . فإذا بنا نبدأ علاقتنا معاً على خير وجه ، لأنها بداية غير مألوفة بين ربة البيت وخادمتها .

وقد اعترانى الاضطراب وأنا أطبخ الوجبة الأولى من الطعام ، ولكن مستر ج جاء بعد العشاء إلى المطبخ وأكد لى أن الأكل كان ممتازاً وقد ظللت زمناً ما أنفض الغبار عن كل شىء مرتين ، وذلك يستغرق وقتاً طويلا ، حتى خيل إلىّ أنى لن أفرغ . وكنت أحس بدبيب الكلال والإعياء فى مساء كل يوم ، ولكننى جلست

ذات يوم مع مسز ج ووضعنا جدولا للعمل ، وكنا قد أرجأنا وضعه حتى يعرف فرانك نظام دراسته وساعاتها . فلما عرف ذلك صار فى وسعنا أن نعرف أيضاً متى يستطيع أن يعاوننى فيما يشق من أعمال التنظيف ، وإذا العمل قد صار نسقاً مطرداً على ما يرام . ولو لم أضع وقتاً كثيراً فى محادثة مسز ج فى موضوعات كثيرة تهمنى وتهمها ، لكنت أنجز العمل فى أيسر الوقت .

وأنا أستمتع بالعمل استمتاعاً يفوق ما كنت أتصور . فهو أقل تعباً وأوفر حرية من العمل فى مكتب ، ونفقات المعيشة أيسر ، فلست أحتاج إلى ملابس تكلفنى مئات الريالات كل سنة . وفى البيت من العمل ما يشغلنى ما طاب لى الشغل ، ولكنه يدع لى ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم للراحة أو المطالعة أو النزهة . ولو كنت ربة بيتى لما كان عملى أقل من ذلك .

نعم ليس كلُّ شىء على ما يرام تماماً ، فمستر ج ، يتأخر أحياناً فى عودته من مكتبه، فيتأخر العشاء وتقصر فسحة السهرة، ولسنا أحراراً فى نهاية الأسبوع ، وفرانك لا يجد فسحة من الوقت لنفسه بين ساعات الدراسة الطويلة وساعات العمل فى البيت ، فالذى يضحى به هو أعظم مما أضحى به أنا . ولو كنت ربة بيتى لظللت مشغولة طول يومى .

ومستر ج وزوجته يضحيان ببعض الشىء أيضاً لكى نبقى معهما ، فليس عندهما الآن حجرة خاصة للضيوف ، وصار بعض حياتهما معروضاً على عيون غريبة عنهما ، وأجرنا ليس بالأجر اليسير .

ولكننا نظن جميعاً أن هذا التدبير جدير بكل هذه التضحيات ، فالزوجان راضيان عن طريقتنا فى تدبير أمر منزلهما ، ويستطيعان أن يوجها كل عنايتهما إلى عملهما الخاص . أما فرانك فماض فى دراسته ويعيش عيشة راضية ، وله أن يتطلع إلى مبلغ مدّخر من المال يوم يفرغ من الدراسة بعد سنتين . وأما أنا فلا أستطيع أن أتصور حالا أحسن من حالى الآن ، ومشكلة السكن هى ما هى . ولولا ما تمّ لى ، لوجب علىّ أن أعمل فى مكتب بعض الوقت ، وأنفق البعض الآخر فى تدبير أمر شقة رثة. أو أن أعمل طول الوقت حتى أستطيع توفية الأجر ، ثم ألفى نفسى فى المساء منهوكة لا أقوى على طبخ العشاء .

وأهمُّ من ذلك أن هذا عمل أتولاه أنا وفرانك ، وهذه نعمة عظيمة بعد طول الفراق الذى باعد بيننا .

ماذا تعرف عن عينيك ؟

جوزيف سماكسون دكتور فى الفلسفة

مختصرة من
"ذى أمـيريكان مجـازين"

كل امرىء يولد سليم البصر ، ومع ذلك فإن ملايين من الناس يصابون بآفات خطيرة فى البصر كان يمكن اتقاء أكثرها . وتبدأ رعاية العيون فى البيت ، فانظر ماذا تعرف عن عينيك بعد مطالعة هذه الآراء :

١ — القراءة على الضوء الخابى تكاد تكون أسوأ عادة فى القراءة :

باطل . فإن بريق الضوء الساطع يحدث من كلال البصر أكثر مما يحدثه الضوء الخابى ، وينعكس هذا البريق من الجدران اللامعة ومن الورق المصقول ، أو يقع على العين رأساً من السراج .

٢ — إذا كانت قوة إبصارك ٦ على ٦ ، دل هذا على أن عينيك سليمتان .

باطل . فإنك إذا رأيت على بعد ستة أمتار ما يظن الأطباء أنك لا بد أن تراه ، فإن بصرك يكون ٦ على ٦ أو طبيعياً كما يقولون ، ولكن هذا لا يدل على سلامة عينيك ، فإنك قد تكون فى هذه الحالة « طويل النظر » ،فتحاول عضلات التشكل فى العين أن تشكل عدستها على صورة تجعل الرؤية طبيعية ، ولكن هذا التشكل يرهق العين .

٣ — حَوَل الأطفال يبرأ من تلقاء نفسه، وتصبح أعينهم طبيعية على مدى الزمن .

باطل . وهو وهم من أوهام الآباء يغريهم بالإهمال ، فحَوَل الأطفال يجب أن يعالج ساعة اكتشافه ، وهو يعالج بالجراحة أو استعمال النظارات الملائمة ، أو بتمرين عضلات العين الضعيفة برياضات العيون .

٤ — يستطيع طبيب العيون أن يتبين ما قد يكون بأسنانك من علل إذا هو فحص عينيك .

حق . فإن العيون تؤذيها الجراثيم التى تتولد فى أمكنة محصورة بين الأسنان، وحتى العمى يمكن أن ينشأ من الأسنان التى توغلت فيها الجراثيم .

٥ — يجوز أن تصاب بضعف مؤقت فى عينيك دون وجود عيب دائم فيها .

حق . فقد تحس ضعفاً فى البصر ، وقد تتعب عيناك بسهولة وتشعر بالإعياء،ويكون ذلك لعلة عامة فى البدن ، أو لكلال شامل فيه ، أو لتوتر فى الأعصاب . وقد ينشأ هذا الضعف أيضاً من سوء التغذية .

٦ — عمى الألوان يصيب الرجال أكثر مما يصيب النساء .

حق . فإن النوع الشائع من عمى الألوان

ينتقل بالوراثة . ويصاب به نحو رجل واحد من كل ٢٥ رجلا ، وامرأة واحدة من كل ٢٥٠ امرأة .

٧ — خير وسيلة للتخلص من القـذى في العين ، هو التمخط العنيف :

باطل . وإن كانت نظرية التمخط نفسها صحيحة ، لأنه يهيج الدموع ، فيسيل القذى معها . وخير ما تفعل في هـذه الحالة أن تطبق عينيك وتبقى على ذلك عشر ثوانٍ ، فتدمع العين عادة ويسيل القذى مع الدمع .

٨ — ربع طـاقة البدن تسـتنفد في الإبصار

حق . كما يقول الدكتور تشارلس شيرد من مؤسـسة مايو . وهـذا يفسر كيف تؤثر حالة عينيك في صحة الجسم عامة .

سعة الحيلة

سمع رجل في بوسطن عن منصب خال في شيكاغو والمسافة بينهما . . فأرسل برقية إلى مدير العمل قال فيها : « أنا في طريقي لأشغل المنصب . ادفعوا أجرة هذه البرقية ، واخصموها من مرتبي في الأسبوع الأول » . فعُيِّن .

كان ويلرد جونسون وكيلا لشركة تأمين ، فخطر له أن عمل فريق من الناس يقتضيهم أن يسهروا حتى الصباح ، فبدأ ذات ليلة عمله بعد انتصاف الليل ، وزار عشرة من الرجال من الذين يعملون ليلا من الفنادق إلى المكاتب في محطات سكك الحديد ، فوجد أن كلاًّ منهم يودّ أن يحدثه عن التأمين على حياته ، وقد كانوا يشعرون بوطأة الوحدة على نفوسهم ، فسرّهم أن يجدوا من يزورهم ويجاذبهم أطراف الحديث ، ويحتفي بشئونهم . وقد أمّن معظمهم على حياته . ثم دأب على مثل ذلك ونجح . [مجلة « لايف »]

ما من أحد يستطيع أن يشعرك بأنك أقلّ منه منزلة إلاّ إذا أنت رضيت ذلك لنفسك . [إليانور روزفلت]

لفافة من البذور أهديت إلى جار صيني وما أثمرتها من عجائب

صفقة في جزيرة تاهيتي

جيمس نورمان هول

مختصرة من "ذي أتلانتيك منثلي"

منذ بضع سنوات ، حين كنت مقيما في بابيتي عاصمة تاهيتي ، ألفيت نفسي قد بلغت من الإعسار مبلغاً اضطرني إلى اتخاذ كوخ ذي غرفة واحدة في فدانين من الأرض ، على مسافة ٣٥ ميلا من المدينة ، وقد استطعت أن أستأجرها بثلاثة ريالات في الشهر ، وكانت الأرض خصبة مريئة فاستقر عزمي على أن أجعل منها حديقة خضر .

ولكن التجربة رفعت عن عيني الغشاوة ، فإن ملايين من النمل الأحمر الصغير حملت معظم البذور ، وأكلت الحشرات القليل الذي نبت . وبعد ثلاثة شهور كان كل ما خرجت به بعد الكد كوزين من الذرة أكلت الفيران حبهما ، وثلاث حبات من الطماطم ، وحبة من القرع . فإذا أضفت أجر العمل بحساب عشرين سنتاً في الساعة إلى ما أنفقت على الآلات والبذور التي استوردتها من أمريكا ، فإن هذه البقول تكون قد كلفتني كل واحدة منها ١٥ ريالا ونصف ريال . ومع ذلك قررت أن أجرب مرة أخرى ، وحصلت من الولايات المتحدة على مقدار صغير من بذور جديدة .

ولكن لما سويت الأرض وطهرتها من الأعشاب تمهيداً لزرعها ، ورأيت كتائب النمل المتربص والسرطان البرى ، يئست وقلت لنفسي : « خير لي أن أعود إلى الكتابة » . وفي عصر ذلك اليوم شرعت أنظف الآلة الكاتبة ، فمر بي صيني اسمه هوب سنج كان يعيش قريباً مني ، وهو في مركبته العتيقة . وكنت أعرف أن له حديقة يزرع فيها البطاطة ، والبطيخ ، والقمح . فناديته وأعطيته بذوري ، وبينت له ما في كل لفافة منها — الخس ، والفول ، والقرع ، والطماطم ، والقمح . فزام وسأل : « بكم ؟ »

كان جيمس نورمان هول قبل أن يكتب هذه القصة في عام ١٩٢٥ ، كاتباً غير مشهور ، وكان قد دلف إلى الكهولة وهو يعيش في جزيرة نائية في المحيط الهادى ، حيث كان يكتب قصصاً كثيرة ولا يبيع منها إلا القليل . ثم بدأ الحظ يتغير ، فقبل الناشرون ثلاثة كتب ألفها ، واشترك مع شارلزد نورهوف في أربعة من الكتب بلغت غاية الرواج وهي : « التمرد على الباخرة بونتي » و « رجال ضد البحر » و « جزيرة بيتكيرن » و « العاصفة » .

فقلت: «لا شيء . هي هدية لك» فأمسك بالمقعــد ليحتفظ باتزانه ، والتمعت عينــاه السوداوان ، ولكنه لم يبد غير ذلك من مظاهر التأثر .

ونسيت هوب سـنج ، لساعتي ، فقــد استغرقني أمري وهو : كيف أعيش برأس مالي وهو ١٢٨ فرنك — أي نحو خمسة ريالات — إلى أن أستطيع أن أكتب وأبيع مقالة أو قصــة ؟ فإنه حتى لو قُبل ما أكتب وأبعث به إلى أمريكا على الفور ، فلا أمل في تلقي حوالة قبل ثلاثة شهور .

وكان أجر البيت مدفوعاً لثلاثة شهور سلفاً ، ولكن ما القول في الطعام ؟ إنه من المستحيل أن يعيش المرء ثلاثة شهور بـ ١٢٨ فرنكا ، فقررت أن لا أحاول ذلك ، وابتعت طباقاً محلياً بخمسة وعشرين فرنكا (فإنه لا غنى بي عن التــدخين إذا كنت سأكتب شيئاً) ، واشتريت بمعظم الباقي بطاطة ولحمَ بقرٍ محفوظاً . وبعد أن ينفــد هذا الطعام — سأفكر في ذلك في أوانه .

وبعــد ثلاثة أيام كنت أحاول عبثاً أن أكتب مقالا عن تجاربي الحديثة في البحار الجنوبية ، وإذا بنقرة على الباب تبعثني من اكتئابي العميق . وكان القادم هوب سنج ، فحمــل إليّ من مركبته ، ثلاث بطيخات وزجاجة نبيذ ، وسلة بيض ، ودجاجة .

وقال : « هدية صغيرة لك » ، وانطلق بمركبته مسرعاً .

فكانت هديته الكريمة إنقاذاً لحياتي . ذلك أن اللحم المحفوظ والبطاطة طعام مغذّ ، ولكني كنت قد أصبحت لا أطيق النظر إليها ، فاعتزمت أن أطبخ الدجاجة لعشائي ، ولكني عدلت عن ذلك بعد التفكير ، وربطتها إلى وتد في الفناء ، ووجدت جوزاً أكلت الفئران بعضــه ، فأطعمتها إياه . وبعد أن تعشيت بست بيضات صنعت منها عجة ، عدت إلى الكتابة في حبــور ، وما انقضت بضع ساعات حتى كنت قد أتممت المقال .

وكانت الباخرة الشهرية الذاهبة من نيوزيلند إلى الولايات المتحدة ستصل إلى بابيتي في بكرة الصباح التالي ، فعزمت أن أضع المقــال في بريد البــاخرة بيدي . وآثرت الاقتصاد فمشيت إلى المدينة ، وقوّيت نفسي بعجة أخرى من ست بيضات ، وقدح من النبيذ ، وانطلقت .

وكان القمر وضيئاً ، وكنت وأنا أقطع الطرق المتعرجة أرى الرشاش الفضي من مساقط الماء كأنه العقود ، على المهاوي الشاهقة والأمواج العظيمــة تتكسر على الصــخور المرجانية فتكون كأنها نار بيضاء . وكنت أسمع من مســاكن الأهالي نتفاً من أغان فرنسية وتاهيتية مصحوبة بالعزف على القيثار

والأرغن . ولما كاد الليل ينتصف ألفيتنى أفكر مرة أخرى فى الطعام ، ومررت بكوخ مسقوف بأعواد القصب ، فقدم لى شيخ من الأهالى بعض الطعام الذى كان هو وزوجته يشويانه على نار من الحطب ، وكان لذيذاً . وأدهشنى أن يقول لى الشيخ أنه مصنوع من السرطان البرى ، تلك الآفة التى عصفت بحديقتى ، ومن نوع من البندق يكثر فى أرضى . ولم أكن أدرى أنها صالحة للأكل ، وأرانى كيف أصيد السرطان بعود وحبل فيه شص مطعم بأوراق الخبيزى .

وبلغت بابيتى عند الفجر حين دخلت الباخرة الميناء ، ووضعت مقالى الثمين فى صندوق البريد وأنا أدعو الله فى سرى ، ثم أفطرت مقتصداً ، ورحت بعد ذلك أتمشى على الساحل البهيج الألوان ، وإذا بصينى سمين قصير أصلع يقبل مسرعاً

وسألنى : « أتعرف هوب سنج ؟ »

فقلت : « نعم . هو يعيش قريباً منى » .

« إن هوب سنج زوج أختى ، وقد بعث إلىّ برسالة ، وقال إنك أعطيته بذوراً ليزرعها فى حديقته . اسمى لى فات . ودكانى هناك » وأشار إلى مكانه فى الشارع

« متى تعود إلى بيتك ؟ »

« سأعود هذا الصباح بسيارة الركاب » .

« مع السلامة » وانصرف . وبينما كنت أنتظر السيارة قعدت على دكة هناك يجلس عليها فى العادة يوم تجىء الباخرة ، ناس من جميع أرجاء العالم ينتظرون البريد وفيه المال — الذى لا يكاد يصل أبداً . وحدثت نفسى : « إنى بعد ثلاثة شهور سأكون قاعداً هنا أناجى نفسى بمثل هذا الأمل البعيد » لا بأس . سيكون معى بعد أن أؤدى أجر السيارة تسعة فرنكات ، ولن أموت جوعاً ، وعندى السرطان البرى والبندق ، وفى خلال ذلك سأواصل الكتابة مجتهداً .

ولما نزلت من السيارة عند بيتى ناولنى السائق صندوقاً ، فقلت له : « لقد أخطأت ليس هذا لى » فقال إن صينياً أدى إليه أجر نقله إلى بيتى . فرفعت الغطاء فوجدت بطاقة عليها بالقلم الرصاص : « إلى المستر هول من لى فات » وفى الصندوق رطلان من الشكولاتة وبعض البندق ، وزجاجة شمبانيا ومنديلان من الحرير ومنامتان من الحرير .

فوضعت الشمبانيا فى الحوض لتبرد ، ثم ذهبت لأتعهد دجاجتى ، وكانت قد تخلصت من الحبل ، فوجدتها بعد البحث تحت درجات السلم الخلفى ، حيث وضعت بيضة ورقدت عليها ، وكانت هذه البيضة غير مخصبة فأخرجتها من تحتها ، وصنعت لها عشاً فاخراً ووضعت تحتها البيضات الخمس الباقية من هدية هوب سنج ، فاستقرت الدجاجة

عليها وحضنتها وهى تقوق راضـــية .

وصلح بدنى على طعام السرطان البرى والبندق ، وكنت قد نحفت من جراء الهم ، ومن طعام اللحم المحفوظ والبطاطة ، ولكنى زدت فى ستة أسابيع ١٤ رطلا ، وفى أثناء ذلك فرخت دجاجتى خمسة فراريج . وكنت قد استغرقنى صـــيد السرطان ، وتعهـد الدجاج ، والكتابة ، فنسيت الشـمبانيا . إلا أننى ذات يوم زارنى صاحب الأرض ومعه كثيرون من بنيه ، فتساقينا الشـمبانيا ، وأعطيت الأطفـال الشكولاتة التى أهداها إلى ،لى فات . وفى صباح اليوم التالى وجدت على شرفتى عنقوداً من الموز ، وغرارة ملأى بالبرتقال والمانجة . ولم يقطع عنى صاحب الأرض وزوجته بعد ذلك هداياهما من الفاكهة والسمك ، وغمرتنى الألطاف ، وتذكرت شاكراً أنى مدين بهذا كله لهوب سنج .

وكانت حديقتـه مزدهرة تبشر بمحصول وافر بفضل عنايته وصـبره . وكان هوب سنج خبازاً فوق أنه بستانى ، فكان يضع لى على بابى ، أربع مرات فى الأسـبوع رغيفاً محمّراً ، أو فطيرة أناناس ، وما من شىء أفعله أو أقوله ، يقطع عنى شكره لهديتى الصغيرة من البذور .

وكادت الباخرة الثالثة ، مذ أرسلت مقالتى بالبريد ، تصـل قبل أن أفطن إلى ذلك . فذهبت إلى المدينـة مرة أخرى وانتظرت على دكة رجال البحر توزيع البريد ، وأخيراً تشجعت وقصـدت إلى شـباك التوزيع ، فأخبرتنى الفتـاة أولا أنه لا شىء لى هناك ، ولكنها سألتنى عن اسمى مرة أخرى وأنا أهم بالانصراف ، ثم قالت : « نعم ، لك رسالة واحدة . وعليك أن تؤدى عليها ٥٠ سنتيما » .

فلم يبق معى بعد أداء هذا الرسم سوى ٢٥ سنتيما وهى أصـغر قطعة من النقود فى هذه المنطقة الأقيانوسية الفرنسية ، ولكن الرسالة أنبأتنى أن مقالى مقبول ، وكان فيها حوالة بخمسمائة ريال !

وكانت هذه ثروة فى نظرى . وهى كافية لنفقاتى جميعاً سنين عديدة . ثم إنها تمكننى من مبارحة تاهيتى . وكنت أدرك أنى إذا لم أرحل الآن ، فقد لا يبقى معى من المال مرة أخرى ما يكفى للسفر بالباخرة ، فذهبت أسير فى الطريق والتردد يعذبنى ، وأخيراً استـقر عزمى على الرحيل حين دقت ساعة المدينة الثانية .

وجاء هوب سـنج ولى فات ، يوم رحيلى لتوديعى ، وكانت هدية الوداع التى قدمها هوب سنج إلىّ : سلة من الطماطم الكبير ، واثنى عشر كوزاً من ذرة بانتام الذهبى — هى أولى ثمرات البذور التى أعطيته إياها !

وابتسم الصينيان وهما يودعانى والباخرة تتراجع خارجة من الميناء .

وطلبت من خادم الباخرة أن يهيىء الذرة لفطورى ، وكان جليسى الوحيد على المائدة رجلا طويلا نحيفاً متدلى الشاربين مصفر الوجه ، وقد جلس إلى المائدة دون أن يحيينى ولو بهز الرأس ، وبدا لى من نظرته الجافية إلى قائمة الطعام أنه ممن يصعب أن يرضيهم طعام ما . فلما وضعت الذرة والبخار يصعد منها ، ألقى عليها نظرة دهشة ، ونحى ما بقى من طعامه ، وأقبل على الذرة ، وبعد أن التهم الكوز الثالث ، مد يده ليتناول رابعاً وقال للخادم : «من أين تجىء هذه الذرة؟ إنها ليست مذكورة فى القائمة!»

« هى هدية من السيد الجالس أمامك » .

فألقى علىّ ، نظرة سريعة ، كأنما لم يشعر بوجودى إلا فى هذه اللحظة، وقال بجفوة : «اعتبر نفسك مشكوراً ياسيدى» وانصرفت عن المائدة وهو ما زال يأكل الذرة .

وبعد نصف ساعة كنت واقفاً على السطح أنظر إلى جبال تاهيتى التى تختفى شيئاً فشيئاً وراء الأفق ، فرأيته يقبل .

وقال : « أيها الفتى، لقد كان هذا طعاماً لذيذاً . أكلت ستة كيزان ، فإنى مصاب بسوء الهضم ، والذرة الحلوة من الأشياء القليلة التى أستطيع أن آكلها دون أن تعقبنى ألماً . والآن حدثنى عن هذه الجزيرة، فإنى لم أنزل إليها ، فإن من العبث أن يحاول المرء رؤية جزيرة فى ست ساعات » .

فحدثته عن جمال الجزيرة وحياة أهلها ، ثم أمسكت وفى ظنى أنه ملّ .

فقال : «كلا . إن من الجلى أنك قضيت وقتاً ممتعاً ، وأحسنت الانتفاع بأذنيك وعينيك ، ألم تحاول قط أن تكتب شيئاً ؟ »

فبينت له أن الكتابة مهنتى ، فطلب أن يطلع على شىء مما كتبت ، فأريته ستة فصول قصيرة ، فقعد على الكرسى ، وتركته ساعة أو نحوها ، فلما عدت قال: «هذه الفصول الأربعة لا بأس بها . ماذا تبغى ثمناً لها ؟ لقد نسيت أن أخبرك أنى مدير لطائفة من الصحف فى أمريكا » .

فهممت أن أسأل هل مئة ريال ثمناً للفصول الأربعة تكون أكثر مما تستحق ، ولكنه قال : « سأعطيك ١٥٠ ريالا لكل فصل منها ، فهل هذا يرضيك ؟ » فاعترفت بأنه يرضينى جداً .

وفى تلك الليلة كررت الطرف فيما تدفق باطراد من حسن الحظ مذ قدمت هديتى اليسيرة إلى هوب سنج، فخطر لى أنه ما من بذرة زرعت فعادت بمثل هذا الجزاء الوفير. وكان الفضل فى هذا كله لبذور ثمنها ريال!

أربع سجائر

آرثر جوردن

مختصرة من مجلة "ذس ويك"

من اليسير على نفسي أن أروي لبس هذه القصة، فقد مرّت عدّة شهور، وما أكاد أذكرها حتى يعتريني الخزي لِما كان لي من يدٍ فيها. بيد أنها تدلّنا على أن فرنسا برغم ما أصابها من ذلّ وهوان، وما حاق بسياستها من خلل واضطراب، لا تزال أمة عزيزة النفس.

وضعت الحرب أوزارها في أوربة، فذهبنا ثلاثتنا يومئذ لنقضي أسبوعاً في فندق مخصص لراحة الطيارين على شاطىء الريفيرا. وكان المكان ممتازاً، وكنا ندفع ثلاثة ريالات كلّ يوم عن طعامنا وعن جناح فاخر يطلّ على البحر. وكان الطعام طيباً، والسنيا مجاناً، والجو عليل النسمات، وقيود النظام العسكري لا تكاد تحسّ.

وقد نعمنا بالراحة. ولم لا؟ ألم نخرج من الحرب مظفّرين؟ ولم يقلل من استمتاعنا أن الشعب الفرنسي لا يجد كفايته من القوت، وأن الصبيان في الطرقات يقتتلون على أعقاب السجائر الأمريكية. كنا ندعو الفتيات إلى نادي الجيش، ونلقي اللبان إلى الأطفال، فكانت أيامنا كلها بهجة وحبوراً.

وذات مساء جلسنا قبل العشاء في شرفة الفندق ننظر إلى الناس وهم يمرون أمامنا، ورأينا تحت المائدة أربع سجائر أمريكية وقعت من أحد الجند، فاقترح أحدنا عابثاً أن نضعها على الرصيف وننظر ماذا يكون.

كان ذلك ضرباً من العبث الأمريكي، مردّه إلى قلة المبالاة لا القسوة، فالسجائر الجيدة كانت ترفاً في أعين الفرنسيين، وكان لها ثمن عالٍ في السوق. وتوقعنا أن نتسلى بمنظر ذوي الأسمال البالية يتهافتون عليها.

وأقبلت فتاة لم تكن على جانب عظيم من الجمال، إلا أن أناقتها كانت أناقة فرنسية يشق وصفها على الواصف. ولمحت السجائر ووقفت حيالنا، وظلت دقيقة لا تكاد تتحرك، ثم داست إحداها بقدمها متعمدة، وفعلت مثل ذلك بالثلاث الباقية في أناة وتؤدة.

فلما صارت السجائر كلها مِزَقاً التفتت ثم نظرت إلينا نظرة حديدة متعالية. فصرفنا أبصارنا عنها ننظر إلى أحذيتنا تارة وإلى الأفق تارة أخرى، وأخيراً مضت إلى طيتها شامخة الرأس.

فنظر بعضنا إلى بعض. هذا جزاء ما جنيناه. ثم دخلنا نتعشى وفي تلك الليلة لم نجد للنبيذ مذاقاً ولا طعماً.

وكفى بنشر هذه القصة أن يكون اعتذاراً للفتاة عمّا قدمنا إليها من إساءة، وإعراباً عمّا تكنه صدورنا من إعجاب وإجلال.

أساليب جديدة لعلاج علل قديمة

لويس ماتوكس ميلر

الأحماض الأمينية وقروح المعدة

أثبت العلم أن العناصر الجوهرية البانية للجسم في المواد الزلالية هي الأحماض الأمينية، وأن جهاز الهضم يحلل المواد الزلاليـة ويستخلص منها هـذه « المادة البانية » ويوزعها على أشد أعضاء الجسم حاجة إليها. أما اليوم فقـد أصبحت المعامل في مصانع الأدوية تحلل المواد الزلالية وتستخرج منها الأحماض الأمينية، فتوضع في طعام المرضى الذين تقتضي حالتهم المبادرة إلى تقوية أنسجة أجسامهم.

كان الدكتور كوتوى، البحاثة الصيني في كلية الطب بجامعة نيويورك، يبحث آثار الإكثار من الأحماض الأمينية في طعام الناقهين من جراحات المعدة، فخطرت له فكرة طريفة: لم لا تعطى هذه الأحماض قبل إجراء الجراحة؟

اختار الدكتور كوتوى ومساعدو لهذه التجربة أربعة من المصابين بقروح المعدة، لم ينجح علاجهم بالطرق المتبعة في مداواة هـذه القروح، فضعفوا حتى صار لابد من علاجهم بالجراحة. فطفقوا يزودونهم في طعامهم بما لا غنى عنه من الأحماض الأمينية تحت إشراف مستمر، فتحسنت حالهم تحسناً رائعاً. ثم أعادوا التجربة على ٢٦ مريضاً آخرين، فاقتنع الأطباء بأنهم عثروا على باب جديد يفضي إلى علاج المشكلة التي طال عليها الأمد، مشكلة قروح المعدة.

فلما كثروا مقادير الأحماض الأمينية في طعام المرضى، خفت آلامهم في ٢٤ إلى ٤٨ ساعة، وزالت جميع أعراض الضيق التي تصحب هذه القروح، وازداد وزنهم، واشتدت قوتهم ونشاطهم شـدة ظاهرة، بل لقد تبين من الفحص بالأشعة أن القروح اختفت في بعض الحالات اختفاء تاماً، أو استحالت في سائر المرضى إلى ندوب جروح قد اندملت.

وعلل الدكتور كوتوى وزملاؤه ما حدث بسببين: الأول أن الأحماض الأمينية قد قللت حموضة المعدة، والثاني أن المرضى استطاعوا أن يقتاتوا دون إرهاق للمعدة الضعيفة، بأكثر من ثلاثة أضعاف نصيب الشخص في طعامه من المواد الزلالية ـــ بيد أنها كانت محللة لا تحتاج إلى جهد الهضم. وهـذا القوت الغني بعناصر القوة، والذي تخلو منه الأطعمة

الرقيقة التى تعطى عادة للمصابين بهذه القروح ، قد يسّر للجسم المادة البانية التى ينمو عليها النسيج الجديد .

فمنذ ذلك الحين عولج بهذا العلاج كثير من المرضى فى مستشفيات مختلفة ، فأسفر عن نفعه فى أكثر الحالات ، وجربه بعض المرضى من تلقاء أنفسهم أو بإرشاد الطبيب . على أن الأطباء يذكرون المصابين بقروح المعدة ، أنه لا يزال ضرباً من العلاج ولم يصبح بعد دواءً شافياً ، وأنه لا يقى المريض من النكسة إذا هو عاد إلى ما ألفه من عاداته القديمة فى شرب الخمر أو التدخين أو الأكل أو الهمّ أو إرهاق النفس — مما كان سبباً أحدث هذه القروح .

سيطرة على تخثر الدم

التخثر هو خاصة الدم الطبيعية التى تمنعه أن يسيل . فهو الذى يحقنه إذا نزف ، وهو الذى يعجّل اندمال الجروح ، ولكنه قد يكون أحياناً بليغ الأذى ، فربما تخثر الدم فى أوعيته من الجراحات أو الإصابات أو المرض ، فيسدّ مجرى الدم ، وهى الحالة المعروفة باسم السُّدَد . ويحدث أكثر هذا التخثر فى أوردة الساقين ، وكثيراً ما يحدث عقب النفاس ، فيؤدى إلى ورم مؤلم حائل اللون يعرف بالخثور الالتهابى الوريدى (ثرومبو فيليبيتس) ، فإذا انفصل عَلَق من هذا الدم الخاثر (يسمى سدادات) فقد تسرى فى أوعية الدم حتى تحتجزها الأوعية الصغيرة فى القلب أو الرئتين ، فتؤدى إلى الموت .

وقد أراد الأطباء أن يقهروا هذه العلة الخبيثة ، فالتمسوا عقاراً يستطيعون أن يسيطروا به على أسلوب تخثر الدم . وقد حسبوا حيناً أنهم عثروا على هذا العقار فى الهيبارين المأخوذ من نسيج رئة الحيوان ، غير أن الهيبارين كان باهظ التكاليف ، عسير الاستعمال ، عصىّ القياد . ثم وجدوا أن الحيوانات تصاب بنزف خطير يهلكها عقب اقتياتها البرسيم الفاسد ، فاستطاع الكيميائيون أن يستخلصوا المادة المؤذية من الدريس وسموها « ديكومارين » ، ثم عرفوا فى النهاية تركيبها الكيميائى فصنعوها وأطلقوا عليها اسم « الديكومارول » ، فإذا هى سلاح جديد لكفاح تخثر الدم .

و « الديكومارول » مسحوق لا طعم له ولا رائحة يمكن تعاطيه بالفم ، أو يجعل سائلا يحقن فى الجسم . وقبل أن يصفه الطبيب يفحص دم المريض ليعرف معدل تخثره ، ويجعل الجرعة منه على مقدار ما يقتضيه هذا المعدل . وقد درس أطباء معهد مايو الطبى أحوال طائفتين من المرضى

الذين أجريت لهم جراحات . أما الطائفة الأولى فلم تتعاط ما يقى دمها من التخثر ، وأعطيت الثانية الديكومارول . وقد حدثت السدادات ، وانسدّ الشريان الممتد من القلب إلى الرئتين (الشريان الرئوى) فى أكثر من ٤٣ فى المئة من مرضى الطائفة الأولى التى لم تتعاط شيئاً ، وكان معدل الوفيات من هذا الانسداد ١٨٫٣ فى المئة . أما الطائفة الثانية التى أعطيت الديكومارول فلم يحدث فيها التخثر والانسداد التاليان للجراحة إلا فى ١٫١ فى المئة من جميع الحالات ، وهبط معدل الوفيات من الانسداد الشريانى الرئوى إلى ٠٫٦ فى المئة .

وقد ظل أطباء مستشفى لينوكس هيل بنيويورك عشرة أشهر وهم يتتبعون حالات النفاس والجراحة ، فوجدوا ٣٣ مريضاً أصيبوا بالتخثر الالتهابى الوريدى وتسعة منهم بانسداد الشريان الرئوى ، فاستعمل الديكومارول بدقة فى علاجهم ، فأسفر عن نتائج باهرة . وكان تقرير الأطباء عن هذه الحالات أن التخثر الالتهابى الوريدى تلاشى حثيثاً ، وأن انسداد الشريان الرئوى لم يقض على أحد .

واليوم لا ينتظر الجراحون حتى تظهر هذه المضاعفات فيعالجوها بالديكومارول ، بل يبدأون باستعماله كلما وجدوا أن سن المريض أو تاريخ مرضه ، أو حالة بدنه ، أو طبيعة الجراحة التى ستجرى له ، يدل على احتمال حدوث التخثر . وكذلك كادت خاصة تخثر الدم تخضع لسيطرة الانسان .

قهر مرض النملة

النَّمْلة (الهربيس زوستر) هى الاسم الطبي لعلة معينة شديدة حادة الألم يظهر فيها على مجرى أعصاب الحس من الجلد طفح أحمر ، يكون أكثر ما يكون حول البدن (هو من الجسم ما عدا الرأس والأطراف) ،وفى العنق والأطراف أحياناً . وسرعان ما يستحيل الطفح إلى بثور صغار ونفط حكّاك مؤذٍ .وكثيراً مايقاسى المريض تباريح البراق العصبي (النيورالجيا) حتى بعد زوال الطفح بزمن طويل .

والنَّمْلة ليست مرضاً من أمراض الجلد وحسب . فالطفح ليس إلا آية ظاهرة لعلة باطنة ، فإن نوعاً من الفيروسات يشبه فيروس الحُمَاق (الجدرى الكاذب) يغزو بعض مجامع الأعصاب ، فيحدث التهاباً حادًّا فى أعصاب الحس التى تتصل بها . وقد ظهر أن الأطفال الذين يختلطون بالبالغين المصابين بالنملة قد يصابون بالحماق أيضاً .

وقد كانت النملة تعالج بضروب شتى من العلاج ، فكان نفط الجلد يعالج بالذّرور والغَسول والمراهم ، وكان الأطباء يحاولون تخفيف الآلام بالحرارة أو بالأشعة أو بسم الأفعى ، أو بخلاصة الغدة النخامية أو بالفيتامينات ، ولكن لم يكن أحدها علاجاً ناجعاً .

على أن الطبيبين توماس فيندلى وريبنولد بابتزر من كلية الطب بجامعة تولين قد أعلنا فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية أنهما قد وفقا إلى علاج النملة ، « بالطريقة الوحيدة الخليقة بإراحة المريض فوراً راحة كاملة » . ويتلخص هـذا العلاج فى شل منبع الألم فى مجامع الأعصاب أو خصل ألياف الأعصاب ، وذلك بحقنها بهيدروكلورور البروكين . ويصف الطبيبان حالة تعد مثالا : وهى امرأة كابدت النملة عشرة أيام دون أن تصيب شيئاً من الراحـة ، فحقنت بمحلول هيـدروكلورور البروكين « فانحسم الألم دون حاجة إلى علاج آخر » كما قالا .

وقد ثبت أن هذا العلاج ناجع فى الأدوار المبكرة من المرض ، ولكن الأطباء لم يصيبوا توفيقاً فى إراحة الزَّمْنى من آلامهم ، كما أن علة الوجه والرأس لا ينجح فيها هذا العلاج لسبب له صلة بالأعصاب المختلفة المصادر فى الرأس والوجه .

الخلاص من صداع الشقيقة

إن الذين يصابون بالصداع المألوف فيكثرون من الأسبيرين ، لا يدركون كنه الصداع الذى يستحق أن يوصف بالعنف والشدة ، والذى لا يعرفه ، كما يقول الأطباء ، إلا من يكابدون الشقيقة (صداع نصف الرأس) التى يكون أكثر المصابين بها من النساء . إن هذا الصداع المبرح يتردد على المريض حيناً بعد حين ، وقد يمكث ساعات أو أياماً ، ويصحبه دوار وغثيان وكلال فى البصر . والذين يصابون به يخشون عودته بذعر كذعر المقضى عليه بالموت .

ظلت الشقيقة زمناً طويلا لغزاً من ألغاز الطب ، وعزيت إلى الوراثة ، والاستهداف ، وإصابات الرأس ، وبعض الأمراض . ولكن الأطباء لم يجدوا لها علاجاً سوى المسكنات ومركبات الأفيون التى كثيراً ما تذهب سدى أو تؤدى إلى فرج يسير .

ولبث الأطباء زمناً يعلقون رجاءهم على عقار يدعى طرطيرات الإرجوتامين ، يحسم الصداع المبرّح على الفور فى قرابة تسعين فى المئة من المرضى الذين يعالجون به ، ولكن ضرره كان أكبر من نفعه فى بعض الأحيان ، فقد كانت سرعة النبض تقل ، وكان ضغط الدم يرتفع ، وتكابد

المريضة تشنجاً في العضلات واضطراباً في الحيض، بل كان اضطراب دورة الدم يؤدي أحياناً إلى انسداد الشرايين وإلى الأكلة (الغرغرينا).

على أن الكيميائيين قد وفقوا في السنوات القلائل الماضية إلى اشتقاق عقار آخر من العقار القديم، أوفى منه بالغرض، يدعى داى هيدرو إرجوتامين، ويسمى اختصاراً (د. هـ. ٤٥١)، يبدو أن له كل مزايا طرطيرات الإرجوتامين دون أن يكون له في أكثر المرضى أثر من أضراره.

وقد جرب الدكتور بايارد ت. هورتون ومعاونوه في معهد مايو الطبي هذا العقار في طائفة كبيرة من مرضى الشقيقة، كانوا يعالجون بطرطيرات الإرجوتامين منذ حين. وكانت العواقب تتراوح بين الجيد والباهر في ٩٢ في المئة من المرضى المعالجين بالعقار الجديد، يقابلهم ٧٧ في المئة من المرضى المعالجين بالعقار القديم.

وتجلى الفرق في حالة امرأة كابدت الشقيقة على أتم صورها ٣٠ عاماً، وكانت تعالج بطرطيرات الإرجوتامين كل يوم طوال خمس سنوات. وكانت تظل عقب حقنها بهذا العقار عاجزة عن المشي المنتظم بضع ساعات، لحدوث آلام في ساقيها كآلام التشنج، وانقطع طمثها أو كاد، فلما استبدل هذا العقار الجديد بالعقار القديم زالت آلام الساقين، وفي الشهر التالي حاضت حيضاً طبيعياً لأول مرة منذ سنتين، واختفت آلام الشقيقة.

ولا يزال العقار الجديد تحت الاختبار، وهو الآن ليس في متناول عامة الناس، ولكن إذا صدقت الآمال الحاضرة، فقد يكون هذا العقار رحمة سيقت في حبة إلى مرضى الشقيقة، وعُلالة يتعللون بها حتى يوفق الاطباء إلى السبب الحقيقي الذي يحدث هذا الصداع المبرح الغامض، وحتى يجدوا له علاجاً حاسماً.

مسرع التخلص

بلغ العروسان المحطة ليستقلا منها القطار في رحلة شهر العسل، ووقف الزوج أمام شباك التذاكر، وطلب دون أن يعي تذكرة واحدة. فلما ربتت عروسه على كتفه وقالت: «ولكنك يا توم لم تشتر سوى تذكرة واحدة».
أجاب دون أقل تردد

«ويحي! لقد نسيت نفسي!»

قصة حب شجية من الصحف اليومية

فى أى وقت من الليل

جاك فوستر

مختصرة من جريدة "ردكى مونتن نيوز"

كان الليل قد كاد ينتصف حين وضع جين لوال ، محرّر الأخبار بجريدة « ذى روكى مونتن نيوز » سماعة التلفون وقال لويللى ثورنتون: « حادث فظيع. تحطم سيارة. السائق مات. عجل به للطبعة الأخيرة ».

وتناول ثورنتون ، وهو محرر باب الوفيات ، السماعة وأجاب المتكلم : « آلو ، ويللى ثورنتون . قل . نعم ، والتر هنتون . حسن . كتبته . مهندس ، نعم ، اصطدم بسور المدرسة . كان يسير بسرعة ٧٠ ميلا فى الساعة . يا إلهى ! مات فى الساعة ١١ والدقيقة ٣١ . أهذا كل شىء ؟ شكراً » .

وقصد ويللى إلى ما يسمونه مجازاً « معرض الجثث » وأخرج ظرفاً معفراً عليه هذا الاسم « والتر هنتون — مهندس بناء » . وقلب القصاصات ، ودون النقط المهمة : خريج جامعة ييل ، درس هندسة البناء بباريس ، شيد عدداً من خير مبانى المدينة . يعد زعيما بين الشباب . متزوج .

وتلكأ ويللى وهو يقرأ القصاصة التى فيها قصة زواجه ، وكانت قد كتبت بعد أن عاد الزوجان من رحلتهما فى شهر العسل ، وكان اسم الزوجة قبل الزواج « كيتى تيرنر » وهى جميلة ، وكانت نموذجاً لمصور .

وقد كتب عنها محرر القسم الاجتماعى فى الجريدة يقول : « كانت المسز هنتون تبدو أجمل من صورها ، وقد أسرت إلىّ أنهما أقاما ببلدة صغيرة اسمها سانت برونو فى جزيرة كرستوف ، واتخذا شقة فوق تل يشرف على واد فيه نخل ، وكانت الحمائم تلقط الحب من أيديهما . وتقول المسز هنتون أنه كان شهر عسل بديعاً » .

ورد ثورنتون القصاصة إلى مكانها من الظرف ، وخطر له أن هذه قصة يخفق لها القلب ، ولكنها لا تصلح لنعى . وقلب قصاصات أخرى فيها أشياء عن حياتهما الاجتماعية ، ومآدب العشاء التى كانا يقيمانها ونجاح والتر المطرد . ثم عثر على خبر طلاقهما بعد ذلك بعامين ، وقد اتهمته زوجته بالقسوة والإهمال ، وقالت إن العمل وواجبات الحياة الاجتماعية استغرقت ليله ، حتى لم يبق ثم وقت يفرده لها .

وكتب ثورنتون النعى المألوف المبتذل ، ورمى إلى لوال بما كتب فوق المكتب .

وأدار لوال عينه فى الرقعة وسأل : « فى أى وقت مات ؟ » .

فقلب ويللى مذكراته وقال : « مات فى الساعة ١١ والدقيقة ٣١ » .

ومضى لوال يسأل : « ولماذا كان

هنتون يسير بهذه السرعة ؟ إلى أين كان يقصد ؟ انك لم تستقص نصف الخبر يا ثورنتون . وماذا عندك عن زوجته ؟ »

« مطلقة » .

« زوجته السابقة ، إذن اطلبها بالتلفون واسألها عن الحادثة وماعسى أن تقول فيها . وقد تبكى . وعسى أن تقول شيئاً شجياً ، وهذا خليق أن يكسب القصة طعماً » .

وطلب محرر الوفيات كيتى تيرنر وهو كاره ، وبعد دقائق أجابه صوت يغالب النعاس : « كلا يا سيدى ! الآنسة تيرنر غير موجودة . مريضة ، وفى المستشفى . مستشفى سانت جوزيف » .

وكان ويللى يعرف طبيباً فى المستشفى فطلبه . فقال الطبيب : « نعم ، أعرف المرأة التى تعنيها . كاترين تيرنر ، ولكنها ليست هنا الآن ، فقد ماتت » .

« أهذا صحيح يا بيل ! يا إلهى ! »

فمضى بيل يقول : « نعم . انفجرت الزائدة الدودية ، والتهب غشاء الأمعاء . ولما أشفت على الموت راحت تنادى زوجها السابق . . تعرفه . . والتر هنتون . وكانت تضرب الفراش بيديها وتصيح ، وتصيح وتصيح . فخاطبته بالتلفون ، فقال إنه سيحضر على الفور . ولكنه لم يحضر قط » .

فقال ويللى : « أنا أذكر لك السبب ، اصطدم بسور فمات » .

فقال بيل : « ما أعجب هذا ! ولكن لعله كان خيراً له أن لا يراها . وقد ألفت هذه الأمور ، ولكن هذه المرأة هزتنى حالتها حين أظلها الموت . فقد كانت تلهج بمكان اسمه سانت برونو ، وتنوح على شقة ووادٍ فيه نخيل ، وتذكر أزهاراً مرشوقة فى شعرها ، وحمائم تلقط الحب من يدها .

« وتالله ما كان أفظع هذا يا ثورنتون . وقبل أن تلفظ النفس الأخير ، بدت كأنها تبتسم وقالت : « إيه يا حبيبى ، أخيراً عدنا إلى سانت برونو . . مرة أخرى . ضع يدى فى يدك يا حبيبى ، ودعنى أتكىء عليك ، هكذا . . أنت ، أنت ، وأنا ، أنا ، مرة أخرى . . وفى شهر عسل جديد » . هذا ما قالته . ما أفظع هذا يا ثورنتون ! »

وكان لوال منحنياً على مكتب ثورنتون محاولا أن يقرأ ما يدونه ، وغطى ثورنتون السماعة براحته وأنبأه بما سمع من بيل .

فقال لوال : « هذا ما نبغى . هذا شىء عظيم ! والآن أسأله فى أى وقت ماتت . » .

وتلقى ثورنتون الرد من التلفون ، وخط الأرقام ببقية قلم فى يده ، وألقى لوال نظرة عليها ، فصاح بمحرر الأخبار : « أخل ثلاثة أعمدة على الصفحة الأولى : امرأة فاتنة . زوج سابق شهير . قصة إنسانية شجية » . ذلك أنها ماتت فى الساعة ١١ والدقيقة ٣١ .

هذا شاب من الجيل الثالث من آل فورد ، قد عزم أن يرد شركته إلى الذروة ، أو يخسر كل مايملك .



هنري فورد الصغير يقدم على مغامرة عظيمة

مختصرة من مجلة "تايم"

في ساعة متأخرة من ليلة في شهر يناير الماضي ، جلس رتشرد لنرد مدير قسم عمال فورد في اتحاد عمال السيارات وأخذ سماعة التلفون بيده . وكان رتشرد رقيق الصوت هادىء الطبع ، وطلب جون س . بوجاس ، المدير الرقيق الصوت الهادىء الطبع ، الذي يتولى عن شركة فورد علاقتها بالعمال .

قال لنرد : « اسمع ياجون . فلنسو هذا الأمر في الحال » .

فقال بوجاس : « لابأس »

وقد كان « هذا الأمر » هو المساومة بين اتحاد عمال السيارات وشركة فورد . فلم تنقض ساعتان في صباح اليوم التالي حتى كان لنرد وبوجاس قد سويا خلافاً ظلا تسعة أسابيع يتناقشان فيه مناقشة شديدة ، وكلاهما حريص كل الحرص ، ولكن بلا غضب . وقد وافقت الشركة على أن تزيد أجر العمال أربعة قروش ونصف قرش في الساعة ، ووافق الاتحاد على أن يعطي شركة فورد الضمان الذي طلبته وهو : أن يكف العمال عن الإضراب . فكانت قيمة هذا الاتفاق في نظر شركة فورد لاتقدر بمال ، لأن الشركة بُليت بسبعمئة وثلاثة وسبعين إضراباً في أربع سنوات ونصف سنة .

كانت شركة فورد تدفع لعمالها أعلى الأجور في صناعة السيارات (٣٠ قرشاً في الساعة) ، ولكن رئيس الشركة الجديد ، هنري فورد حفيد هنري فورد الكبير مؤسس الشركة ، اتفق مع العمال على أن يزيد أجورهم زيادة عظيمة يبلغ مجموعها في السنة ٣٩ مليون ريال . وقد كانت شركته تخسر ٣٠٠ ريال في كل سيارة تصنعها ، كما دلت على ذلك دفاترها . فلماذا قبلت هذا الاتفاق ؟

في سنة ١٩١٤ أقدم فورد الكبير على مغامرة عظيمة يوم جعل أجر العامل خمسة ريالات في اليوم ، فكان يومئذ أعلى

أجر فى صناعة السيارات . ولكن عبقريته الصناعية مكنته برغم ذلك من أن يبلغ الذروة بين صانعى السيارات . أما اليوم فأنت ترى هنرى فورد الحفيد قد أقدم على مغامرة أخرى عظيمة ، فقد عقد العزم على أن يرد الشركة إلى الذروة ، أو يخسر كل ما يملك .

لقد ظلت شركة فورد تتدهور منذ سنوات ، ففى سنة ١٩٣٠ كان نصيبها من سوق السيارات فى أمريكا أربعين فى المئة ، فهبط فى سنة ١٩٤١ إلى ١٨٫٨ فى المئة ، وقلت أرباحها بقلة نصيبها من السوق .

ثم جاءت سنوات الحرب فحسمت أسباب التدهور وزادت أرباحها ، ولكنها واجهت خطراً جديداً ، ذلك أن الإضراب قد أضعف قدرة الشركة وكفايتها . وقد كان فى وسع الشركة أن تظل بمنجاة عن الخطر ، ما دامت الحكومة توفى ثمن ما تصنعه للحرب . ولكن إذا جاء السلام فيومئذ يكفى تنكر العمال وإضرابهم للقضاء عليها . ثم لم يكد ينتهى شهران على يوم الظفر فى أوروبة حتى طالب اتحاد عمال السيارات بزيادة الأجور ٣٠ فى المئة . وقد حل هنرى فورد الشاب هذه المشكلة بأن توخى الصبر والحلم فى المساومة ، وبأن أطلع الاتحاد على حالة الشركة الحرجة . وإذا كان فورد الصغير قد حل أيضاً مشكلة زيادة الإنتاج ، فإن ما يقتضيه صنع سيارة فورد خليق بأن يقل .

وكانت خطوته الأولى أن عمد إلى مكاتب الإدارة العامة فأجلى عنها قدماء المديرين فقل ما يدفع من مرتبات فى هذه المكاتب نحو مليون من الريالات . وضم إليه طائفة من الشباب اليقظ ليدربهم ويعدهم حتى تصير الصفوة الجديدة التى تشرف على الإنتاج . ورقى من الشباب العمال من توسم فيهم خيراً ، وطوف فى البلاد فى أيام فراغه ينفخ حياة جديدة فى موزعى سياراته الذين يبلغ عددهم ٦٢٠٠ موزع .

وقد طاب هو نفساً بما سمعه منهم حين بلغ مجموع ما طلبوه مليون سيارة . ويبلغ عدد السيارات التى تصنعها الشركة الآن كل يوم ٣٨٠٠ سيارة من سيارات فورد وميركيورى ولنكولن إلى سيارات النقل ، تضاف إليها ٣٠٠ جرارة . وهو يرجو أن يزيد ذلك قريباً إلى ٥٤٠٠ فى اليوم ، ويومئذ لا تخسر الشركة شيئاً فى كل سيارة تصنعها . وسيكون لها فى السنة المقبلة مصانع لتجميع السيارات ومستودعات فى طول البلاد وعرضها ، فترتفع قدرتها على صناعة السيارات إلى ثمانية آلاف فى اليوم .

ولن ينقضى زمن طويل حتى تروع منافسى فورد رائعة أخرى ، ففى ناحية من مصنع « روج » الضخم ، تولت أيدى العمال

صنع نماذج سيارات فورد لسنة ١٩٤٧ ، ولن يحل شهر أكتوبر حتى تبدأ هـذه السيارات الجديدة تدرج خارجة من خطوط التجميع . وقد اختلفت الروايات التي تروى في مدينة دترويت عن أوصاف السيارة الجديدة ، فمنهم من يقول إنها سيارة فورد العتيقة دخل عليها بعض التحسين والتجميل ، وآخرون يقولون إنها سيارة جديدة كل الجدّة ، وإن لها محركا في مؤخرتها . وأيًّا ما كانت أوصافها ، فإن هنري فورد الصغير يرجو أن يبيعها بأقل مما تباع به أية سيارة أخرى .

جميع هذه الخطوات الجريئة السريعة حملت صناع السيارات على أن ينظروا إلى هنري فورد الصغير نظرة ملؤها العجب والدهشة . وهنري فتى في الثامنة والعشرين مديد القامة (طوله ٦ أقدام) وثيق التركيب (وزنه ١٩٠ رطلا) ، فهو قليل الشبه بجده النحيف الحديد البصر ، ولم يبد فيما مضى من حياته أثر ما من آثار عبقريته ولكن كبار صناع السيارات أخذوا اليوم يغيرون رأيهم فيه .

وقد تعلم هنري الصغير أصول صناعة السيارات في زمن أقصر كثيراً مما قدر له . ورأيه في أن العمال ينبغي أن يحملوا نصيبهم من التبعة مع رجال الإدارة ، ليس بالرأي الجديد ، فرجال صناعة السيارات ما فتئوا يحاولون منـذ سنين أن يلقوا على كواهل اتحادات العمال بعض التبعة . ولكن الجديد في الأمر أن فورد الصغير استطاع أن يحقق ذلك ، وكان في تحقيقه شـديد الدهاء . فقد جعل العمال أداة من أدوات المنافسة ، ويوم جاءه أحد صـناع السيارات ليغريه بالانضمام إلى جماعة من أصحاب المصانع تكون يداً واحدة ضد رفع الأجور قال له : « دبر أنت أمورك ، ودعني أنا وشأني » .

وقليل من أهل دترويت من يعرفه معرفة دقيقة ، وقد قضى معظم حياته تابعاً لجده أو لأبيه إدزل فورد . وقد ظل في صغره معزولا هو وأخوته عن سـائر أسرتهم ، فقد كان الرعب يملأ قلب أسرة فورد من مختطفي الأطفال ، وقلما سمح للصحف أن تُصورهم أو تنشر صورهم . وقلما خرجوا من بيتهم دون أن يتبعهم حارس متنكر .

ويوم ذهب هنري إلى المدرسة لم تبدر منه بادرة تدل على اهتمامه بالدرس والمطالعة . وكان حارسه هو مدرب السباحة في المدرسة ، ولكن رفاقه تبينوا فيه العقل وحسن التقدير ، فلما نشرت صـورته في كتاب المدرسـة السنوي ، كان مكتوباً تحتها : « فيك خير كثير لو أحسنت الانتفاع به »

وفي سنة ١٩٣٦ دخل جامعة ييل ليدرس

الهندسة ، فلم تكد تنقضى سنة حتى تركها لأنها مملّة ، فتحوّل إلى دراسة علم الاجتماع. وبعض السبب فى تحوُّله أن آل فورد جميعاً من هواة علم الاجتماع ، ولأن أستاذ العلم كان يحسن تبسيطه لعامة الناس .

وظلّ فى الجامعة أربعة أعوام دون أن يظفر بالدرجات الكافية التى تؤهله للتخرُّج . فترك الجامعة فى سنة ١٩٤٠ . وفى صيفها تزوّج آن مكدونل ابنة سمسار غنى فى نيويورك . واعتنق مذهب الكاثوليك قبل زواجه بيوم واحد ، ثم سكنا فى بيتٍ أهداهُ أبوه إليهما .

وقد بدأ هنرى الصغير يدرس مملكة فورد الصناعية دراسة متمهِّل ، فدرس أصولها أولا ، فاشتغل بامتحان المحرّكات وتشحيم السيارات وسواها من الأعمال القذرة ، ولم يكن ثمة ما يدعوه إلى العجلة ، فوالده إدزل فورد فى السابعة والأربعين قويٌّ سريع الخطى ، وهو خليق أن يظل رئيساً للشركة سنين . وفى إبريل ١٩٤١ التحق هنرى الصغير بالأسطول وعين ضابطاً ، وعاد إلى مصنع «روج» ليدرّس الرياضيات فى المدرسة البحرية التى أنشئت فيه .

غير أنه لم يلبث حتى ألقى على كاهله بين عشية وضحاها عبء عظيم . فقد توفى أبوه بعد مرض لم يطل به ، وألفى الزمن لا يتسع لأن يترقى فى دراسة الصناعة من الأساس إلى القمة ، بل عليه أن يبدأ بالقمة حتى يبلغ الأساس . وقد تولى هنرى الجدّ تعليم حفيده ، ولكن اليد الحديدية التى قبض بها هنرى الكبير على أعنة مصانعه فيما مضى قد صارت ضعيفة خائرة ، وقد اضطر فى سبتمبر الماضى أن يتخلى عن الرياسة ، فتقدم هنرى الصغير لساعته ، وأخذ زمامها فى يده .

وقد جرى الحفيد على سنة جده فى الحزم والصرامة ، وإذا عشرات من كبار رجال الشركة قد أزالتهم مكنسة الرئيس الجديد . وقد أزال أيضاً بقايا سياسة الشركة حيال العمال ، وهى السياسة التى آذت اسمها وقللت بيع السيارات . وقد رأى أنه ما دام المديرون القدماء يديرون الشركة ، فسوف يظل اتحاد العمال يذكر تلك الأيام التى طغت فيها الإدارة على العمال ، ويأبى أن يصدق أن الشركة تنوى حقاً أن تتعاون مع الاتحاد .

وأدرك هنرى الصغير بفطنته أن فى صناعة السيارات أشياء كثيرة يجهلها ، فأنشأ لجنة تهيىء له الجواب عن كل سؤال ، وقد عيّن فيها خبراء فى كل باب : من شئون العمال إلى الإنتاج والتوزيع والإعلان وسواها .

إن المطمح الذى استأثر بلب هنرى الصغير هو أن يرد شركة فورد إلى المقام الأول بين شركات السيارات ، فلذلك تراه ماضياً فى

طريقه لا يلوى على شيء . وله في مبنى الإدارة مكتب صغير بسيط الأثاث كسائر مكاتب المديرين . وهو يستيقظ في الساعة السادسة صباحاً ، ويذهب إلى المصنع الذى يبعد اثنى عشر ميلا في سيارة جديدة ، ويعود مساء في سيارة جديدة أخرى . وهو إنما يستقلهما لكى يمتحنهما أشد امتحان . فتراه يرفع زجاج النوافذ ويخفضه ، ويتنزّى على المقاعد ، ويختبر جميع الأجهزة حتى يظل الرجال المشرفون على الإنتاج متيقظين لكل نقص ، متأهبين لكل إصلاح .

وفى أحد الأيام صَفَق أحد أبواب السيارة فسمع للباب رنيناً كأنه مصنوع من صفيح ، فغضب واستدعى رجال الإنتاج وصاح فيهم : « ألا تعلمون أن الذين يبيعون سيارات شيفروليه يأخذون زبائنهم إلى معرض سيارات فورد ، ثم يفتحون الأبواب ويصفقونها ، ويقولون لهم أسمعتم رنين الصفيح ؟ ثم يبيعونهم سيارة شيفروليه » . ثم سار برجاله أمام صف طويل من السيارات الجديدة على خط التجميع ، وجعل يفتح الأبواب ويصفقها ، فإذا سمع رنين صفيح في أحدها وضع عليه علامة لكى يصلح .

وقد صبرت مملكة فورد في السنتين الماضيتين على صدمتين كبيرتين نزلتا بها — وفاة إدزل فورد ، واعتزال هنرى الكبير عمله . وثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها قد دبرت أمرها حتى تتغلب على الصدمة المالية التى تنزل بها يوم يموت مؤسسها الكبير .

وسيبقى زمام الشركة في يد أسرة فورد ، فلذلك ترى الأسرة تضع الخطط لكى ينضم شقيقا هنرى الصغير إليه . فهذا بنسون فورد وهو في السادسة والعشرين ، وقد سرح من الجيش ، والغالب أنه سيتولى الإشراف على شئون العمل والصلة بالعمال . وهو حلو المعشر كثير الكلام ، وقد كان اهتمامه بالتعليم الجامعى أقل من اهتمام أخيه ، فلم يقض في جامعة برنستون سوى سنة واحدة . وأما الشقيق الأصغر — بيلى — ففى العشرين من عمره ، وقد درب لكى يلتحق بالأسطول . وهو يفوق شقيقيه في اهتمامه بالمسائل الميكانيكية ، وسيدخل جامعة ييل أولا ثم ينضم إليهما .

ويوم يتخرج بيلى من الجامعة ، يكون هنرى الصغير قد فاز في المغامرة التى أقدم عليها ، أو خسر كل شيء . ولكن هنرى واثق بأنه سيفوز ، وبأن علاقة الشركة بالعمال التى ظلت تزهق الشركة زمناً طويلا قد سويت تسوية حاسمة . والأساس الذى أقام عليه ثقته هو أنه منذ أن وضعت حرب اليابان أوزارها ، لم يقف العمل قط في مصانع فورد لإضراب وقع فيها .

هذه طبائع البشر

ذهبت مع زوجتى لزيارة جارة مضى على زوجها ثلاث سنوات وهو فى ميدان الحرب، ولم تلبث حتى تركتنا ومضت إلى المطبخ لكى تعدّ الشاى، وإذا بنا نرى شابًّا فى بزة عسكرية يقف أمام المدخل ويحدّق فى البيت تحديقاً طويلا، ثم يصعد السلالم ويفتح الباب ويدخل. ووضع متاعهُ على الأرض، وأصغى إلى الأصوات الصادرة من المطبخ.

فصفر لحناً خافتاً قديماً مألوفاً وعبر الردهة، وإذا بحركة المطبخ قد همدت، ورآها مقبلة نحوه. ثم وقفا وبينهما بضع أقدام وقد مدّ كل منهما ذراعيه وتلامست الأنامل. لم ينطق أحدهما بكلمة، ولكنهما قالا بأعينهما كلّ ما يستطيع الشباب أن يقوله بالعيون. ثم تنحنح، ودسّ يدهُ متمهلا فى جيبه وأخرج منه علبة سجاير، وقال هادئاً: « هـذه علبة السجاير التى خرجت فى طلبها لك ».

فشعّ نور سعادتها من عينيين مغرورقتين بدمع صاف كالبلور، ولكنها حين تكلمت كان صوتها كصوته هدوءاً فقالت: « شكراً يا حبيبى. لقد طال غيابك فى طلبها ».

ثم ضمهما العناق. فقمنا وخرجنا نتسلل.

[ثيو مدلنز]

للنساء منطق يحيرنى، ولزوجتى منطقها النسوى، فقد عادت منذ أيام من طواف طافته بالمخازن وهى تتغنى بالثناء على فستان كان غاية مُناها، رأته معروضاً فى واجهة أحد المخازن. وبعد أسبوع من الجدال فى أمره سامت لها بما تريد، فمضت فرحة لتشترى « منية قلبها ». ثم لم تلبث أن عادت فارغة اليدين فسألتها عن ذلك فقالت: « وجدت الفستان لم يزل معروضاً فى الواجهة فقلت لنفسى: إذا لم تكن ثمة امرأة أخرى تريده، فأنا أيضاً لا أريده ».

[دونلد مويتكر]

وقفت سيارة الركاب بنا فى مدينة صغيرة فدخلتها شابة حسناء، وجعلت تشق طريقها فى الحشد المزدحم جلوساً ووقوفاً قاصدة مؤخرة السيارة، فقدم لها أحد الرجال مقعده، وقال: « لا يسعنى أن أجلس وأنا أرى سيدة واقفة ». وإذا صوت سيدة يرتفع من مقدمة السيارة فيقول: « دعونى أنظر كيف يكون الرجل صاحب المروءة ».

فردّ الرجل: « خيرٌ لك أن ترى أولا كيف تكون المرأة ذات الجمال ».

[س. د. برجنابر]

كان أبلد من لقيته فى حياتى رجلاً كان فى شبابه محامياً فى بلدة صغيرة ، وكانت سيرته تبشر بالنجاح ، ولكنه لم يزل منذ ثلاثين سنة يرتزق مما يفتح الله به عليه من عمل طارىء . وكان أعظم همه أن يجلس على باب دكان فى البلدة ، فى زمن الصيف ، ويتخذ مجلسه قرب الموقد فى زمن الشتاء يجاذب المارة والزبائن أطراف الحديث . فسألته ذات يوم لمَ نفض يديه من حياة المحاماة . فقال : « يا أخى ، كنت كلما ازددت على العمل إكباباً ، ازداد العمل كثرة . فلو كنت مضيت أعمل على هـذا النحو ، لكان ما لم أنجزه أكثر من الذى أنجزت ، فمن أجل ذلك لم يسعنى إلا أن أنفض يدىَّ منها قبل أن أتورَّط » . [جفرى توماس]

فى مساء يوم زواجنا تعطلت بنا سيارتنا فى مكان ناءٍ عن العمران فى ولاية مشيجن ، فسرنا مسافة طويلة على أقدامنا حتى رأينا بيتاً يشعُّ منه ضوء ، فمضينا إليه وقرعنا الباب ، ففتحه شيخ وامرأته العجـوز الشمطاء .

فقلت : « لقد تعطلت سيارتنا ، فخطر لنا أن نلجأ إليكم عسى أن تسمحوا لنا أن نبيت عندكم الليلة » .

فنظر الرجل إلى زوجته نظرة مرتاب وتمتم : « نحبُّ يا صاحبى أن نجيب طلبكم ولكن . . . » وقبل أن يأتى على آخر كلامه ، رفعت زوجتى يدها لتسوى شعرها فوقعت بضع حبات من الأرز إلى الأرض ، فعلمت العجوز أننا فرغنا لساعتنا من عقد القران .

وإذا عيناها تلتمعان ، فقاطعت زوجها وقالت : « طبعاً يا أولادى ، هـذه الدار داركم . هيَّا استريحا قليلا حتى أرتب لكما حجرة الضيوف » .

وبعد دقائق سارت بنا إلى حجرة وجدنا فيها سريراً مريحاً ومائدة عليها شاى وكعك وبعد أن تمنَّت لنا ليلة سعيدة خرجت وأوصدت الباب .

فلما أسفر الفجر خرجنا نتسلل ، وإذا زوجتى تلمس ذراعى وتقول همساً : « انظر » . فنظرت فرأيت فى ضوء الفجر الأغبر تلك السيدة العجوز جالسة على المقعد فى الردهة متدثرة بشالها الأحمر ، وكان زوجها يغط نائماً على الكرسى نومة لا تريح .

فعدت إلى حجرة الضيوف وأضفت عشرة ريالات إلى الخمسة التى كنت قد تركتها على المائدة . [لافاييت إستش]

فى مخادع الناس من التاريخ

ستيفان زفايج

مختصرة من كتاب «مارى أنطوانيت»

أحداث التاريخ التى نجمت وراء الحجب المسدلة على مخادع الملوك ، هى أكثر عدداً وأخطر شأناً مما يظن الناس . بيد أنك قلما تجد حدثاً تتجلى فيه الصلة الوثيقة بين أسرار الحياة الخاصة وبين آثارها فى تاريخ العالم السياسى ، جلاء أبين ولا أوضح منه فى حياة اختلطت فيها المآسى المبكية بالمهازل المضحكة — هى حياة لويس السادس عشر وزوجته مارى أنطوانيت .

لما تزوجت مارى أنطوانيت النمسوية الصغيرة الفاتنة وارث عرش فرنسا ، خرجت من فينا إلى باريس فى مركبة فخمة مكسوة بالحرير ، فى حاشية عظيمة ، وكانت الحفاوات والاستقبالات التى لا آخر لها تضطرها إلى الريث فى الطريق ، ثم جرى الاحتفال بالزواج بين أعظم مجالى الأبهة فى كنيسة فرساى ، وتلت ذلك مأدبة عشاء ملكية فخمة ، ورافق الملك لويس الخامس عشر العروسين الصغيرين اللذين كانا عمرهما معاً لا يكاد يتجاوز الثلاثين ، إلى مخدعهما .

وقد ظل هذا الزواج — إذا اعتبرنا الغاية الجوهرية منه — سبع سنوات فظيعة سخيفة لا يحقق هذه الغاية ، فلا حفلة البلاط ولا المراسم العليا للزواج استطاعت أن تتغلب على قصور ولى العهد . وقد ظن فى البداية أن الغرارة وحدها هى التى جعلت هذا الفتى الذى كان فى السادسة عشرة من عمره ، زوجاً مخفقاً ، فلما انقضى عامان ولم ينجبا طفلاً شاع القلق ، فقد كان هذا الزواج رمزاً للمحالفة الودية بين أسرتى هابسبرغ وبوربون المتنافستين المحتربتين ، وكان سلام أوربة رهناً بثمرته .

وسرعان ما أورث لويس شعوره بقصوره الجنسى كل مظاهر العقدة النفسية وشعور الضعف . ولما كان قد عجز عن القيام بدور الرجل فى مخدعه ، فإنه لما تولى الملك لم يستطع أن يقوم بدور الملك أمام الناس ، فكان لا يستطيع أن يتحدث إليهم ، أو أن يمضى مشيئته . وكان إذا تنبهت إرادته ، وقلما كان يحدث ذلك ، يشتط ويسرف فيصبح جافياً فظاً ، وكان يجد فى ركوب الخيل ساعات طويلة ، والخروج لصيد الخنازير البرية ، وإجهاد جواد بعد آخر ، وفى الضرب بالمطرقة فى المكان الذى اتخذه للحدادة ، عوضاً تتخذه دليلا على قوة بدنه ،

فيتسنى له أن ينسى ما به من نقص وبيل . ولكن شعوره بالخجل من زوجته الصغيرة أفضى به إلى كارثة ، ذلك أنه لما عدم القدرة الطبيعية ، ومظهرها العقلي وهو الإرادة ، لم يستطع أن يكبحها عن حماقاتها ، فكان وزراء الدولة ورجال البلاط يخامرهم اليأس إذ يرون السلطة الملكية تنتقل إلى يديها النزقتين . وأخيراً ، وبعد سبع سنين ، خف جوزيف إمبراطور النمسا إلى باريس ليشجع صهره على احتمال جراحة يسيرة ، وكان طبيب البلاط قد أشار بذلك قبل خمس سنوات للتغلب على هذه العلة العضوية التافهة التي كان يعانيها الملك لويس ، وكانت ماري أنطوانيت قد بذلت أقصى ما في وسعها لإجراء هذه الجراحة ، غير أن لويس كان أشد تردداً من أن يستقر له عزم على مثل هذا النهج الحاسم — والآن تم ما كانت الحاجة تدعو إليه ، ولكن بعد فوات الأوان ! فقد تم في هذه السنوات السبع تشويه شخصيتي الملك والملكة ، وأوجدت علاقاتهما النفسية عوامل وقوات وطيدة في حياتهما الزوجية ظل عملها مستمراً بعد ذلك ، وحتى بعد أن رزقا عدة أطفال ، ظل ملك فرنسا عبداً لماري أنطوانيت .

كانت أنطوانيت أنثى كاملة بالفطرة : فكانت رقيقة القلب ، بينة الأنوثة ، خلقت لتكون أماً لأولاد كثيرين . ولما كانت تهتاج لما بها في أعمق أعماق نفسها ، ولا يشفي لها غليل قط ، فقد سفلت الروح السامية في هذه الطفلة المدللة ، وتحولت إلى شغف بالمتعة في صور فائرة فاضحة . وكما أن الملك وجد ملاذاً في متاعب الصيد ، كذلك وجدت الملكة متنفساً لعواطفها في صداقة حارة مع النساء ، وفي مغازلة ذوي الوسامة من الشبان ، وفي السهر إلى الخامسة صباحاً في حفلات التنكر . وكانت تعتريها لحظات من الكآبة الحادة تريها أن هذه الخفة غير مستساغة . فلما تيسر أخيراً أن تصبح زوجة وأماً ، تحولت ماري أنطوانيت إلى مخلوق آخر ، وصارت رزينة قوية الإرادة وجريئة ، غير أن هذا التحول جاء بعد الأوان !

ومثل هذه المأساة ، يكون في العادة أمراً خاصاً ، ولكن الزوج والزوجة هنا كانا ملكا وملكة ، فكفاية الملك أو قصوره ، وعقم الملكة أو خصبها ، مسألة تعني الدولة ، لأن وراثة العرش رهن بها ، ومصير الدولة مرتبط بما يكون من أمرها . وقد كانت جميع سيدات البلاط ، والفرسان والضباط والخدم حتى الغسالات ، لا يكفون عن اللغط بهذا . ولم يكن قصور

الملك معروفاً في فرساي وحدها ، بل في شوارع باريس أيضاً ، وفي فرنسا بأجمعها .
ولما كان عجز ملك من أسرة بوربون أمراً له قيمة سياسية بارزة فقد اهتمت به بلاطات الدول الأجنبية ، وامتلأت بحديثه التقارير التي كان يرسلها مبعوثو بروسيا وسكسونيا ، وسردينيا ، وإسبانيا ، وكان الملوك والأمراء في أوربة قاطبة يتضاحكون من زميلهم الغرير المخفق .

وكان الزوج والزوجة أيضاً عرضة سخرية لا رحمة فيها . فكان أهل الفكاهة من رجال البلاط لا يزال بعضهم يسأل بعضاً عن هذه الملكة الصغيرة الجميلة كيف تُرى سترفّهُ عن نفسها . وشاعت الشكوك لا يكبحها كابح وإن كانت لا أساس لها ، فإذا ركبت الملكة مع فارس وسيم فإنه لا بد أن يكون عشيقها ، وإذا تمشت في الحديقة صباحاً مع سيدات القصر ورجاله ، فلا بد أن تكون قد حدثت عربدة لا يتصورها العقل . وأذاع المشنّعون قصائد عن معاشق الملكة ، وسرعان ما طبعت وقرأها الشعب .

ولم يكن عن مصادفة أن وقفت الأمة بسرعة على قصور الملك ، وأحاطته بالأكاذيب الخبيثة عن الملك ، فإن القضاء على السلطة الملكية لم يبدأ بالهجوم على سجن الباستيل ، وإنما بدأ في قصر فرساي ، ففيه كان يعيش أقرب أهل لويس إليه ، وكانت لهم مصلحة خاصّة قوية في إحباط آمال ماري أنطوانيت .
وكان إخوة لويس الثلاثة أعظم ما يكونون اغتباطاً بإخفاقه ، لأن ذلك يتيح لهم فرصة حسنة لم تكن متوقعة لاعتلاء العرش . وكان أكبرهم — الكونت دي بروفانس — يشق عليه دائماً أن يكون له المحل الثاني ، وكان ثانيهما مثل لويس بغير عقب ، فكان ثالثهم — كونت أرتوا — وله أبناء يخلفونه على العرش ، أحلقهم بأن يكون أعظمهم ربحاً .

وكان سوء حظ ماري أنطوانيت مبعث ابتهاج لكونت بروفانس وكونت أرتوا على الخصوص ، فإنه كلما تراخى الزمن على هذا الحظ السيء ، كانت آمالهما أقرب إلى النجاح ، فمن السهل أن نتصور حنقهما حين رُدّت إلى الملك القدرة . ومذ صار لويس السادس عشر أباً ، صار أقرباؤه من أخطر أعدائه ، وراحوا ينشدون بالدسائس ما استحال تحقيقه في الطريق القويم .
وهكذا وجدت الثورة الفرنسية أعواناً متحمسين لها في البلاط . ساعدت أيدي الأمراء على فتح الأبواب للثورة ، وزوّدوا رجالها بطائفة من خير أسلحتها .

ولما بدأت الدعوة إلى الثورة ، لم يجد الصحفيون من الأحرار المتطرفين عناء

فى البحث عن حجج تمكنهم من تصوير مارى أنطوانيت فى صورة زانية مستهترة سادرة ، فلما كانت المحاكمة اكتفى المدعى العام بأن يقتبس واحدة أو اثنتين من هذه الفريات ليضع عنق الملكة تحت حد المقصلة . وإنها لمن أعجب خدع التاريخ أن تترتب على التوافه فى ظاهرها نتائج يصعب تقدير قيمتها وخطرها : ففى حياة مارى انطوانيت كانت التجارب المضحكة الهينة الشأن فى العهد الأول من زواجها ، حاسمة فى نتائجها ، لا لأنها كونت شخصيتها وعينت مصيرها ، بل لأنها صاغت مصير العالم أيضاً .

لمحات من حياة العظماء

فى أحد متاحف فينا « بيان » كان يعزف عليه بيتهوفن العظيم . وذات يوم دخلت فتاة أمريكية وفتحته وعزفت عليه لحناً وهى لاهية . ثم التفتت إلى حارس المتحف وقالت : « ألم يأتكم أحد من كبار العازفين للاستمتاع بمشاهدة هذا البيان » . فقال لها : « إن بادرفسكى العازف البولندى العظيم زار هذه البقعة الطاهرة منذ عهد قريب » . فقالت : « ولابدّ أنه عزف على البيان لحناً رائعاً » فقال الحارس: « كلا يا سيدتى ، إن بادرفسكى لم ير نفسه جديراً بأن يمسّه بيده » . [هنرى فنك فى كتابه « ضحكات موسيقية »]

كان المخترع العظيم إديسون يتجوّل فى أرض معامله ، فرأى فى مساء فى الخريف طائراً صغيراً قد أصابه ما أعجزه عن ملاحقة سربه القاطع إلى البلاد الجنوبية الدافئة . فأخذه واعتنى به ، وبعد أيام تحسنت حاله وبدا قادراً على الطيران . ولكن منقذه رأى أنه قد يعجز عن أن يحتمل جهد الطيران مسافة طويلة ، فوضعه فى قفص وزوّده بكل ما فيه راحته من طعام وشراب ، وأرسل القفص إلى شركة نقل وطلب إليها أن تنقله على جناح السرعة إلى بلد فى جنوب أمريكا ، فإذا ما بلغها أطلقوا سراحه . [فرلسيز جيهل]

كان تشارلز ديكنز ، أينما ذهب ، يرتب أثاث حجرته ، وهو حامل بوصلة فى يده ، لكى يجعل رأس سريره متجهاً إلى الشمال ، فقد كان يؤمن بأن سريان تيار الأرض المغناطيسى فى جسمه من الرأس إلى القدم ينفعه أعظم نفع .

من التربية ما لا يجده الطفل إلا عند أبويه ، وعلى أيديهما ..

كيف ربّيت ولدى فى البيت

بقلم والده

مختصرة من مجلة « ذى روتيريان »

منذ عشرين سنة خلت أنشئ **بدأت** ولدى تنشئة تجعله يحيا حياة نافعة أساسها الثقة بالنفس . وكنت أعتقد أن الوالدين يرجئون شيئاً كثيراً من التبعات التى تتطلبها تربية أبنائهم ويكلونها إلى المدرسة ، وكان ينبغى أن تبدأ هذه التربية فى البيت قبل سن المدرسة بزمن طويل ، وأن يستمر البيت حريصاً على تعهدها طول سنوات المدرسة .

ويبلغ ولدى جون اليوم الثالثة والعشرين من عمره ، هو مولع بالألعاب الرياضية ومصاحبة الفتيات ، وله شغف بالقراءة ، ويحسن أيضاً معاشرة الناس . وقد أتم دراسته فى الجامعة فى العام المنصرم ، ويبشرنى ما أراه بنجاحه فى العمل الذى ارتضاه من أعمال الهندسة فى شركة فى ولايات نيو إنجلند .

كان الركن الذى يقوم عليه مذهبى فى تثقيفه هو أن أساس التربية جميعاً هو الاعتماد على النفس ، وأن قوام الاعتماد على النفس هو قدرة المرء على العمل بيديه .

وقد أخذت على نفسى عند ما بلغ جون الثالثة من عمره ، أن أدرب يديه على العمل ، فكنت أنبطح على الأرض وأساعده فى بناء بيت من قطع الخشب . كنت أدع له هو الرأى فيما يبنيه ، وكنت أنا أسدده وآبى عليه إلا أن تكون الجدران مستقيمة والزوايا قائمة والسقوف متينة ، فلقد أردت أن أعود أنامله على العمل الدقيق .

ولما بلغ جون الرابعة من عمره علمته استعمال الآلات ، وكنت أرى أن استعمال الآلات تدريب لليد والفكر جميعاً ، فهى تعلم حصر الجهد وإعمال الفكر ومعرفة السبب والمسبَّب ، وتنمى فى الولد الأناة والجلد وإتقان العمل باليد .

كنت إذا احتاج قفل الباب إلى تزييت أدعو جون ليعيننى ، وكان عمله فى بادىء الأمر لا يعدو أن يناولنى الآلات ، ولكن سرعان ما كنت أسأله عما يشير على به لخلع قفل الباب عن موضعه ، وكنت أعمل بما يشير به حتى يرى أن ما أشار به لم ينفع ،

فيعود يفكر فى المسألة ويحاول محاولة أخرى، وأخيراً يتهلّل محيّاه، فقد وقع على رأى صالح.

وقد جريت على نفس الطريقة فى تطهير بالوعة حوض الغسيل، أو إصلاح آلة الخياطة، أو ترميم دمية من الدمى، وكنت أسأله ماهى الآلات التى ينبغى لنا أن نستعملها وكيف نبدأ؟ ولما اشتد ساعد جون وقويت يداه، جعلت أشجعه على أن يتولى الأمر بنفسه. فلما بلغ الخامسة كان جون يقوم بجميع الإصلاحات البسيطة فى البيت، فكنت مثلا أقول: « إن سدادة حوض الغسيل قد انفصلت عن السلسلة يا جون » فما هو إلا أن يهرع إليها بآلاته ويعود بعد قليل ليقول: « لقد تمّ إصلاحها ».

كان بعض أصحابى يسخرون بفكرة تعليم الصغير أن يعمل بيديه، على حين أن المفروض أنه سيكسب معاشه فى عمل يقتضيه إعمال الفكر، بيد أننى أصررت على رأيى. وقد ظفر جون بعمله الراهن لأنه عرف كيف يفيد فى تعليمه الجامعى فائدة تنفعه فى الحياة، على حين ترى بعض زملائه ممن يبذّونه زكانةً وعقلا، قد لقوا عنتاً كبيراً فى البحث عن عمل. فلقد أتاح له تدريبُ يديه تدريبَ فكره منذ الصغر.

ولما كبر الولد وأخذ يسأل: « كيف تدور هذه الآلة؟ » كنت أرد على أسئلته قائلا: « كيف تظن أنها تدور؟ » وكثيراً ما كنت أبعث السرور فى نفسه بقولى: « فككها وانظر بنفسك » وقد فكك وأنا أرقبه آلات مما يستعمل فى المطبخ، ومدفأة كهربائية، وآلة قطع الحشائش وغيرها. وكنت أنا أيضاً أتعلم بذلك كيف تدور هذه الآلات، لأنى لست ميكانيكياً.

والآن ما من شىء فى البيت أو فى السيارة لا يستطيع جون أن يصلحه، لأنه يفكر فى طريقة دورانه، ويرقب عمَلَ الأجزاء التى يفككها، ويستنتج علاقة بعضها ببعض على أن أهم ذلك كله أن تدريبه جعل نظرته إلى العالم نظرة الباحث المنقب الذى يريد الوقوف على سرّ كل شىء.

وأخذ جون يستعمل آلة كتابتى ولما يكد يتعلم الكلام، وظل عدة أسابيع يكتب سطوراً لا معنى لها. ووجدت يوماً ورقة كُتب عليها كلمة « ساخن ». فقد فكر جون فى بحثه عن كلمة حقيقية يكتبها فى الكلمات المكتوبة على حنفيات الحمام، وكذلك قام بأول عمل أدبى، ثم ساعدته الكتابة على الآلة الكاتبة أن يتعلم الهجاء.

وكنت أنا ووالدته نحرص دائماً على أن لا يرضى بأى إيضاح أو تفسير لا يجيب إجابة وافية على ذلك السؤال البسيط: « لماذا؟ » فكنا نسأله أولا رأيه فى المسألة

فإذا عجز أو عجزنا نحن عن إجابة مرضية، رجعنا إلى الكتب أو إلى المراجع الفنية. ولقد اصطحبته مرة إلى مصنع لإصلاح السيارات ليوضح له ميكانيكى هناك سر شىء فى السيارة لا يحيط علمى بتفسيره.

ولقد جهدت منذ نعومة أظفار جون أن أوجد فى ذهنه «صورة» من كل نظرية أو قاعدة. سألنى مرة لماذا لا تغرق البواخر المصنوعة من الصلب، فإن قطع الصلب كما يرى تغرق إذا وضعت فى الماء. فجهدت أن أفسر له الأمر ولكنه لم يدركه، وحدث بعد ذلك بأيام أن كان جون يلهو بتعويم مراكب صغيرة فى الحمام، فأتيت بثقالة ورق وآنية طهى زجاجية، وأريته أن ثقالة الورق تغوص إذ هى وضعت فى الماء، أما الآنية الزجاجية وهى أثقل فإنها تعوم. وفجأة أدرك جون القاعدة. ولقد سمعته بعد ذلك يشرح لشخص كبير نظرية الأجسام الطافية، ولم يكن يفهمها من قبل.

ولما جاء جون من المدرسة يوماً وقد حضر أول درس فى الجغرافيا، أخذت أعلمه كيف ينمى إحساسه بالعالم. فاشترينا له كرة أرضية مصورة لغرفته خاصة، واقتفينا أثر رحلات خرستوف كولومب عليها، كما أشرنا إلى البلاد التى ورد ذكرها فى القصص التى كان يقرأها. وسرعان ما أخذ جون من تلقاء نفسه يدعو إخوانه إلى غرفته ليقوم معهم برحلات حول العالم. وكان زهوه وتحدثه بمعلوماته الجديدة يوسعان آفاق عقله وآفاق عقول أترابه أيضاً.

وقد خطر لى أن النظر إلى العالم نظرة عامة ينبغى أن يضاف إليه النظرة الفاحصة الدقيقة، فإن المقارنة تنمى خيال الأولاد. لذلك اشتريت مجهراً مستعملا، فلما جمع جون بعض الحشرات وأوراق الأشجار والزهور وقطعاً مختلفة من الصخور، تكشف أمامنا عالم جديد تحت المجهر.

وقد تقول: «ولكن ألا يقتضى ذلك وقتاً طويلا وصبراً عظيما؟» أما الوقت فلا، وأما الأناة والصبر فنعم. فإن الوالدين جميعاً سواء أكان لهم ولد واحد أم أربعة، يبذلون من وقتهم أكثر مما يتصورون، فى الإجابة على أسئلة صغارهم ومراقبتهم وتسليتهم. ولقد جهدنا أن نستخدم هذا الوقت استخداماً نافعاً، فحولنا مجرى الأسئلة التى كان يسألها إلى ألعاب ومغامرات حفزته إلى البحث والتنقيب، إما وحده وإما مع أصحابه ولداته. وإن حماسة الطفولة وتوقدها تمكنه من تنفيذ كل مشروع، ولا يعوزه ثمة إلا شىء طفيف من اهتمام الوالدين بين الفينة والفينة، كما يظل الطوق يجرى بلمسة خفيفة تدفعه

على أن تعليم جون كانت له فائدة أخرى، فقد أغنى عقولنا بعلم وافر، فكنا إذا رجعنا إلى المراجع للبحث عن إجابة لأسئلته، تكشفت أمامنا ميادين جديدة ممتعة . كذلك ألفينا أن صبرنا وأناتنا فى تربيته كانت قرضاً حسناً ، وجاءتنا بخير العواقب ، فإنك إذا زرعت فى طبيعة ولدك عادات كريمة منذ نعومة أظفاره ، كفيت نفسك مؤونة ما تبذل من جهد فى سبيل إصلاح أخطائه فيما بعد ، إذ أن الضرر كل الضرر فى فراغ الولد من عمل يعمله ويصرف إليه اهتمامه .

كان جون غلاماً كسائر الغلمان يقضى وقته مثلهم فى اللعب واللهو ، ولكننا جهدنا فى أن نجعل زمن طفولته مفضياً به إلى حياة مقبلة ، وذلك بتحويل ميوله الطبيعية إلى أشياء يفيد منها تدريباً وتتيح له فى الوقت نفسه متعة وتسلية . ولم يخامره قط أنه كان يتعلم ويتثقف .

ولعل من خير ما فعلناه أننا كنا نعامل جون كما نعامل الكبير البالغ . إن مخايل الزهو التى كانت تبدو عليه حين يعرض كرته الأرضية المصورة أو مجهره على لداته، جعلتنا ندرك أن للطفل عزّة وكرامة يذلها الآباء إذا هم أعطوا أبناءهم لعبة تافهة لا قيمة لها أو معنى . ولقد قررنا من يومئذ أن لا نعطى جون إلا أشياء الرجال ، كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا . طلب إلينا مرة صندوقاً صغيراً للآلات ، فاشترينا له مجموعة كاملة منها . ولقد وجدت أن ذلك علم جون احترام الآلات ، وأنه كان نفقة آتت ثمارها وشيكا .

وفى السنة التالية تعاونت أنا ووالدته على جمع ما يكفى لنشترى له مطبعة يدوية وبعض الحروف . انظر كيف برقت عيناه، وتهللت أساريره لهذه الهدية ! وأدركت من فورى أنها فضلا عن فائدتها العملية ، تمكن جون من أن يكسب شيئاً من المال . فاقترحت أن نشتغل بالطباعة ونقوم بأعمال صغيرة لأهل الناحية ، ولما كان ذلك يقتضى شراء أدوات أخرى فقد استثمرت بعض مالى فيها ، وأصبحنا أنا وهو شريكين، وكنت أعمل معه فى المساء وبعد ظهر أيام السبت .

ولكى أعلم جون الفرق بين رأس المال المستثمر ورأس المال العامل ، أسسنا شركة وأصدرنا أسهماً لرأس المال، ورسمت صورة بسيطة للأسهم طبعها جون . وأخذ كل منا نصف الأسهم .

كانت الأرباح توزع بالتساوى ، بيد أنى أصررت على أن يحجز شىء من الأرباح لإضافته إلى رأس المال الثابت لشراء حروف وآلات أخرى، إذا حضرت الحاجة إلى ذلك،

ولكننا إذا احتجنا إلى مال لتمويل طلب لورق أو بطاقات مثلا فإن ذلك «هو رأس المال العامل» . وقمت بعمل الصرّاف ، وأقرضت رأس المال العامل هذا للشركة ، وطلبت منها سنداً بهذا القرض . ولقد أردت أن لا يهاب جون اقتراض المال ، وأن يتعلم كيف يحترم اسمه إذا وقع به على سند .

ودرجنا على أن نسافر فى البلاد معاً كلما أطقنا ذلك ، ليقف جون على علاقة تلك البقاع بما كان يدرسه فى التاريخ الأمريكى . وكذلك كنت أكل إليه المحافظة على مفاتيح الغرفة التى ننزل بها ، وأتركه يتولى حزم أمتعته بنفسه ، وإعطاء أجور الحمالين ، وشراء تذاكر القطارات ، ومراجعة عدد حقائب السفر إلى غير ذلك .

فلما فارقنا جون إلى الجامعة عدت إلى ما اقتصدناه وجربت تلك التجربة الخطرة ، إذ أعطيته ما يحتاج إليه طول السنة من المال دفعة واحدة وقلت له : « لن تأخذ أكثر من ذلك مهما كان من شىء ، وإذا اقتصدت منه شيئاً فهو لك . ولا تنس أن تبعث إلى كل شهر ببيان عن نفقاتك » .

فما اضطررت قط أن أرسل إليه مالا ، ولا ريالا واحداً فوق هذا المبلغ ، وإن كان قد قضى معظم سنته الأولى فى ضيق من جراء شرائه جهاز راديو ، بيد أنه فى نهاية السنوات الأربع كان قد اقتصد ١٣٣ ريالا . وكان هذا جزءاً هاماً من تعليمه الجامعى ، فلقد نما فيه الشعور بقيمة المال نمواً لا مثيل له إلا فى قليل ممن أعرف من أصحابى .

إن معظم الآراء التى جربتها فى تربية جون تدل على ذلك الضرب من التعلم الذى ينبغى أن يتلقاه الولد عن أبويه ولن يتاح له البتة تلقيه عن غيرهما . وقد يحتاج الأطفال الآخرون إلى غير ذلك من الأساليب ، غير أن المسألة كلها هى أن ندرك أن الطفل لا يزال يجمع معلوماته من يوم يبدأ يحرك شفتيه بالكلام ويحبو على الأرض ، وعلينا أن نفيد ما نستطيع من لهوه ولعبه وأسئلته وميوله الطبيعية . وأنت إذا حملت ما يخطر لولدك من أفكار على محمل الجدّ ، رأيته طوع يديك فيما تريد من تقويمه وتثقيفه .

* * *

بين أديب وأديبة

أرسلت مؤلفة أصول كتاب ألفته إلى الكاتب أمبروز بيرس ، وطلبت إليه ، أن يفرغ نقده للكتاب فى عبارة واحدة ، وأن يجتنب كل تعليق آخر ، فكتب إليها : « إن الشقة بين دفتى الكتاب بعيدة جداً » .

طريق مخوف

ليزد رسس
مختصرة من مجلة "سترداى رڤيو الادبية"

كان إيفان رجلا ضئيل الجسم جبان القلب حتى سماه أهل قريته « نعامة » لشدة جبنه ، وحتى كانوا يلقبونه « إيفان المخيف » تهكما به . وكان دأبه إذا دخل الليل أن يعرّج على الحانة الواقعة عند حدود مقبرة القرية . ولم يعبر إيفان أرض المقبرة قط فى طريقه إلى كوخه المنعزل الواقع عند حدودها من الجهة الأخرى ، وهو لو سلك هذا الطريق لكان أخصر الطريقين ، ولكنه لم يسلكه البتة — ولا فى رائعة النهار .

وذات ليلة من ليالى الشتاء ، إذ كانت الريح صرصراً وللثلج المتساقط وقْعٌ على جدار الحانة ، أخذ روّادها يتهكمون بإيفان كعادتهم فيقولون : « لقد ألقى الرعبَ فى قلب أمه وهو جنين فى رحمها عصفورٌ صافر » ، « إيفان المخيف — إيفان النعامة » .

وكان ضعفه فى ردّ عدوانهم يزيد سخريتهم به شدّة ، واشتدّ سفههم عليه ساعة تحدّاه أحد الضباط تحدياً منكراً فقال : « إنما أنت نعامة يا إيفان ، فأنت تسلك أطول الطريقين دائراً حول المقبرة فى مثل هذا الزمهرير — مخافة أن تجتازها » .

فجعل إيفان يتمتم : « لست أخاف أن أعبر المقبرة أيها الضابط . فما هى إلا بقعة من الأرض كسائر بقاع الأرض » .

فصاح الضابط : « أنا أتحدّاك أن تجتاز أرض المقبرة الليلة ، فإن فعلت فلك عندى خمسة دنانير — خمسة دنانير من ذهب » .

وعسى أن يكون الذى كان منه آتياً من سورة الخمر فى رأسه أو إغراء الذهب فى قلبه ، فما يدرى أحد لمَ قال إيفان وهو يمصمص شفتيه : « أجل أيها الضابط . سوف أجتاز أرض المقبرة » .

وتردّد فى جنبات الحانة صدى تكذيبهم له ، فغمز لهم الضابط غمزة بعينه ، وحل سيفه من نطاقه وقال لإيفان : « إليك ! فإذا بلغت وسط المقبرة فاغرز السيف أمام أضخم قبر هناك . فإذا أصبح الصباح قصدنا المكان ، فإذا رأينا السيف مغروزاً فى الأرض فلك خمسة دنانير من ذهب » .

فأخذ إيفان السيف وشرب الرجال تحيةَ « إيفان المخيف » وتعالت ضحكاتهم .

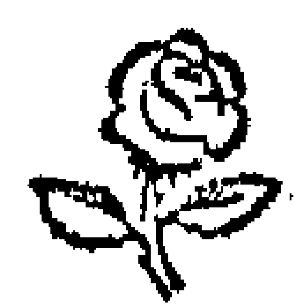
فلما خرج إيفان وأوصد الباب أحاطت به زمجرة الرياح ، وكان البرد قارساً ، فزرّ عليه معطفه الطويل وسار فى الطريق إلى المقبرة . وترامت إليه أصواتهم ، وكان الضابط أعلاهم صوتاً وهو يقول له : « خمسة دنانير يا إيفان — إذا بقيت حيًّا » .

ودفع إيفان باب المقبرة فانفتح ، وأسرع الخطو وهو يقول لنفسه : « إنها أرض ، ما هى إلا أرض . . كسائر بقاع الأرض » . ولكن الليل كان ظلمات بعضها فوق بعض ، فجعل يناجى نفسه : « خمسة دنانير من ذهب . . » . ولكن الريح كانت عاتية ، ووجد مس السيف فى يده كأنه قطعة ثلج ، وجعل جسده يرتجف تحت معطفه السميك الطويل ، فانطلق يعدو تصطك ركبتاه .

ولاح لعينه القبر الضخم ، ولعله بدأ عندئذ يُعْوِل ، فضاع عويله فى دوىّ الرياح ، فجثا على ركبتيه مقروراً مذعوراً ، وركز السيف فى الأرض الصلبة ، ومال عليه بكل قوته حتى غاص السيف إلى مقبضه . قضى الأمر . المقبرة . . التحدّى . . خمسة دنانير من ذهب .

وأراد إيفان أن ينهض قائماً ، بيد أنه لم يستطع حراكا ، وكأن يداً عاتية قاهرة تخلد به إلى الأرض . فجعل إيفان يتحلحل فى قبضتها يمنة ويسرة يريد أن يتملّص . واستبد به الهلع فجعل يلهث ، وهاله الرعب فارتعدت فرائصه ، وصرخ من الفزع ، ثم غرغرت فى صدره حشرجة المبهور .

فلما جاء الصبح وجدوا إيفان ملقى على الأرض أمام القبر الضخم فى وسط المقبرة ، قد ضرّب به الجليد فمات . كانت ملامح وجهه أبعد ما تكون عن ملامح من قتله البرد ، بل كانت ملامح إنسان مات رعباً . ورأوا سيف الضابط مركوزاً فى الأرض حيث غرزه إيفان — وإذا النصل قد أصاب ذيله معطفه الطويل ونفذ فيه .



خير معيار لخلق الرجُل ، هو الأشياء التى يفعلها فى خلوته ، إذا وثق أنْ لنْ يطّلع على سِرّه أحد .

[ماكولى]

تنتفع صناعات كثيرة « بنار كهربائية » خفية تتغلغل فى المواد فتسرع الإنتاج وتجود المصنوعات

حرارة الإشعاع تزيد الإنتاج وتنفع فى الطب

مختصرة من مجلة "بيبيولار سينس" الشهرية

ج . د . راتكليف

أعظم تقدم أدركه الإنسان فى الانتفاع بالحرارة منذ استخدم النار فى التسخين ، هو التسخين بأمواج الإشعاع .

ففى ثوان معدودات تبث هذه الأمواج السحرية حرارة فى الصلب حتى يصير أبيض متوهجاً . فإذا جُعل سيرها بطيئاً نفعت فى تقسية المطاط ، فيتم صنع عجلة خليقة أن يكون عمرها كعمر السيارة نفسها . ولهذه الأمواج نفع فى كل صناعة يحتاجون فيها إلى استعمال الحرارة .

وقد قال س . ج . برنسايد رئيس القسم الصناعى الكهربى فى شركة وستنجهاوس :

« إن حرارة الراديو من أعظم ما ظهر فى عالم الصناعة ، وسوف تزيد الإنتاج سرعة ، وتخفض النفقة ، وتجعل البيئة التى يعمل فيها العمال أنظف وأبهج ، وتمهد لصنع أشياء كثيرة كنا لا نقدم على صنعها من قبل » .

دلت التجارب الكهربائية الأولى على أنك إذا ما وضعت قضيباً من الحديد داخل لفة من السلك يجرى فيها تيار متقطع ، سخن الحديد . فالتيار الكهربائى فى السلك يحدث تياراً فى القضيب ، ولكن مقاومة القضيب لسير التيار فيه تولد الحرارة .

وقد عثر فريق من الباحثين بعد ذلك على ضرب آخر من حرارة الإشعاع ، فقد وجدوا أن المواد التى لا توصل الكهرباء (مثل الزجاج والمطاط والخشب) تسخن حين تضعها بين لوحين يجرى فيهما تيار متقطع ، فالتيار فى اندفاعه وارتداده يشد جزيئات المادة فى اتجاه معين أولا ، ثم فى اتجاه آخر فينشأ عن ذلك احتكاك بين الجزيئات — فتتولد الحرارة .

فهذه الطريقة الجديدة هى طريقة الحرارة المتغلغلة . وأهم مظاهرها أنها تولد الحرارة فى باطن المادة ، بدلا من أن تقحم الحرارة عليها من الخارج كما يتم فى جميع أساليب التسخين الأخرى .

وقد ظل نفع هذين الاكتشافين مهملاً

زمناً طويلا ، ولكن شركة « جنرال إيلكتريك » كانت تبحث فى سنة ١٩٢١ عن وسيلة تمكنها من أن تخرج الغازات المحصورة فى الأسلاك الفلزية التى تتخذها للأنابيب المفرغة (كالمصابيح الكهربائية) قبل أن تسدّ تلك الأنابيب وتختم . وكانت الحرارة تكسر الزجاج إذا ما أطلقت على الأنبوب من الخارج لكى تسخن أسلاكه فتطلق الغازات التى فيها . فلم يجد رجالها حلاً إلا أن يستحدثوا الحرارة بأمواج الإشعاع ، فيسخن سلك الأنبوب دون زجاجه .

وبعد ثمانى سنوات لاحظ الرجال فى محطة إذاعة تذيع أمواجاً قصيرة ، أن أبدانهم تصاب بسورة من الحمّى حين يكون عملهم قرب الأنابيب المفرغة الكبيرة . فرأى الدكتور ويليس هوتنى رئيس قسم الأبحاث فى شركة جنرال إيلكتريك ، أن سبب الحمى هو أن أمواج الإشعاع القصيرة تخترق أبدانهم . فأفضى ذلك إلى صنع آلات تولد فى البدن حرارة أو حمّى ، وهى تستعمل الآن فى معظم المستشفيات الكبيرة .

وبعد أن تم الانتفاع بحرارة الإشعاع على الصورتين السابقتين ، ظل أمرها مهملا حتى نشبت الحرب ، فتقدم الانتفاع بها تقدماً حثيثاً . وكان أبهر منافعها أنها وفرت القصدير لمصانع الحرب حين قلّ ما لديها منه .

فقد جرت العادة أن تحضر ألواح الصفيح التى تصنع منها علب الأطعمة المحفوظة وسواها ، بأن تتخذ ألواح رقيقة من الصلب ثم تغمس فى قصدير مصهور . فوجد رجال البحث أنك تستطيع أن توفر ثلثى القصدير إذا طليت به ألواح الصلب بالترسيب الكهربائى . ولكن قامت دون ذلك عقبة ، فالقصدير لا يطلى الصلب بطبقة متساوية الثخانة ، وإذا فحصتها بالمجهر تبينت فيها شقوقاً لا قصدير فيها . فالعلب التى تصنع من هذه الألواح لا تلبث حتى يتولد الصدأ فى شقوقها .

فجاء حل المشكلة عن طريق حرارة الإشعاع ، فقد صنعت لفة كبيرة من السلك سعتها ١٢ قدماً . ووضعت على خط التجميع ، وعلى هذا الخط تنقل ألواح الصلب التى طليت بالقصدير طلاء كهربائياً بسرعة ألف قدم فى الدقيقة ، فإذا ما مرّ اللوح خلال لفة السلك وله تيارها حرارة تكفى لصهر القصدير ، فينبسط عندئذ على الصلب طبقة متساوية الثخانة فى أجزائها جميعاً . فأدرك رجال الصناعة غرضين : تقليل ما يستعمل من القصدير ، وتعجيل ما يصنع من ألواح الصفيح .

وتستعمل حرارة الإشعاع أيضاً فى تجميد غراء اللدائن (العجائن الكيميائية) التى تمسك ألواح الخشب الرقيقة حين يلصق بعضها ببعض فى صناعة الخشب المصفّح

(خشب أبلكاش) . وقد كانت العادة المتبعة أن يجفف هذا الخشب فى أفران ، أو بأن يوضع بين ألواح يسخنها البخار . وهذه الحرارة تستغرق ساعات أو أياماً قبل أن تنفذ إلى جوف الخشب المصفَّح. وكثيراً ما يجمد غراء اللدائن فى الطبقات الظاهرة قبل أن تنفذ الحرارة إلى جوف الخشب ، فلذلك ظلت ثخانة الخشب المصفَّح محدودة لا تزيد على بوصة أو نحوها .

أما الحرارة المتغلغلة فتتخلل من فورها إلى قلب لوح الخشب المصفح ، وبفضلها صارت سرعة إنتاج القضبان المصنوعة من هذا الخشب لأجل الطائرات سبعة أضعاف ما كان . وكان صنع الزوارق من الخشب المصفح لإنقاذ الطيارين الذين يسقطون فى البحر يستغرق ستة أشهر ، فصارت تصنع فى ٢٦ يوماً : وقد أفضى الانتفاع بحرارة الإشعاع إلى اختصار الزمن اللازم لصنع القاذفة البريطانية المشهورة المصنوعة من الخشب المصفح — قاذفة موسكيتو . وفى وسع رجال الصناعة أن يصنعوا الخشب المصفح منذ الآن فى أى شكل يريدونه ، وبأى ثخانة يبتغونها ، ويمكن أن يتخذ عوارض فى بناء البيوت ، وأن تصنع منه ضروب الأثاث والزوارق التى كان صنعها منه مستحيلا إلى زمن قريب .

وتجفيف اللدائن المفرغة فى قوالب شتى الأشكال ، مشكلة كمشكلة تجفيف الخشب المصفح . فالحرارة التى تولدها آلات الضغط البخارى لا تخترق قوالب اللدائن إلا اختراقاً بطيئاً ، فلا تجف مادة القالب كلها جفافاً سوياً . وحرارة الإشعاع قد عجلت الإنتاج وجوّدت المنتجات. ففى صنع أجهزة التلفون زاد الإنتاج ٥٦ فى المئة ، ونقصت النفقات ٤٠ فى المئة . وقد كانت الأشياء التى تصنع من اللدائن أشياء صغيرة أو تافهة ، مثل قوابس النور ، ومنافض التدخين ، وأكر الأبواب ، والأزرار . وما ذلك إلا لأنه يشق على حرارة البخار أن تنفذ إلى جوف الأشياء الكبيرة التى قد تصنع من اللدائن ، أما اليوم فإن حرارة الإشعاع قد مهدت السبيل لصنع أشياء كبيرة مثل الأبواب والنوافذ وألواح الحيطان .

وأصحاب صناعات الفلزات يجدون فى حرارة الإشعاع منافع عظيمة . فعند شركة « بد » فى دترويت آلة تسخن قضيباً من الصلب ثخانته بوصة وثلاثة أثمان البوصة ، فتبلغ حرارته درجة ١٤٨٦ سنتجراد فى ثمانى ثوان . وفى شركة بد آلة أخرى ، لا يزيد حجمها على حجم جهاز راديو كبير ، تستطيع أن تسخن ما زنته خمسة أطنان من ألواح الصلب الصغيرة ، تدخلها الألواح

باردة من طرف ، وتخرج من الطرف الآخر حامية متوهجة صالحة للسبك . والآلة لا تشغل من مساحة أرض المصنع إلا ثلث ما تشغله الأفران المألوفة. والمصنع كله يكون جوّه فى الصيف أبرد وأطيب .

ومن مزايا هذا الضرب من الحرارة فى صناعة الصلب أنك تستطيع أن تحصر التسخين فى أى جزء من الصلب تريده ، فإذا ما أطفىء هذا الجزء بالماء ، كان الصلب فيه من أقسى ضروب الصلب . وهذه الطريقة تستعمل اليوم فى تقسية رؤوس المسامير وجوف الأسطوانات المستعملة فى محركات الجرارات ، وأسنان التروس . وهى خليقة أن تجعل أدوات المنزل المصنوعة من الصلب ، مثل ماكينات الخياطة وحاصدات العشب وسواها ، أطول عمراً .

وكان لشركة « فايرستون تاير آند رابر » محطة إذاعة بالموجة القصيرة ، وظلت مادة المطاط التى تعزل الأسلاك وأجزاء الآلات تتحطم بتأثير التيار الشديد الذبذبة ، فخطر للمهندس الباحث ج . ب . بوزمورث خاطر باهر . لماذا لا يستعمل حرارة الإشعاع لتقسية المطاط ؟ فوجد أن هذه الحرارة تقسّى مطاط عجلات السيارات والطائرات فى خمس الزمن الذى تستغرقه تقسيتها فى قوالب حرارة البخار . ويظفر فضلا عن ذلك بتقسية سوية لجميع أجزاء العجلة ، فتصير أطول عمراً . وقد شرعت شركة فايرستون تستعمل معدات كهيربية فى تجفيف مايصنع من المطاط لمقاعد السيارات والقطارات .

ولحرارة الإشعاع منافع كثيرة فى تحضير العقاقير والأطعمة ، فهى تجفف مسحوق البنسلين فى عشر دقائق ، وكانت الطريقة القديمة تستغرق أربعاً وعشرين ساعة . وتستعمل فى الفنادق أيضاً لإذابة الجمد عن رزم الأطعمة المجمدة .

وقد صنعت شركة جنرال إيلكتريك جهازاً جديداً ، هو آلة لبيع الطعام ، تضع قرشاً فى ثقبها فتسخن لك من فورها شطيرة من اللحم أو الجبن أو غيرهما . ومن الغريب أن الحرارة تسخن اللحم أو الجبن دون الخبز أو الورق الذى يلف به الطعام ، لأن محتويات الشطيرة أشد مقاومة لسير التيار الكهربائى من الورق أو الخبز .

وقد كان كل أسلوب جديد فى الانتفاع بالنار مرحلة من مراحل التقدم البشرى ، كاتخاذها فى التدفئة ، ثم فى طبخ الطعام ، ثم فى توليد الطاقة المحركة . وقد احتلت حرارة الإشعاع مكانها من مراحل هذا التقدم ، باعتبارها من المخترعات الهندسية الأصيلة فى عصرنا هذا .

تقرير عن تجربة اجتماعية خطيرة ، تتعاون فيها الحكومة مع مجالس الأقاليم والأهالى ، فيها عبرة لقراء البلاد العربية .

أسلوب نافع في توجيه الاقتصاد القومي

ستانلى هاى

على مسافة مئتين وخمسين ميلا إلى الشمال من لندن تقع مدينة صناعية غير كبيرة هى مدينة مدلزبرة . وهى تسترعى اهتمام الناس اليوم ، إذ يتجلى فيها ثقة أهلها بمستقبلها وبمستقبل بريطانيا ، وبنتيجة التعاون الحر بينها وبين الحكومة فى إنفاذ خطة بارعة مجدية فى تحقيق ذلك المستقبل . وهذه الخطة تعد نموذجاً لما تبذله الأمة البريطانية من جهد لكى تبعث الاقتصاد وتعزز الحرية من طريق الانتفاع بموارد الحكومة، لتحفز الناس فى البنادر والقرى ، وتنبه فيهم دوافع الإقدام والهمة والمبادرة إلى العمل .

ومنذ سنتين عمد المجلس البلدى فى مدينة مدلزبرة إلى الاتفاق مع جماعة من مهندسى المعمار ومخططى المدائن وعلماء الاجتماع والجغرافية ، ليتولوا بحثاً عسى أن يكشف لأهل المدينة عن مواطن تقصيرهم .

وتضافر أهل المدينة : غرفة التجارة ، ورجال الصناعة ، وربات البيوت، والمعلمون، والأطباء ، ونقابات العمال ، وأصحاب الحوانيت ، وتجار السوق ، أى أن المدينة فحصت عن مواطن الضعف فى نفسها بنفسها فحصاً لا هوادة فيه. وأعدت رسائل وصوراً ورسوماً ونماذج، عرضت فى مكان عام، فتبين فيها أهل المدينة الحقائق التى تعافها النفوس .

وقد وجد أهلها أن ٤٦ ألفاً من سكانها ، وعددهم ١٤٠ ألفاً ، يعيشون فى رقعة ضيقة يبلغ ازدحامهم فيها خمسة أضعاف ازدحام السكان فى الأحياء الغاصة بالفقراء . وتسعون فى المئة من البيوت ليس فيها حمامات، وألفان منها لا يصل إليها الماء بالأنابيب . وفساد الهواء فيها أعظم من فساده فى الأحياء الوجيهة بخمسة أضعاف إلى تسعة أضعاف . وعلى أن ثلث سكان المدينة يقطنون هذا الحى ، فإنك لا تجد فيه إلا ٣ فى المئة من ملاعب المدينة . ثم إن مدارسها الأولية العشر ، بنيت جميعاً قبل سنة ١٨٨٠ ، وهى مظلمة الغرف سيئة التهوية وليس فيها ملاعب .

ففى هذا الحى الوبىء يبلغ معدل وفيات الأطفال ضعفى ما يبلغه فى سائر أحيائها ولا يدخل المدارس الثانوية غير طفل واحد من ٣٥١ طفلا من أطفال مدارسه الأولية . ومعدل حوادث المرور فيه أعلى معدل فى المدينة كلها . فرأى أهل مدلزبرة أنه ينبغى أن يقضى قضاء مبرماً على هذه المفاسد، حرصاً على مستقبل المدينة ومستقبل بريطانيا نفسها .

وعلى أساس هذا الفحص الدقيق وضع « مشروع مدلزبرة » وهو ينص على دك المدينة وبنائها بناء جديداً على ثلاث مراحل تستغرق ثلاثين سنة . وزمام تنفيذ المشروع فى أيدى أهل المدينة أنفسهم . ولكن أربعاً من الوزارات تعاون السكان ، هى وزارات المعارف والصحة والنقل وتخطيط المدائن والقرى، فقد آزرتهم بمواردها ، لأن الأمة البريطانية ترى شطراً من مصيرها مرتبطاً بمصيره .

ورجال هذه الوزارات سيعاونون أهل المدينة بتجربتهم وخبرتهم على إنجاز مهمتهم وفقاً للقواعد العامة التى وضعتها الحكومة ، وستعينهم الحكومة بقروض طويلة الأجل ، ولكن المجلس البلدى له حق إنفاق المال حسبما يرى . وإذن فسلطان الحكومة ومشورتها ومالها ، تؤازر ما يبديه أصحاب المصالح الخاصة من أهل المدينة ومجلسها البلدى، من همة إقدام ورغبة فى الإصلاح .

وقد بدأ هذا التضافر يؤتى ثماره .

وأكبر شركة صناعية فى مدلزبرة هى شركة دورمان لونج ، وهى من أكبر شركات العالم التى تصنع أصناف الصلب المبانى . ففى المعرض الذى نظم من أجل مدلزبرة ، قال لورد جرينوود ، رئيس مجلس إدارة هذه الشركة : «أما وقد ظفرنا بتأييد الحكومة، فإن شركتى مستعدة أن تنفق الملايين على هذا المشروع » . وقد بدأت الشركة تشيد فى مدلزبرة مصنعاً يكلف ثمانية ملايين جنيه، يخصص لصنع قضبان من الصلب تصلح للاستعمال فى جميع أرجاء العالم . وعلى أن مخترع هذه الطريقة كان إنجليزياً فلست تجد مصنعاً من هذا القبيل فى بريطانيا ، وليس فى العالم كله سوى سبعة مصانع على مثاله ، خمسة فى أمريكا واثنان فى أوربا . ومجمل القول أن جميع الشركات الصناعية الكبيرة ستنفق ٣١ مليون جنيه على توسيع نطاق الأعمال الصناعية الحرة فى منطقة مدلزبرة .

والذى يجرى فى مدينة مدلزبرة ، يجرى مثله فى جميع أرجاء بريطانيا تقريباً . ثم أخذت ثقة القوم بمستقبلهم تتجلى فى أعظم برنامج للمشروعات تولى وضعه شعب حر الإرادة . فثمة مشروع لمدينة لندن الكبرى

يستغرق ٥٠ سنة . وقد نشر كتاب وصف فيه هذا المشروع وجعل ثمنه ريالين ونصف ريال، فكان أروج الكتب فى لندن . وثمة مشروعات لمدن كثيرة مثل مانشستر وكوفنترى وبليموث وهل وسوثمبتن وغيرها، يستغرق تنفيذها من عشر سنوات إلى ستين سنة . وفى أسكتلندة مشروع غرضه أن تبنى المناطق المزدحمة بناء جديداً.

وللحكومة نصيب كبير فى جميع هذه المشروعات، ولكن تنفيذها يكاد يكون فى أيدى رجال الصناعة والعمال والمجالس البلدية. وغرضها الأول شبيه بغرض المشروع الذى وضع لمدينة مانشستر . فقد جاء فيه . « أن تمكن جميع سكان المدينة من التمتع بصحة البدن والعقل . وأن تيسر لهم عملا دائماً يدرّ عليهم ربحاً » . ومهمّة الحكومة فيها جميعاً ، هى إسداء النصح وشحذ الهمم ، فضلا عن تمويل أعمال الإصلاح بالقروض .

وقد قال « جفرى كراوذر محرر مجلة الإيكونوميست » ذات المكانة : « نعم إن اقتصادنا اقتصاد موجَّه ، ولكننا نعتقد أن نشاط الحكومة فى ميدان الاقتصاد ، ينبغى أن يكون حافزاً للهمم لا كابحاً لها ، وإن التوجيه الاقتصادى القومى يستطيع أن يوسّع نطاق الحرية بدلا من أن يحدّه » .

أما لتلتون النائب المحافظ ووزير الإنتاج فى وزارة الحرب فقد قال : « لو سئلت أيهما أجدى : زيادة توجيه الحكومة أم زيادة الأعمال الحرّة ؟ لقلت : إنه ينبغى أن يزيد كلٌّ منهما زيادة كبيرة . وجوهر الديمقراطية هو التوازن بين ما للحكومة من قوة منظمة ، وما للفرد الحرّ من همّة دافعة » .

وكذلك ترى وزارة المعارف تسنُّ سياسة التعليم العامة ، وتضع القواعد ، وتمنح الإعانات المالية لتشييد المدارس ، ولكنها لا تبنى دوراً للمدارس ، ولا تعين مدرسين ، ولا تقرّر مناهج للدراسة . وقانون التعليم الصادر سنة ١٩٤٥ ينصُّ على أن « كلّ مجلس بلدى مسئول عن إعداد عدة كاملة لجميع مراحل التعليم فى منطقته » .

ووزارة الصحة أيضاً تقرر القواعد العامّة لبناء المساكن ، فتهب للمناطق التى دمّرتها القنابل مالاً ، وتعقد لغيرها قروضاً طويلة الأجل لبناء المساكن الجديدة . ولكى تيسر الحكومة تشييد المنازل على وجه أسرع وأفضل ، ترى أن تمدّ القائمين على صناعة البناء بنتائج البحث العلمى ، وتشجع المصانع على توحيد منتجاتها . فمنذ عهد قريب أقنعت الحكومة أصحاب المصانع التى تصنع إطارات المعدن للنوافذ بأن يقللوا أصنافها من ٦٨٠ صنفاً شائعة فى السوق إلى ستين صنفاً . ووزارة الصحة لا تبنى بيوتا ، وكلُّ

جماعة تتولى بنفسها أعمال البناء فى منطقتها عن طريق الهيئة المشرفة على شئون البناء .

ثم إن وزارة تخطيط المدن والقرى ، وهى الوزارة الأولى من نوعها فى العالم ، تعقد القروض ، وتتولى الأبحاث ، وتعدّ المعارض، وتشارك المجالس البلدية فى المحافظة على المستوى الذى وضعته الوزارة لهذا الأمر، ولكنها لا تتولى وضع تخطيط لمدينة أو لقرية. وقانون تخطيط المدائن والقرى الذى سنّ سنة ١٩٤٤ كان غرضه « تخويل المجالس البلدية سلطة جديدة نافذة لتحسين المدن والقرى وتجديدها » . ومشروع لندن الكبرى ، يضمّ ٢٣ لجنة مثلت فيها ١٤٣ وحدة من وحدات المجالس البلدية .

كانت بريطانيا تنتج يوم نشبت الحرب ثلثَ طعامها وحسب . أما اليوم فتراها تنتج ثلثيه . وفى سنة ١٩٣٩ كانت مساحة الأرض الزراعية أقل من مساحتها فى سنة ١٩٤٤ بنحو ثلاثة ملايين فدان . فلما جاءت الحرب ، انضمّ ألوف من عمال المزارع الحاذقين إلى القوات المسلحة ، ومع ذلك زاد ما تنتجه بريطانيا من الطعام ٧٠ فى المئة .

وقد خوّلت حكومة البلاد سلطاناً قاهراً حتى تيسر إنجاز هذه المهمة العظيمة، ولكنها نزلت عن هذا السلطان للمزارعين أنفسهم . والجماعات التى تولت إنفاذ مشروع زيادة الإنتاج الزراعى، وهى اللجان الزراعية التى أنشئت فى زمن الحرب فى المناطق المختلفة، وكان من أعضائها المزارعون الذين يباشرون أعمال الزراعة بأنفسهم ، وكانوا يختارون على أساس مالهم من تجربة ومكانة .

وقد كان جُلّ اعتمادهم على المشاورة كما يفعل الجيران من الزرّاع ، وعلى الاتفاق فيما بينهم بملء اختيارهم ، فحرثوا اثنى عشر مليون فدان من أرض المراعى وزرعوها ، ومضوا من مزرعة إلى مزرعة يحثون الناس على زيادة الإنتاج .

وقد صنفوا المزارع فى كل منطقة ثلاث درجات : أ ، ب ، ج . وكان رجال المزارع من درجة « ا » لا يحتاجون إلا إلى قليل من التعهد ، وأما رجال المزارع من درجة «ب» فكان جيرانهم من أعضاء اللجان وخبراء المنطقة يسدون إليهم المعونة، وأما رجال المزارع من درجة «ح» فقد وُكلوا إلى زملائهم من الزراع ليشرفوا عليهم إشرافاً دقيقاً ، وكانوا ينالون عند الحاجة ما يريدون من المعدّات والأسمدة والتقاوى، أو العمال . وكانت مزارعهم تفتش مرة كل شهر على الأقلّ .

فإذا عجز أهل مزارعه «ب» فى آخر السنة عن أن يرقوا بمزارعهم إلى درجة

« ا » كانوا خليقين أن يردّوا إلى درجة «ب» فتوضع مزارعهم تحت الإشراف الدقيق . وإذا عجز أهل مزارع «حـ» عن أن يرقوا بمزارعهم إلى درجة «ب» ، حُقّ للجنة أن تكف يدهم عن تولها ، وتتولى هي إدارتها . ولكن قلما مست الحاجة إلى إجراء من هذا القبيل .

وقد قال لويس سلكين وزير تخطيط المدائن والقرى : « لن يبقى في بلادنا بعد اليوم فدان واحد لا يشمله التنظيم والتوجيه » ، ولكن تنفيذ المشروع اليوم هو في أيدى المزارعين أنفسهم ، كما كان الشأن في زمن الحرب . وقد جعلت اللجان الزراعية لجاناً دائمة ، وعقد المزارعون وعمال المزارع عزمهم على المضى في المشروع إلى نهايته . ثم إن الاتحاد القومي للمزارعين . وهو أقوى هيئة للمزارعين في بريطانيا ، اشترك مع الاتحاد القومى لعمال الزراعة ، وهو أقوى هيئة لعمال الزراعة ، فألفا لجنة استشارية مشتركة لإنفاذ ما عقدوا عليه عزمهم من تحقيق أغراض المشروع .

والمركز الرئيسى العام لوضع المشروعات الصناعية في بريطانيا ، هو حجرة المشروعات في وزارة التجارة في لندن ، ويتولى رئاسته السرفليت وارتر ، وهو أحد الشباب من رجال الأعمال في إنجلترا الذين بلغوا ذروة التوفيق . وقد وضع نصب عينيه أن يجعل ما عند الحكومة من معلومات ومعرفة فنية ميسراً لرجال الصناعة على أسرع وجه وأنفعه ، ولا سيما ما كان منها ذا صلة بمواقع الصناعات الجديدة أو بتغيير المواقع القديمة منها وتوسيع نطاقها . وله معاونون من الخبراء يجمعون كل حقيقة ذات شأن عن الصناعة من كل منطقة في إنجلترا وويلز ، ومن كل مصلحة في الوزارات المختلفة . وتضع خرائط ورسوماً بيانية تبين حالة العوامل الاقتصادية ، مثل اليد العاملة ، والنقل ، والكهرباء ، والغاز ، والماء ، ومساحة المصانع .

والقانون لا يخوّل وارتر ومعاونيه أن يفرضوا رأيهم فرضاً على رجال الصناعة الذين يلجأون إليهم لطلب المشورة ، ولكنك ترى أربعمئة شركة قد لجأت إلى مكتب وارتر في الستة الأشهر الأولى بعد إنشائه ، فأخذت جميعها برأيه . وقد أسدى هذا المكتب معونته أيضاً إلى مئات من الصناعات البريطانية الصغيرة والمتوسطة ، فشغلت نحو مثتى مصنع من مصانع الحرب التى بنتها الحكومة ، وسيبلغ عدد عمالها ما بين ٣٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف عامل .

وفي بريطانيا أربع مناطق كانت تعدّ إلى عهد قريب مناطق « هامدة » ، لأنها

تعتمد أكثر ما تعتمد على تعدين الفحم وبعض الصناعات الكبيرة ، وقلما أصابت شيئاً من الرخاء ، وصارت البطالة فيها مزمنة — تبلغ أحياناً ٦٠ فى المئة ، فكانت مشكلتها مشكلة قومية . وقد حلت المشكلة بتنويع الصناعات فيها . وتكثير الصناعات الصغيرة ، بدلا من الاعتماد على بضع صناعات كبيرة وحسب . ثم إن الحكومة سنت فى عهد المحافظين قانون توزيع الصناعات ، وهو ينص على أن كل من أراد أن ينشىء مصنعاً جديداً أو يوسع مصنعاً قديماً ، فينبغى أن يستأذن وزارة التجارة . ووزارة التجارة عندها ما يمكنها من أن تغرى صاحب الطلب بإنشاء مصنعه الجديد أو نقل مصنعه القديم إلى إحدى المناطق «الهامدة» ، ويسعها أن تعرض عليه بواسطة «الهيئة التجارية» المحلية مصنعاً مبنياً ، وتساعده على أن يظفر بما يحتاج إليه من القوة المحركة والعمال .

و «الهيئات التجارية» جماعات أنشئت برأس مال أخذ من الحكومة ، ويديرها تجار على أساس الربح والخسارة كأية تجارة . وقد قال مدير إحدى هذه الهيئات : «ينبغى لكل منها أن تسد نفقاتها» . والهيئة تبنى مصانع ، وتمد إليها المياه والكهرباء ، وتؤجر المصانع لرجال الصناعة ، وتدير أمر الجماعة التى تتكون فى المنطقة الصناعية الجديدة .

وقد زرت إحدى هذه الهيئات فى جنوب ويلز ، فوجدت سبعين من صغار رجال الصناعة ، يستخدمون ٣٠٠٠ من العمال ، وجميعهم يعملون فى مصانع على أحدث طراز . والرجاء معقود على زيادتهم إلى ١٢ ألفاً أو ١٤ ألفاً ، وأن يصير عدد العمال فى جنوب ويلز ١٣٠ ألفاً . وقد كانت هذه المنطقة من قبل «منطقة هامدة» ، فصارت بفضل هذا الجهد المشترك منطقة آخذة بأسباب التقدم والرخاء .

ويقول السر كلايف بيليو رئيس اتحاد الصناعات البريطانية : «إن ما تواجهه الصناعة يتطلب منها تعاوناً دائماً . والحقيقة الخالصة التى لا مفر من معرفتها : هى أن للحكومة مهمتها ، ولأصحاب العمل الاقتصادى الحر مهمتهم أيضاً ، وكل مهمة منهما تتمم الأخرى ، ولن نتمكن من الظفر بتعمير بلادنا إلا إذا تحالف الفريقان تحالفاً صادقاً» .

وكذلك نرى أن الانتفاع بموارد الحكومة لحفز همم الأفراد ، هو وسيلة البريطانيين إلى جعل برنامجهم الإنشائى العظيم ، أداة رخاء وحرية . ولسنا نعلم هل يصيبون النجاح أو لا ، ولكن تجربتهم حرية بأن نهتم بها ونراقبها عن كثب .

فيمَ العجلة ؟

كونستانس فوستر

مختصرة من
" ويمنس ويك مجازين "

اشترينا ستمئة فدان وكان ذلك أول عهدنا باقتناء المزارع ، فأردنا فى بادئ الأمر أن نحمل معنا إليها ما فى حياة المدينة من عجلة وسرعة واندفاع ، ولكن المستأجر « بن » كفكف من غلوائنا يوم سألناه : « هل فرغت من حرث حقل الذرة ؟ » فمال ببصره إلى الشمس الغاربة وقال بهدوء : « لا ، فالأرض ستظل باقية فى مكانها غداً » :

جعلتنى هذه اللمحة من حكمته الساذجة أفكر فى قيم الحياة الباقية — تلك الأشياء التى ستظل باقية فى مكانها غداً . إن أكثرنا يغلو فى طلب لذائذ الحياة الفانية غلواً شديداً حتى ما يكاد وقته يتسع للاستمتاع بلذائذها الخالدة . فإن أحدنا يدخل مخزن التجارة عجلان ليُتقضى له حاجته ، أو نتزاحم بالمناكب على المقاعد فى السيارات ، أو نتنافس على التشبه بجيراننا فى حياتهم . ونعيش العمر كله وحقائق الحياة الخالدة ملقاة تحت أقدامنا فنمر بها غافلين لا نلتفت إليها ولا نعرف لها قدراً .

إن هدْأة الليل ، وتوقد النجوم وتضاحك الأطفال ، وابتسامة الصديق — هذه كلها أشياء سَرْمَديّة خالدة . وكذلك يكون حب الرجل امرأته ، وحبُّ الأب ولده ، وحبُّ الأخ أخته . وقد يشتعل الرأس شيباً ، ولكن آصرة الرحم وعاطفة القربى تجعلنا نرى من نحب جميلا لا يبلى جماله . وهذا هو الحصن المنيع الذى يردّ عنا سهام الزمن الفاتكة .

وأكثر ما نحن فيه من العجلة مردود إلى رأى فاسد شاع بيننا فى معنى الزمن . وقد ألفنا منذ نشأتنا أن نسمع هذه الكلمة : « الزمن يمضى » ، والحق أنه لا يمضى ، بل الزمن باق ونحن الذين نمضى فيه ونعبره ، وما هذه الساعات إلا مخترعات ابتكرها الإنسان بحمقه ليقسم الزمن أقساماً صغيرة ، والزمن بدونها باق فى مكانه ، وسيظل كما كان هو الأمس ، واليوم ، والغد .

وإذا عشنا فى القرية كنا أقرب إلى بيئة الفطرة الأولى ، ولا نلبث إلا قليلا حتى ندرك أن وقتنا لا يتسع للعجلة . فإذا ولجنا مسلكا من مسالك الغاب مسرعين فلعلنا نتخطى أكمام ذلك الزهر الأبيض الباقى على الزمن والذى إذا وضع بين الملابس ظل شذاه العَطِر يفوح منه . وإذا أبينا إلا العجلة ، كان من السهل أن نغفل عن تلك الشجرة الطويلة الجرداء الميتة فى قلب الغابة ،

والتى صارت للطيور سكناً اتخذت فيه أوكارها.
وفى المخزن العام حيث تشترى حاجاتك كلها ، من الجبن إلى الأحذية ، ترى الناس قد وقفوا يتجاذبون أطراف الحديث تزجية للوقت حتى ينقضى النهار ، فيسأل بعضهم بعضاً عن سعاله كيف أصبح ؟ وعن دجاجه هل باض ؟ فلديك دائماً فسحة من وقت للتودد والمجاملة .
وهذه هى القيم الخالدة السرمدية .

وعسى أن تكون هذه كلها تجربة لحياة الخلود فى الآخرة ، ولا بقاء فى الحياة الدنيا لسوى ثلاثة : الإيمان والأمل والحب ، وأعظمها الحب . البقاء ! يالها من كلمة محببة فى عالم الأحداث المتقلبة والوجوه المتغيرة .
أجل يا « بن » ، ففى وسعك الآن أن تنام هادئاً ، فإذا أصبح الصباح فالأرض باقية فى مكانها ، ساكنة كما كانت ، تنتظرك حتى تأتى فتتم ما بدأت من حرثها .

ثلاثة أيام هى الدهر كله   وما هُنَّ غير الأمس واليوم والغد
[المعرى]

الحقيقة المروعة

● وقف لويد جورج ذات مساء يخطب فى جمع حاشد حانق عليه من المطالبات بحق الانتخاب ، وإذا سيدة متجهمة الوجه قد وقفت وقاطعته قائلة : « لو كنت زوجى لدسست لك السمّ » فردّ عليها لويد جورج الشهير بحضور البديهة وقوّة العارضة فقال : « سيدتى ، لو كنت أنا زوجك لشربت ذلك السمّ » .

● وجّهت ليدى راندلف دعوة لبرنارد شو ليحضر مأدبة غداء فى دارها فردّ عليها ببرقية : « طبعاً أرفض ، وماذا جنت يداى حتى أستحق مثل هذا الهجوم على عادتى التى ألفتها ؟ » فأرسلت إليه ليدى راندلف برقية جاء فيها : « لست أعلم شيئاً عن عاداتك ، وعساها تكون أقلّ قبحاً من سلوكك » .

● أخذ الشاعر السير لويس موريس يشكو مرة إلى أوسكار وايلد ، ما يلقاه من قلة مبالاة النقّاد بقصائده ، فقال : « إنها لدسيسة مدبرة لإهمالها . فبم تشير علىّ أن أفعل يا أوسكار ؟ » فقال وايلد من فوره : « اشترك فيها » .

من صميم الحياة

وفاء كامل

فردريك لوميس

دق التلفون بعد منتصف الليل بساعتين دقاً مزعجاً وقالت الممرضة : « إن مسز أوبرى ميليكين التى تتولى علاجها فى غرفة الولادة ، وهى موشكة أن تضع » .

فأجبتها : « مهلا ! لا أعرف هذا الاسم ، ولعلها فى رعاية طبيب آخر » ووضعت السماعة . ولكن ما هو إلا دقيقتان حتى دق التلفون ووجدت الممرضة تقول لى : « لقد حضرت الساعة وهى فى المخاض ، وقد أرسلها إليك طبيب من لوس أنجيليس ولذلك قبلناها دون تردد . إنها تطلبك وهى فى حاجة إليك الساعة . تعال ، أرجوك » .

أسرعت إليها ، فألفيت على مائدة الولادة امرأة من أجمل من رأت عيناى . كان شعرها الأصهب القانىء على الوسادة ، كأنه أشعة شمس غاربة .

بادرت فغيرت ملابسى وغسلت يدى ، فقد كان من الجلى أن الوضع قد دنا . وفى أقل من ساعة تقبلت بيدى مولودة جميلة رغم ندرة الجمال فى المواليد ، شعرها كشعر أمها أصهب قانىء .

وسألت مسز ميليكين فى الصباح عن التفاصيل التى تسجل فى شهادة الميلاد ، فذكرتها دون تردد وقالت : « لقد ساءنى أن لم يكن بد من دعوتك فى منتصف الليل . لقد أرسلنى إليك الدكتور وينستون من لوس أنجيليس ، فقدمت إليك فى سيارتى أقودها ، ولعل ذلك هو الذى عجل بالمخاض . أهى بخير ؟ وما لون شعرها ؟ »

فطمأنتها . وبعد يوم أو يومين أرسلت كالعادة تقريراً عن الحالة للدكتور وينستون ذكرت فيه اسم الوالدة وعنوانها فى لوس أنجيليس ، كما ذكرته لى ، وأضفت إلى التقرير كلمة شكر على أن آثرنى بمثل هذه الوالدة الفاتنة .

وقد أذن لها أن تبقى فى المستشفى أسبوعاً واحداً وحسب ، لازدحام المستشفيات فى زمن الحرب ، فلم أكد أعرف من خبرها شيئاً ، على أنها كانت بشوشة الوجه على الدوام ، وكان يشع من عينيها وهى تنظر إلى ابنتها غبطة تفوق ما ألف الطبيب أن يراه ، وما يجب أن يراه من غبطة الأمهات وهن ينظرن إلى أولادهن . لم يكن يزورها أحد ،

احترف فردريك لوميس التوليد والطب لأمراض النساء فى كاليفورنيا منذ سنين . وقد تقاعد الآن وألف كتاب « عيادة الطبيب » ، اقرأ « لمن الحكم » مختار أكتوبر ١٩٤٤ ص ٦٤ ، وكتاب « الأصرة التى تجمعنا » اقرأ « عملية على غير استعداد » مختار فبراير ١٩٤٤ ص ٢٩

وكان حديثها يكشف عن ذكاء ، وكان على منضدتها بضعة كتب نفيسة ، وكانت تسليتها المحببة أن ترسم خطوطاً تمثل الممرضات وابنتها المولودة ، وكانت هذه الرسوم تدل على قدر غير قليل من موهبة الرسم .

ولاحظت أنها كانت تتحاشى بمهارة أية إشارة إلى نفسها ، واستنتجت أنها قد تكون إحدى ممثلات هوليوود اللائى يتولى الدكتور وينستون رعاية كثير منهن ، وأن مجيئها إلىّ إنما هو فرار من العلانية . وقد وقع لى شىء من هذا فى الماضى ، فاحترمت رغبتها الواضحة فى كتمان أمرها .

وسألتنى عن أجرى ودفعته نقداً ، ودفعت أجر المستشفى ، وتركت مبلغاً من المال لكفالة ابنتها ريثما ترسل فى طلبها بعد « ثلاثة أسابيع أو أربعة » ، تكون — كما قالت — « قد هيأت لها مكاناً صالحاً » .

وبعد رحيلها بيومين تلقيت كتاباً من الدكتور وينستون جاء فيه : « إننى لا أستحق منك شكراً ، لأننى لا أعرف صاحبة هذا الاسم البتة هذا وليس فى لوس أنجيليس شارع بالاسم الذى ذكرته فى عنوانها ، وليس لها اسم فى دليل التليفون » . وعندئذ بدأت الحيرة تأخذنى .

كنت أرى الطفلة كل يوم ، وبعد ثلاثة أسابيع ، وفى ساعة لم أكن فيها فى المستشفى ، جاءت ممرضة تطلبها ومعها تفويض مكتوب من الأم بأخذها . وعندئذ انتهت التبعة التى كنت أحملها ، وتوقعت أن أنسى القصة بحذافيرها ، ولكن الألغاز تستهوى كل إنسان حتى الطبيب المشغول ، وكثيراً ما وجدت نفسى تحوّم حائرة حول هذا الموضوع .

وبعد ستة أشهر كنت أقضى عملا فى إحدى مدن التعدين الصغيرة ، وانتهى عملى ، وجلست فى شرفة الفندق أصغى لثرثرة صاحبه عن المارة انتظاراً لموعد القطار . وكنا نستقبل الطريق بوجوهنا ونرسل البصر إلى شمس الأصيل الغاربة .

ورأيت سيارة فخمة تقف بالباب بغتة ، فأخذتنى الدهشة واستويت جالساً حين خرجت منها تلك السيدة الغامضة التى استقبلت مولودها منذ بضعة أشهر ، وكان جمالها لا يزال فاتناً كأول عهدى بها حين رأيتها فى المستشفى . فلما بلغت الرصيف وقع بصرها علىّ ، فترددت أتمضى قدماً أم تعود ، وارتفعت يدها إلى حلقها كأنما تحاول أن تكتم صيحة فزع ، ثم أشاحت بوجهها على عجل وسارت فى طريقها قدماً .

قال صاحب الفندق : « جميلة . أليس كذلك ؟ إنها إحدى توأمين من أسرة بردجر ، تقيمان فى هذا البلد منذ ولدتا .

لا بد أنها ظنت نفسها تعرفك كما بدا من نظرتها إليك . ويبدو أنها أحست بشيء من الضيق حين خاب ظنها . إن أختها تشبهها شبهاً تامًّا، وهي جميلة مثلها لولا ندبة جرح على خدّها ، هي الوسيلة الوحيدة للتمييز بين الأختين . وهذه التي رأيتها اسمها نانسي ، وأما الأخرى فاسمها لويلا ، وهي متزوجة ، ولكن نانسي لم تتزوج ولا أدري لماذا ، فثروتها وجمالها خليقان أن يتيحا لها كثيراً من فرص الزواج » .

قلت: « نعم . إنها رائعة ، فحدثني عنها».

قال : « إنه لغز . لقد كان لأختها ابنة تبلغ من العمر سنتين ، وكانت حسناء كأمها ذات شعر أصهب قانيء يحيط وجهها بهالة كأشعة شمس الأصيل ، وكانت نانسي تعيش مع أختها ، وتشارك في أعمال البر . وذات يوم كانت نانسي تخرج سيارتها من حظيرتها راجعة بها القهقرى ، وجاءت الطفلة تدرج في طريق السيارة . ولم يكن الخطأ خطأ نانسي ، فما كان أحد يستطيع أن يرى هذه الطفلة اللاهية خلف السيارة . ولكن نانسي استبدّ بها الحزن ، واستسلمت للبكاء حتى انهدّت قواها . وزاد الطين بلة أنها كانت تعلم أن أختها قد صارت عاقراً لا تلد .

« وفي النهاية ، وبعد نحو أربعة أشهر ، سافرت نانسي إلى نيويورك لتدرس الفنون أو هكذا قيل ، بيد أن الناس جميعاً ظنوا أنها تريد أن تنسى . وغابت نحو سنة ثم عادت منذ أشهر ، بعد عودة لويلا وزوجها من رحلة ومعهما طفلة صهباء الشعر من أجمل ما تقع عليه عين . كانا قد تبنّياها ، وكانت صورة ناطقة من الطفلة الفقيدة حتى لكأنها هي . وما سمعت أغرب من هذا قط » .

قلت : « يكاد هذا يكون معجزة ، ولا بد أنها أعانتهم على النسيان » .

قال : « نعم . لقد عادت لويلا كأحسن ما كانت ، وبرأت نانسي مما ألم بها . لقد كانت يوم عادت نحيفة نحيلة . وها أنت قد رأيتها . وما أظنني رأيت أجمل منها . إنها لا تكاد تفارق الطفلة حتى ليظن المرء أنها من لحمها ودمها » .

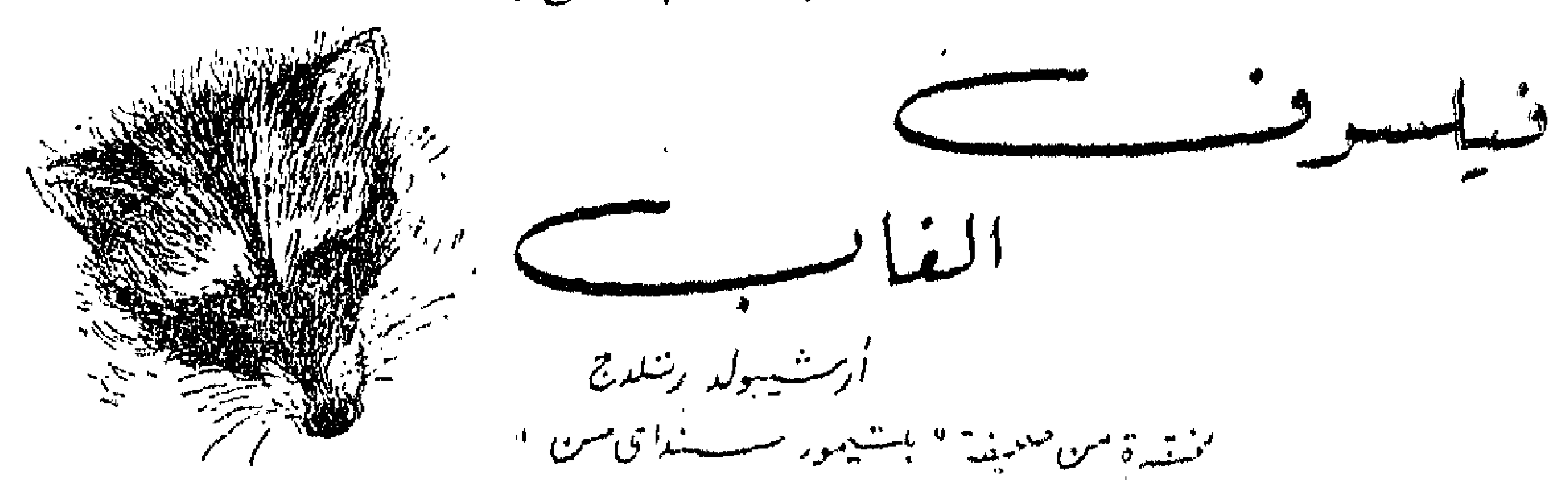
وانبهرت أنفاسي لحظة وأنا أتخيل فتاة جميلة صهباء الشعر في المستشفى حانية على طفلة صهباء الشعر .

وسألني صاحبي : « أتريد أن ترى نانسي وهي عائدة . أكبر الظن أنها سترحب بلقاء ضيف غريب ، فأنت تعلم أن مثل هذه البلدة قلما يحدث فيها ما يحرك النفوس » .

قلت : « كلا وشكراً . لقد كانت رحلتي متعبة وأحسب أنه خير لي أن أعود إلى غرفتي فأستريح قليلا قبل أن أركب القطار . إنني في أمس الحاجة إلى الراحة الآن ! »

الراكون — حيوان هادىء الطبع ودود لطيف المعشر ، ولكن الكلاب تخشى بأسه .

فيلسوف الغاب



أرشيبولد رتلدج

مختصرة من صحيفة "بلتيمور سنداى صن"

درست طبائع كل ما أعرف من حيوان البرّ والغاب ، فإذا الراكون أقربها نسباً إلى طبائع الفلاسفة . فهو شديد الأناة نافذ الذكاء ثاقب الرأى ، يتقبل ما ينزل به من صروف الحياة بهدوء ورصانة تذكرنا بسكينة قدماء الفلاسفة .

خرجت فى يوم شامس فعثرت على راكون يغط فى نومه على غصن دان من شجرة سَرْو ، فلما رفعته من مضجعه لم يتمرد علىّ أيسرّ التمرد ، بل لعله لم يعبأ بما فعلت مادام يستطيع أن يقضى حاجته من النوم ، إذ رأيته قد تجمّع للنوم على ذراعى كأنه طفل غلبه النعاس .

والراكون يتقبل صروف الحياة وحظوظها بقبول حسن ، ومن أجل ذلك كان من السهل أن يروّض ويستأنس ويصير أليفاً محبباً . وقد ربيت كثيراً من صغاره منذ نشأتها الأولى ، فكانت تنام فى حجرى أو تدخل أيديها السود الصغيرة فى جيوبى بحثاً عن الفول السودانى .

وبينا تجد أكثر الحيوان فى حالته الطبيعية يتأنق فى طعامه ، ترى الراكون يغالى فى الحرص على أن يكون نظيفاً كل النظافة ، ويلجُّ فى غسل طعامه كالحاجة الموسوس . وقد عثرت مرة على خمسة من صغار الراكون فى فرع شجرة أجوف ألقته الرياح على الأرض ، فاتخذت لها بيتاً وحظيرة . ومرّ اليوم بعد اليوم وهى تأبى أن تمس أى طعام آتيها به ، وما هو إلا أن ترمقنى بنظرة هادئة ، وعلى محياها الرقيق لمحة من عتاب وشكوى . وكنت على وشك أن أردها إلى وطنها الذى ألفته فى الغاب حين خطر ببالى أنى لم أقدم لها شيئاً من الماء ، فما كدت أفعل حتى رأيت كل واحد منها يصطفى لنفسه قطعة من الطعام ، ثم دلف إلى وعاء الماء ، ثم غسل الطعام وأكله . ومن البين أنها آثرت الموت جوعاً على أن تعصى ما تأمرها بها طبيعتها .

وأتيتها يوماً ببعض الرقائق (البسكويت) فلما غمستها فى الماء ذابت وهى تراها بأعينها

ولا تدرى كيف كان ذلك . فاجتمعوا حول الوعاء وأخذوا يتداولون الرأى ، فانتهوا فيما يظهر إلى أن الرقائق ينبغى أن لا تغسل .

والراكون كثير فى نواح متعددة من أمريكا الشمالية ، ولكنه أكثر فى الجنوب ، ويوجد عادة حيث تكثر الجداول والبحيرات والمستنقعات . وهو قريب النسب من فصيلة الدب ، وشكله كشكل دب صغير . وهذه القرابة بينة الوشائج أيضاً فى عاداتهما فى الطعام ، فكلاهما حيوان لمَّام (يأكل كل طعام) ، والدببة مولعة بالسكر والعسل خاصة ، وكذلك الراكون . وقد كان عندى راكون وضعت فى عنقه طوقاً وسلسلة ، فإذا وضعت أمامه قطعة من السكر لا تنالها يده ، دار دورة ومدّ إحدى قوائمه الخلفية وجر قطعة السكر إليه .

والراكون البرى يأكل كل أنواع السمك والدجاج ، وكل ما يظفر من صغار الحيوان ، ويأكل جوز البلوط وسائر أنواع الجوز . وحين تكون الذرة غضة « بلبنها » ترى طوائف من الراكون تغزو حقل الذرة وتنزل به خسارة فادحة . فهو يجذب سوق الذرة حتى تميل ، ويقطع منها أكوازها بمهارة تضارع مهارة القرد ، مستعيناً فى ذلك بيدين دقيقتين مفرطحتين فى كل منهما خمسة مخالب حادة . وهو شديد الولع بسرطان البحر وببلح البحر وبالمحار ، وله أحياناً حذق بفتح صدف المحار ، ويغطس أحياناً فى الماء يرجو أن يجد هناك صَدَفة مفتوحة ، فربما أفضت به هذه الشهوة إلى نكبة تحيق به .

فقد رأيت ذات صباح فى ساعة الجزر شبحاً أسود على الشاطىء الذى انحسر عنه الماء حيث يكثر المحار ، فتبينته فإذا هو راكون كبير قد انطبقت على يده اليمنى صدفتا محارة ضخمة ، ومن البين أنه بقى حيث هو حتى جاء المد فغرق فى الماء . وربما عمد الراكون إلى يده المغلولة فقرضها ، وبخاصة إذا كان ما انطبق عليها فخاً من حديد . وقد رأيت فى الغاب كثيراً من بنات الراكون ليس لها سوى ثلاث قوائم ، وهى تنتفع بها خير انتفاع حتى فى تسلق الأشجار .

وطول الراكون فى الغاب ١٦ بوصة ، وزنته من ١٢ رطلا إلى ١٥ رطلا ، وإن كان بعضها أكبر من ذلك . وفروه عادة كثيف ناعم أدكن اللون ، وذيله مخطط بدوائر فيها البيضاء والشهباء . وقليل من بنات الراكون أبيض ناصع ، وبعضها أسود فاحم ، وأندر ألوانه ما كان ذهبياً خالصاً .

ولما كان الراكون متراكم اللحم مُدْمَج الخلق ، فهو فى طلب ما يبتغى أشد اعتماداً

على سعة حيلته منه على السرعة ورشاقة الحركة.
إن فى وسعه أن يتسلق شجرة البلوط ابتغاء جوزها ، وكثيراً ما يفعل ، ولكنه يكفى نفسه مؤونة التعب إذا وجد السناجيب (جمع سنجاب) قد أخذت تهز له الأغصان وتساقط عليه ثمرها .

وهو فى القتال رابط الجأش مرهوب اللقاء ، فإذا جاءت ساعة عُسْرة بين الموت والحياة ، اختار لنفسه ميدان النزال بحكمة وحزم وأناة . والكلب والراكون عدوّان لدودان ، فإذا لم يعرف الكلب ما فطر عليه قِرْنه من دهاء وبأس شديد ، فهو حرىٌّ بأن يلقى من بأسه عنتاً شديداً ، وإن كان أعظم من الراكون جثة وأكبر وزناً .

والراكون إذا دنا منه كلب احتال حتى يتقهقر إلى أن يجتاز ضحضاح الماء القريب الغور ، فإذا وجد جذعاً غمره الماء أو خشبة طافية يستطيع أن يستوى عليها فعل ، حتى لا يجد الكلب المهاجم مندوحة من أن يخوض إليه ماء بعيد الغور شيئاً ما . وقد رأيت أنا راكوناً لاقاه كلب أضخم منه ثلاثة أضعاف ، فأنزل به نكالا غليظاً ، وذلك بأن أغرق رأسه تحت الماء، ولم يزل به على ذلك حتى أوشك الكلب أن يموت غرقاً .

وإذا لم يجد الراكون ماء يعتصم به ، عمد إلى قطعة من الخشب ضخمة مرتفعة ، وذلك لكى لا يجد الكلب بدًّا من أن يمشى عليها إليه إذا أراد أن ينازله ، وذلك شىء يكلف المهاجم شططا . فالكلب ولا ريب سيجعل همه أن يسير عليها ثابت الخطى لا يميل يمنة أو يسرة ، فما هو إلا أن يبلغ الكلب مكاناً بعينه وهو يترجح هكذا ويتمايل ، حتى يهب الراكون الرابض بالمرصاد هبة واحدة وهو يزمجر فى وجهه ويعضه ويخمشه بأظفاره ، وقلما يكون من شأن الكلب إلا أن يهوى إلى الأرض أو يقفز تاركاً له الخشبة .

ومن دأب الراكون فى قتاله أن يَشِبّ على قوائمه حتى يرتفع ارتفاعاً غير مألوف ، ويقوّس ظهره ، وينفش شعره حتى يصير كالأشواك النابتة ، ويهرّ هريراً كريهاً ، فإذا هاجم انقضّ انقضاضاً سريعاً محكما يذهب بصواب عدوه . ويستطيع راكون ثقيل الجثة أن يقتل الكلب فى الصراع المتكافىء . ولما كان الراكون مخلوقاً وديعاً يؤثر السلامة ، فهو لا يقاتل إلا مكرهاً على القتال ، فإذا أتيحت له فرصة كافية تقهقر واجتنب القتال اجتنابا كريما ، حتى لو رآه متطفل من بنى البشر لحسبه ضرباً من الاعتذار .

والناس لا يصطادون الراكون إلا للرياضة، وقلما يصطادونه من أجل لحمه . ومع ذلك

فهو طعام طيب اللحم ، وقد كان زنوج أمريكا الذين يسكنون الغابات يعتمدون على لحم الراكون فى زمن الشتاء ، قبل أن يسن قانون تحريم الصيد بفخاخ الحديد .

ولا أظن أن فى الحيوان اللبون (ذوات الثدى) ما يشبه الراكون فى إلفه للحياة على الأرض ، وفى الماء ، وعلى الأشجار ، ويجدها كلها سواءً عنده . وهو يتخذ جُحْره فى شجرة جوفاء ، وربما ارتفع به عن الأرض ٥٠ قدماً . وهو ينام النهار كله ، وإذا جاء الشتاء استكنّ فى جحره لا يغادره ، ولكن إذا وجد الشمس مشرقة صافية فربما خرج ونام بين أفنان شجرة ليتشمّس بضع ساعات.

إن خير مقياس لذكاء حيوان البر هو قدرته على النجاة من الخطوب والأخطار التى تحيط به وهو فى الغاب ، فإذا اعتبرنا الراكون بذلك المقياس فهو من أعظمها ذكاء. ومع أنه يأنف حياته فى الأسر حين يؤسر ، إلا أن ذكريات أيام حرّيته الأولى لا تزال تخامر قلبه . وقد وجدت أن جماعة الراكون التى ألّفتها وروّضتها ، لا تكاد تلقى بالاً إلى الضجيج المألوف الذى يأتيها من الفناء الذى يحيط ببيوتها ، وإن كان ضجيجاً صاخباً ، ولكنها لا تكاد تسمع نبأة خفية آتية من الغابات أو المستنقعات النائية ، حتى تسكن أوصالها، وتشرئبّ أعناقها ، وتصغى بقلوب نفذت فيها تلك النغمات العتيقة المحببة، التى ردّتها بالحنين إلى أوطانها الأولى .

أوصى فلان بـ . . .

أوصى أحد العزاب فى بوسطن ، بكلّ ثروته للفتيات الثلاث اللواتى رفضن أن يتزوّجنه وقال : « لأنى مدين لهنّ بما متّعت به من الطمأنينة والسعادة » .

[تشارلز برجس]

أوصى الشاعر هاينريخ هاينى بكل ما يملك لزوجته على أن تبادر إلى الزواج بعد وفاته : « لأن ذلك يحمل رجلا واحداً على الأقل على أن يأسف لوفاتى »

[مجلة « كوزموبوليتان »]

أوصى فرنسىّ بجانب كبير من ماله لجماعة من أخوانه ، ولم يشترط سوى شرط واحد : « أن يحملوا جثمانه إلى القبر ، وأن يقفوا فى طريقهم لشرب كأس من النبيذ فى الحانة الصغيرة التى طالما اجتمعوا فيها فى المساء للعب الورق » .

لوائح هوليـــوود

أقيمت فى هوليود سهرة حافلة احتفاء بعيد ميلاد شارلى شابلين . فسلّى شارلى المدعوين بما أثر عنه من براعة فى تقليد حركات المشهورين من رجال ونساء وصغار ، وقلد أيضاً سواق سيارته وخادمه ، وأخيراً انطلق يغنى قطعة من أوبرا إيطالية ـ فأجاد .

فصاحت به ابنتى : « ولكننى لم أكن أدرى أنك تجيد الغناء هذه الإجادة ! »

فقال : « إننى لا أحسن الغناء البتة ، وإنما كنت أقلد كاروزو ! »

[كونراد بركوفيتشى]

ذهب جاك هالى إلى القرية التى ولد فيها أحد كبار الممثلين فى هوليود . فسأل : « أيعود صاحبنا إلى زيارة مسقط رأسه ؟ »

فردّ عليه أحد السكان : لقد عاد خمس مرات منذ ظفر بالشهرة .

فسأل هالى : « أجاءت زوجته معه ؟ »

فقال القروى : « نعم ، ووالله لن أرى فى حياتى خمس نساء أجمل منهن » .

[إرسكين جونسون]

روى هارولد أدمسن أن طبيباً فى هوليود تلقى يوماً طلباً مستعجلا من أحد منتجى الأفلام لأن ابنه بلع قلم الحبر . فقال الطبيب : « سأحضر فوراً ، ولكن ماذا أنت صانع حتى أحضر ؟ » فقال المخرج : « استعمل القلم الرصاص ! »

وصف الممثل الهزلى فل سيلفرز مدينة هوليود بقوله : « هى المكان الذي ينفق فيه الناس أكثر مما يطيقون ، ليحتفوا بقوم لا يضمرون لهم أيسر حب » .

دعيت الكاتبة إدنا فربر لمشاهدة فلم صنع من أحد كتبها فقالت : « إنه لفلم جيد . ولكن القصة ليست قصتى . ترى أتقبلون أن تردّوا إلىّ قصتى ؟ »

فوافق مدير الشركة على طلبها ولكنهم اشترطوا عليها أن تقدمهم على غيرهم إذا أرادت أن تبيعها من أجل فلم يصنع منها .

[ولتر ونشل]

كان جاك فلبين من أشد المعجبين بالممثل إدموند لو ولكنه لم يتعرف به ، ورآه ذات يوم فى مطعم فجعل يحدق فيه ويطيل التحديق ، فحيّاه الممثل بإحناء رأسه ، وقال : « مرحباً » . فقال فلبين : « أليس هذا عجيباً ؟ إنه يظن أنه يعرف من أنا لكثرة ما شاهدت من أفلامه ! »

أيدل تشدد السوفيت على الضعف الاقتصادى لا على القوة ؟

وروسيا أيضاً تعانى الشدائد

بيتر ف . دراكر*

مختصرة من مجلة "هاربرز"

ساعة ألقى اليابانيون سلاحهم ، أذاعت حكومة السوفيت أنها توشك أن تبدأ تنفيذ مشروعها الرابع من مشروعات السنوات الخمس . ولا يزال الغرض من هذا المشروع أن تحول روسيا دولة صناعية تحويلا أسرع من ذى قبل ، وجعلت رأس عنايتها إنشاء المصانع التى تصنع معدات الصناعة . أما المستهلك الروسى فينبغى له أن ينتظر حتى يظفر بما يحتاج إليه من بضائع الاستهلاك على قلة ما بين يديه منها ، وعلى انخفاض مستوى معيشته .

وهمُّ الحكومة الأول منصرف ، على ما يلوح ، إلى زيادة ما يصنع من الصلب حتى يصير ٣٥ مليون طن أو ٤٠ مليوناً (١) سنة ١٩٥٠ — أى مضاعفة معدّل الزيادة الذى كان قبل الحرب . ويلى ذلك إنشاء أسطول قوى وبناء قواعد بحرية قوية ، ولا سيما فى الشرق الأقصى . وتجد بين الأغراض الكبيرة الأخرى إعداد أسطول تجارى كبير ، ومدّ شبكة واسعة من خطوط السكة الحديدية ، وشقّ طرق وترع ، وزيادة ما يصنع من سيارات النقل والجرّارات زيادة عظيمة — أى أن روسيا لن تكتفى فى السنوات الخمس المقبلة بإصلاح ما أفسدته الحرب ، بل ستضاعف جهدها حتى تبلغ القدرةَ الصناعية التى كانت خليقة أن تظفر بها ، لو لم تنشب الحرب وتعترض توسعها الاقتصادى .

ثم إن الآراء الرسمية التى نشرت تقضى بأنه لا بد لروسيا من أن تصير قادرة على صنع معدات الصناعة وتوريدها إلى البلاد الداخلة فى منطقة نفوذ الروس فى أوربة وآسية . ولا يزال كل بحث سياسى روسى

* باحث اقتصادى ، ومؤلف كتاب « نهاية الإنسان الاقتصادى » و « مستقبل الإنسان الصناعى »

(١) فى خطبة انتخابية ألقاها ستالين يوم ٩ فبراير زاد المقدار إلى ٦٠ مليون طن وقال : « إن الدولة ربما احتاجت إلى ثلاثة مشروعات جديدة من مشروعات السنوات الخمس » .

يدور على أن الخطر يحيق بروسيا السوفيتية إذا كانت الدول التى تجاورها — وإن كانت حكومات بعضها صديقة لروسيا — تعتمد على غير روسيا للظفر بمعداتها الصناعية. وأصحاب هذا الرأى يقولون إن استئثار ألمانيا بتصدير المعدات الصناعية الثقيلة ، أفضى إلى قبضها على زمام السيطرة على شرق أوربة . وإذا أريد للتعاون السياسى بين روسيا وجاراتها أن يقوم على أساس سليم ، فينبغى أن يؤازره تعاون اقتصادى تنزل فيه روسيا منزلة ألمانيا فيما مضى ، وأن تصير روسيا فى سنة ١٩٥٠ مصدراً لمعدات الصناعة تزود بها جميع البلاد القائمة على حدودها من بحر البلطيق إلى مضيق كوريا .

وكيفما نظرت إلى هذه الخطة وجدتها أعظم ما طمحت إليه دولة بعد الحرب ، وهى تنطوى على ما يهدينا إلى فهم ما ترمى إليه سياسة روسيا فى المستقبل .

وقد تكبد الشعب الروسى مشاق عظيمة أثناء تحويل روسيا إلى دولة صناعية فى الفترة التى سبقت الحرب ، وكان أقطابه يسوغون ذلك بما يمنُّونه به من رخاء اقتصادى عظيم متى تمت للأمة أسباب المنعة التى تمكنها من الصبر على الحرب . أما اليوم فيلوح أن الأقطاب سيطلبون من الشعب الروسى أن يتكبد مشاق جديدة ، لكى تظفر الدولة بالقوة الاقتصادية التى تتطلبها مكانتها بين الدول الكبرى .

والاتحاد السوفيتى لم يزل منذ سنة ١٩٢٨ يوم بدأ المشروع الأول للسنوات الخمس ، يعيش فى ظل اقتصاد صارم ، كالاقتصاد الذى تقتضيه ضرورات الحرب .

وأبلغ دليل على صرامة هذا النظام ، أن الجنود الروس ، وهم الفئة المنعَّمة من الشعب الروسى ، عدُّوا ما وجدوه فى أوربة الشرقية من فاقة وخصاصة ، رغداً وترفاً . ففى بوخارست ، أول مدينة أوربية دخلوها أذهلهم ما وجدوه فى حياة رومانيا من « ترف وبذخ » . أما ڤينا التى لم تزل تعانى ضنك البطالة منذ سنة ١٩١٨ ، فقد بدا العامل فيها للجنود الروس ميسورَ الحال ، وكثيراً ما سطوا على بيوت العمال . والروسى الذى عاش قرابة عشرين سنة محروماً بضائع الاستهلاك ، عدَّ اقتناء حلة سوى ثياب العمل أو اقتناء راديو أو ساعة — « ترفاً » عظيما .

وقد كان عمال الصناعة فى روسيا أكبر [illegible]ـة من السكان بلغت سن الجندية ، فكان منهم معظم المقاتلين ، وأصيبوا بخسارة فادحة فى القتال . ثم إن الألمان شددوا وطأتهم على عمال الصناعة والزراعة ، حين رحلوا أفواجاً من الروس لتسخيرهم فى ألمانيا .

ويقدر الروس أنه لم يبق عندهم سوى ١٢ مليوناً من العمال ليتولوا اليوم أعمال الصناعة والنقل والمرافق العامة ، وقد كان عددهم قبل الحرب عشرين مليوناً .

وروسيا تحتاج اليوم إلى عشرين مليوناً من العمال لكي تعوض الخسارة التي منيت بها في الحرب ، وتكفل التوسع الصناعي الجديد . فمن أين تجيء بهؤلاء ؟ فليس في المزارع عمال يفيضون عن حاجتها ، لأن تحطيم المعدات الميكانيكية في هذه المزارع ، ولا سيما الجرارات ، يقتضي أن يكون إنتاج الطعام رهناً بالعمل اليدوي . ولذلك أرسل أسرى الحرب من الروس إلى المزارع ، حتى الذين كانوا قبل الحرب من عمال الصناعة .

وقد قضت الحرب تقريباً على صناعات سلع الاستهلاك ، والعودة بهذه الصناعات إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، ليست مشكلة كبيرة ، وروسيا خليقة أن تصير في صيف ١٩٤٧ قادرة على تموين شعبها بأوفى حاجته من هذه السلع .

ولكن المسألة الكبرى هي هذه : أيرضى الشعب الروسي بأدنى ما ينبغي له لإقامة أوده ؟ أيقبل أن يؤجل ظفره بالرغد الذي مُنِّي به إلى أجل غير مسمى ، لكي يصبح الاتحاد السوفيتي هو « الدولة العليا » ؟

وهناك دلائل كثيرة على أن الروس يأبون أن يستمروا صابرين على شظف العيش ، بل إن حالتهم النفسية والبدنية لا تمكنهم من الصبر عليه ، فقد قضوا ثلاثين سنة في ضيق وشدة . وقد كانت السنوات الخمس الماضية كابوساً استنفد منهم كل ذرة من قوة البدن والعصب لكي يردُّوه على أعقابه . وأغلب الرأي أنهم لا يرضون أن يستمر حرمانهم زمناً آخر . وها هم اليوم يجدون لأول مرة منذ ربع قرن ، هيئة منظمة تعبر عن مطالبهم ، هي جيش مظفَّر . وقد كبر في نفس هذا الجيش ما رآه من ارتفاع مستوى المعيشة خارج روسيا ، ولا سيما بين الجنود الأمريكيين والبريطانيين .

وتدل أعمال حكومة السوفيت في العهد الأخير ، على اشتداد الإلحاح بزيادة سلع الاستهلاك زيادة سريعة . ففي البيان الرسمي عن تسريح الجيش ، قُطع عهد للضباط والجنود بأن يتاح لهم الملبس الكافي والمأوى الحسن حين يسرحون . وقد عمدت الصحف الروسية ، حتى قبل تسليم ألمانيا ، إلى إبراز مطالبة الشعب بسلع الاستهلاك — ومثل هذه الحملة تكون في العادة توطئة لما تفعله الحكومة . وأبلغ دليل على ذلك هو المرسوم الذي أصدره مجلس السوفيت الأعلى في سبتمبر الماضي ، وهو يحظر تصدير سلع

الاستهلاك من الولاية التي تنتجها . وواضح أن هذا القانون لا يحل المشكلة ، بل يضاعف سوء الحال في روسيا الأوربية حيث خربت المصانع ، ولكنه يدل على أن العمال لن ينزلوا بعد اليوم عن الأشياء التي يصنعونها*.

وعلى أن الدلائل ليست قاطعة ، فإنها تشير إلى أن روسيا لا تستطيع أن تنفذ مشروع السنوات الخمس الجديدة معتمدة على مواردها وحسب ، إذ تعوزها الأيدي العاملة اللازمة لإنتاج ما عزمت أن تنتجه من معدات الصناعة والأسلحة ، وأيضاً ما يطلبه الشعب من سلع الاستهلاك .

وليس ثمة سوى حل واحد لمشكلة سلع الاستهلاك التي تعانيها روسيا ، وهو أخذ قرض كبير من أمريكا . وقد تحدثت روسيا في شأن قرض كبير ربما بلغ ستة آلاف مليون من الريالات .

ولكن ليس من الثابت أن روسيا تعتزم أن تواصل السعي لعقد القرض ، لأن عقد قرض أجنبي يبلغ هذا المبلغ الضخم ، انحراف عظيم عن مبادىء سياسة روسيا الاقتصادية والخارجية . ومن القواعد الراسخة في تفكير الشيوعيين — ولستالين نصيب كبير في ترسيخها — أن القروض الأجنبية تفضي إلى تدخل الأجانب وسيطرتهم على شئون البلاد . حقاً أن قرضاً كهذا سيكون اتفاقاً سياسياً في المقام الأول ، ومن المرجح أن تطلب حكومة الولايات المتحدة مزايا سياسية لقاء موافقتها عليه ، ولا سيما ما كان ذا صلة بعلاقة روسيا بالدول الواقعة في منطقة نفوذها ، وإذن فاقتراض ستة آلاف مليون ريال يعدُّ اعترافاً بالضعف والحاجة ، وذلك يدلُّ على حرج حالتها الاقتصادية .

ولو أن روسيا عقدت القرض الأمريكي لكي تشترى به سلع الاستهلاك من أمريكا ، لظلت مشكلة اليد العاملة في روسيا مشكلة عسيرة ، توقعها في مشكلة أخرى دقيقة : فإما أن تسخر العمال الأجانب، وإما أن تأذن لعمال البلقان الأحرار أن ينزحوا إليها .

وأغلب الظن أنها تنتفع الآن في تعمير بلادها بخمسة ملايين من أسرى الألمان والنازيين الذين اعتقلوا في شرق ألمانيا ، وبعدد وافر من الفاشيين المتهمين بمقاومة الروس في المناطق التي ضمتها من بولندة

---

* أدرك ستالين حقيقة الحال فوعد في خطبة ٩ فبراير بأنه : سيلغى نظام التموين بالبطاقات في المستقبل القريب ، وستوجه عناية خاصة الى زيادة إنتاج السلع التي تستهلكها الجماهير ، والى رفع مستوى المعيشة بين العمال بخفض ثمن جميع السلع خفضاً منظماً .

ودول البلطيق، ولكن الدلائل تدل على أنها لا تزال تحتاج إلى عدد آخر من هؤلاء العمال.

إن محاكمة قواد الجيش البولندى الداخلى التى تمت فى ربيع السنة الماضية، لم يقصد بها تشديد الوطأة على حكومة بولندة فى إنجلترا وحسب، بل إن البيانات الروسية التى أذيعت يومئذ دلت على أن الحكم على هؤلاء الزعماء بأنهم خصوم لروسيا ومن أنصار الفاشية، يجعل كل محارب من رجال الحركة السرية فى بولندة عرضة للسجن أو للسخرة.

غير أن الانتفاع بهذه الجماهير الكبيرة من العمال المسخرين، ينفث السخط فى صدور شعوب أوربة جيلا بعد جيل، ويفضى إلى إنشاء الكتلة المعادية التى يخشاها الاتحاد السوفيتى. ومع ذلك، فلعل روسيا لن تجد مناصاً من اتباع هذه الخطة. ولمَ ذلك؟ لأن الإذن بنزوح العمال من البلقان إليها، حرىٌّ أن يورثها مشكلات أعظم.

يبدو لأول وهلة أن نزوح عمال البلقان إليها هو أوفق الحلول، لأنه إذا عجز سكان البلقان عن المهاجرة وجب أن يحولوا بلادهم إلى الصناعة، وروسيا عاجزة اليوم عن تجهيزهم بما يحتاجون إليه من معدات الصناعة، وهى تأبى أن تسمح للدول الغربية أن تفعل ذلك، على ما جاء فى الصحف الروسية. فإذا منع أهل البلقان عن التحول إلى الصناعة أو عن المهاجرة، ظلوا فى قلق واضطراب، ولكن سلامة روسيا تقتضيها أن تمنع مِرْجَل البلقان أن يغلى ويفور. فلماذا لا تفعل ذلك بقبول المهاجرين من البلقان إلى بلادها؟

إن الصعوبة فى ذلك هو أنه ينبغى أن يمنح المهاجرون حقوقاً سياسية واقتصادية لم تزل محرّمة على الروس، ولن تجد فلاحاً بلقانياً يقبل على المهاجرة بملء اختياره ما لم تضمن له حرية العبادة، ويقطع له عهد بأن يكون بيته ملكا له، وينبغى أن يؤذن للمهاجرين فى أن يرسلوا بعض المال إلى أهليهم فى وطنهم الأول، وأن يزوروا بلادهم فى الحين بعد الحين — أى أن يحافظوا على صلتهم بها. وأعظم شأناً من هذا كله، أن الدكتاتوريات فى البلقان لم تكن كاملة السيطرة ولا ثابتة، فظل الفلاحون يتمتعون بقسط من حرية المناقشة يفوق كثيراً ما عهد منها فى روسيا، وبنصيب وافر من الاشتغال بالسياسة الحزبية والدعوة إلى مرشحى الانتخاب، برغم ما كان يشوب ذلك من العنف والفساد.

وقد تمنحهم روسيا حرية العبادة وحق امتلاك منازلهم، ولكن أيسعها أن تمنح المهاجرين هذه الحقوق دون الروسيين

أنفسهم ؟ وهل يرضى النظام السوفيتى ، أو هل يستطيع أن ينحرف هذا الانحراف عن قواعد الحكم الجامع ؟ إن بعض الدعاية الصادرة عن موسكو فى العهد الأخير ، والنازعة إلى تعزيز جامعة الصقالبة، تدل على أن الروس يفكرون فى تشجيع أهل البلقان على المهاجرة ، ولكنهم لن يلجأوا إليها إلا على اعتبار أنها آخر سهم فى الكنانة — فهم يؤثرون كل وسيلة أخرى عليها ، حتى وإن كانت عقد قرض أجنبى . وأقل ما يرضونه أساساً للمهاجرة ، هو سيطرة روسيا سيطرة تامة على بلاد البلقان التى ينزح عنها المهاجرون .

فعلى الاتحاد السوفيتى أن يختار بين أمرين : أن يحتفظ بنظام الاكتفاء المطلق فى دولة جامعة، وإنْ عرّض توسعه الصناعىّ للخطر ؟ أو أن يحقق أغراضه الصناعية ، وإن أفضى ذلك إلى اعتماده اعتماداً كبيراً على سائر بلاد العالم — أى العالم الرأسمالى ؟ ولا يجترئ على التكهن بما يختاره سوى أحمق ، فقراره مرتبط بتيارات السياسة والاقتصاد فى الاتحاد نفسه ، وأيضاً بما تراه روسيا من احتمال استتباب الأمن فى السنوات المقبلة .

وأعظم مصالح روسيا فى الفترة المقبلة هى حفظ سلام العالم . والسنوات القليلة الآتية ، ستكون حرجة — بقدر ما كانت السنوات التى أعقبت الحرب الماضية سنوات حرجة ، أو كما كانت فترة المشروع الأول للسنوات الخمس. فبرنامج روسيا الاقتصادى يستغرق كل جهدها ومواردها ، والتجاؤها إلى سياسة العدوان فى عالم مؤلف من دول ضخمة قوية ، يقتضيها جهداً فوق طاقتها الاقتصادية . وقد لا نعدو الحق كثيراً إذا قلنا إن علة تشدد روسيا فى المفاوضات الدولية الأخيرة ، ولا سيما ما كان منها يمسّ منطقة نفوذها ، هى شعورها بضعفها الاقتصادى ، لا شعورها بالقوة .

ومشروع السنوات الخمس الجديد ، يدل على أن سياسة روسيا الاقتصادية متجهة إلى الاكتفاء فيما يخصها هى والدول الداخلة فى منطقة نفوذها . وقد تُقبل روسيا فى السنوات القليلة التالية على شراء مقادير كبيرة من السلع من خارج بلادها ، فإذا فعلت كان غرضها البعيد أن تستقلّ بنفسها عن الموارد الأجنبية .

والدلائل تدل على أنها ستجمع بين اهتمامها بسلام العالم ، وإصرارها على أن تسلك الطريق الذى تختاره ، غير معتمدة على أحد ، مكتفية بنفسها ، مخضعة جاراتها لمشيئتها ما وسعها ذلك .

تحول غريب
في حياة الشاعر وردزورث

ماكس إيستمان



في سنة ١٨٠٧ اختفى وردزورث الشاعر الثائر . وهذه صورة وردزورث الآخر الذى حل فى إهابه منقولة عن رسم صنع فى عهده .

عاش فى إنجلترا بين عامى ١٧٧٠ و ١٨٠٧ شاعر ثائر متلهب النفس لا يعرف عنه التاريخ إلا قليلا ، وكان اسمه « وردزورث » وكان هذا الثائر النحيف القوى المقوس الظهر الساهم العينين يخرج فى ثياب غير مهندمة ، ويبسط لسانه فى كل ما هو جليل عند الناس ، من الملك فنازلا ، ولا يعفى من لسانه رجال الدين ولا الأشراف ولا القانون الجنائى ولا الجيش . وكان أبى ، فى بساطة وهدوء ، أن يلتمس عملا ، وكان رصيده فى البنك قليلا ، ولكنه رأى أنه بهذا القليل يستطيع أن يحيا حياته .

وكان يحب الهواء الطلق ويحب المناظر الطبيعية حبًّا لم يكنه قلب شاعر آخر من قبله . وفى رحلته تلك إلى سويسرا ، مرّ فى طريقه إليها على مسافة أميال قليلة من كتدرائية ريمز ، فلم يعن بأن يلقى عليها نظرة ، فقد كان همه الجبال التى أرساها

يحسن الانزلاق على الجليد ، ويصبر على المشى الشديد الطويل ، ولكنه كان طالباً ضعيفاً لا ينشط للدرس إلا فى فترات متقطعة . وقد خيب أمل أسرته ، وهم من أهل العلم والفهم، بأن قضى شهرين فى رحلة على قدميه فى سويسرا ، على حين كان المفروض أن يعكف على الدرس للحصول على درجة الشرف من جامعة كمبردج . ولما نال الإجازة

الله جل جلاله ، فلم ير أن يسير يوماً واحداً ليشاهد أشهر ما صنعت يد الإنسان . وكان يحب الناس الذين يلتقى بهم على طرق الريف وهم قوم على الفطرة يعيشون على اتصال وثيق بالأرض . وكان حبه للطبيعة وحبه لهؤلاء الناس هما منبع ثورته ، فقد كانت نقمته على التكلف والأناقة المزيفة ، كنقمته على الظلم ، وكان ينفر من « الملوك » لأن

«جلالتهم» لم تكن حقيقة طبيعية ، ولا يحب الأشراف والأغنياء المزهوّين ، وكان لا يذهب إلى الكنيسة إذ كان يرى أن نزهة فى الغابات تفيده عاطفة أسمى — وخاصة إذا رافقته أخته دوروثى الوضيئة الحسن

وكان يخرج إلى الريف خروج الصائد السعيد ، ويؤوب إلى البيت وفى رأسه قصيدة ، كما يعود غيره من الناس بالأرانب فى حقائبهم . وكان فى مناجاته للطبيعة سمو أدبى ، وسعى للارتفاع بروح الإنسان إلى الجمال الساكن الصافى على البحيرات والجبال ، وكان فى كل بيت نظمه لهيب من الديمقراطية الثائرة .

وفى هذا الصدر الأول من حياته ، أيام كان يسير على غير هدى ، ذهب إلى باريس وكان فى الحادية والعشرين ، وكانت الثورة الفرنسية فى أيام مجدها ، وهناك عشق الحرية وعشق فتاة فرنسية فرزق منها طفلا . ولكنه لسبب غير معروف لم يستطع أن يبقى معها أو يتزوجها ، وقد ظلت هذه الحادثة مطوية عن الجمهور أكثر من مئة عام حتى غاص عليها أستاذ فى جامعة ، فاهتدى وهو ينقب فى المتحف البريطانى فى سنة ١٩١٥ على خبر حب وردزورث المستهتر ، ووقع أيضاً على ما خفى أكثره على النقاد ، وهو أن وردزورث كان جمهورياً عنيفاً ، مستعداً للموت والخيانة دفاعاً عن حقوق الإنسان ، وكان يعتقد أن الطبيعة نفسها تناصر الحرية ، فلما حدث فى عام ١٨٠٢ أن قبض نابليون على الثائر الزنجى توسان لوفرتير وجاء به من هايتى إلى فرنسا ليموت وهو مقيد ذليل ، صوّر الشاعر إيمانه هذا فى قصيدة من أنبل القصائد :

« توسان ، يا أتعس رجل بين الناس !

« سواء أكان الفلاح يصفر ويدندن
« على مسمع منك وهو يحرث الأرض بفدانه ،
« أم كنت راقداً فى قبو سحيق لا يتأدى إليه
« صوت ، فأين ومتى أيها الشيخ التعس
« تجد الصبر حتى تقهر الموت ؟ ولكن
« جبينك طلقاً وأنت عان موثق ، وعش
« وتعزّ . وإن كنت قد هويت ولن تنهض
« مرة أخرى ، فقد خلفت وراءك قوى
« سوف تعمل فى سبيلك : الهواء ،
« والأرض ، والسموات ، وما من نسمة
« من الريح ستنساك ، وإن لك لأحلافاً
« عظاما : وإن أصدقاءك لهى المباهج والآلام ،
« والحب وعقل الإنسان الذى لا يقهر » .

والسبب الأكبر فى أن دعوة وردزورث الثائر قد ذهبت سدى ، هو أنه هو نفسه اختفى حوالى سنة ١٨٠٧ ومن سنة ١٨٠٨ إلى ١٨٥٠ حل فى إهابه شاعر آخر هو وليم وردزورث الذى لعله كان أعند وأجفى

رجعى خط على الورق بيتاً من شعر . فقد كان وليم محافظاً متزمتاً ومتعصباً ، وعدوًّا للشعب ، مصانعاً لذوى السلطان ، ولا يكاد يكون فى اللغة لفظ فيه من القوة والعنف ما يكفى لوصف ما صار إليه . فلم يكن عدوًّا للثورة فحسب ، بل كان خصما للإصلاح السياسى والاجتماعى أيضاً بحجة أنه قد يؤدى إلى الثورة. وإنه ليقف وحده بين المتشددين إذ كان قد جاهر بمقاومته لكل محاولة لتغيير الأحوال أو تحسينها من أى وجه .

وليس فى تاريخ الأدب حادث يشبه هذا فى انقلاب الشخصية .

فقد كان الشاعر الأول نصيراً للفكر الحر والبحث الحر فى كل موضوع ، أما الشاعر الثانى فيفضل الخرافة على العقل ، ويأبى أن تدخل المجلات فى بيته .

وكان الشاعر الأول قد نظم قصيدة هجاء يسخر فيها من وجه الملك ، أما الشاعر الثانى فزحف على ركبتيه إلى الملك بقصيدة موضوعها « صَبر الملك » .

وكتب الأول مقدمة عن الشعر تعد من المعالم فى تيسير الأدب ، أما الثانى فقال : « إنى لشديد الأسف والندم لأنى كتبتها » .

ورزق الأول طفلا غير شرعى من أول فتاة أحبها ، أما الثـانى فظل اثنى عشر عاماً يأبى على ابنته أن تتزوج الرجل الذى تحبه .

ونظم الأول أبياتاً تفتت الأكباد فى قسوة القانون الجنائى ، أما الثانى فنظم ١٤ قصيدة فى تأييد الإعدام فى القانون .

وما من أحد يعرف السر فى هذا التغيير التام الذى اعترى شخصيته . وقد تكون الرعاية التى فاز بها من ذوى المنازل الملحوظة هى التى أخمدت روح وردزورث الشاعر الأول ، أو لعل السبب راجع إلى الحملة القطيعة التى قام بها النقاد عليه لأنه يكتب وينظم كأن عامة الناس لهم قيمة . أو قد تكون العلة أنه تزوج فى الثانية والثلاثين ، وأن حجرة الجلوس ما لبثت أن ازدحمت بخمسة أبناء . ويعزو بعضهم هذا التحول إلى طائفة من النساء — أربع منهن — أحطن به فى بيته ونسين ذواتهن فى سبيله ، وكن يقوين فى نفسه الغرور ، ويشجعنه على أن يفرض رأيه كأنه القانون .

فقد كتبت أخته فى مذكراتها : «أتعب وليم نفسه بالعمل اليوم قليلا » .

وقد ظل هذا الشاعر أكثر من نصف قرن لا يشكو ألماً ، وكان وهو فى الستين هو نفس « الفتى البارع فى الانزلاق على الجليد » ، ولكنه كان ينفر نفوراً شديداً من أن يتناول قلماً ويكتب به ، وكان يودّ أن تثب الألفاظ من رأسه إلى الورق ،

وكان يألم لأنها لا تفعل ذلك ، وكان يحتاج إلى زيادة مطردة فى التدليل من أجل هذا.

ومهما يكن السبب فى هـذا التحول ، فإن النتيجة هى أن وردزورث قضى على نفسه ومحاها ، من حيث هى نفس فيلسوف أخلاقى أو سياسى .

وفى هذا ما يحزن ، فإنه هو نفسه كان يذهب إلى أن « كلّ شاعر عظيم معلم » ويطلب أن « يعد معلماً أو لا يعد شيئاً » . على أن هناك أيضاً درساً لمن يبغى أن يفهم الشعر ، فليس بصحيح أن كل شاعر عظيم معلم ، وإنما الصحيح أن كل شاعر عظيم ، باعث يقظة ، وقد تكون آراؤه السياسية أو لاتكون ذات شأن فى عظمته، فإنه مهما تكن آراء وردزورث السياسية أو مظاهر شذوذه الشخصى ، فإنه يظل شاعراً عظيما .

إن أول مهمة للشاعر هى أن يجعلنا ندرك قيم الحياة ، لا أن يلقى علينا محاضرة فيها ، وقد نصغى إلى محاضرته ، ولكنا نحبه لأنه فتح لنا عيوننا وأفرغ علينا نوراً ، ونهض بنا من بين الموتى أو اشباه الموتى ، وجعلنا نرى ونحس الدنيا ونشعر بأن نفوسنا تختلج فى طواياها ، ولأننا نرى الدنيا مصبوغة بالألوان التى أفاضتها روحه عليها ، وإذا كانت روحه سامية مجيـدة كالشمس ، لا كابية مضطربة كالشعلة الخابية ، فقد يسمى هذا تعلما . لأنها تعلمنا عن طريق القدوة حقيقة قد لا نتعلمها البتة من طريق آخر . وقد تحققت رغبة وردزورث من هذه الناحية على نحو باهر ، فقد كان يحمل معه غبطة نفسه وهو ذاهب يتمشى فى الريف ثم يرتد بها فى أغانيه . وإنك لتحس هذا حتى فى أصفى أغانيه :

« جبْت الدنيا وحيـداً كأنى غمامة
« تسبح عالية فوق الأودية والتلال، وإذا بى
« أرى فجأة حشداً من الأزاهير الذهبية
« بجانب البحيرة وتحت الأشجار ، تضطرب
« وترقص مستجيبة للنسيم وما لها آخر ،
« كالنجوم الوضاءة المتلامحة فى المجرة ،
« وصفوفها ممتدة إلى غير نهاية على حافة
« الخليج ــ عشرة آلاف منها أخذتها عينى
« بنظرة وهى تهز هاماتها فى رقصها المرح .
« وكانت الأمواج قريباً منها ترقص ،
« ولكنها بذّت الأمواج المتمعة جـذلاً
« ومراحاً . وما من شاعر يسعه إلا أن
« يكون مبتهجاً مع مثل هذه الرفقة الجذلة.
« ولقد أرسلت بصرى ، ثم أرسلته ولكنى
« لم أدر أى ثروة ساقها إلىّ هذا المنظر .
« فكثيراً ما يتفق، وأنا راقد على أريكتى
« أتفكر أو لا أتفكر، أن تومض لتلك العين
« الباطنة التى هى نعمة الوحدة ، وحينئذ
« تفعم الغبطة قلبى ، فيرقص مع الأزاهير» .

طاغية يجمع بين النقائض — أليف حلو المعشر ولكنه جشع مستبد لا يرحم .

طاغيــــة في جزائر الهند الغربية

چورج كنت

مختصرة من مجلة "ذي إنتر أميركان"

سانتو دومنجو هو الاسم الشائع الذى تعرف به الجمهورية الدومنيكية بين الناس ، وهى فى جزيرة هسبانيولا بين جزيرتى كوبا وبورتوريكو، وتبلغ مساحتها نصف مساحة البرتغال ، وعدد سكانها مليونا نسمة معظمهم من السودوا لخلاسيين، وسوادهم أميون. وفى هذه البقعة مهد خريستوف كولمب أول موطن للجنس الأبيض فى الشق الغربى من الأرض، وفيها أيضاً دفن جثمانه واستقر .

والجمهورية الدومنيكيـة خليقة بأن يقصدها الناس ، لا ليروا مناظرها الجميلة فحسب، بل ليشهدوا كيف يصنع الطاغيــة الذى يجمع فى قبضة يده العاتيـة أزمة الحكم ومقاليد السلطان .

ففى هذه الجمهورية ، كما يسمونها، تصرف الشئون كما تصرف فى عمل خاص يتولاه رئيس مطلق اليد فى إدارته . فمهما توخيت من الرفق واللين فى معارضة هذا الطاغية ، فجزاؤك منه أن تغيب حيث لا تراك عين ناظرة. فإذا سايرته وتجملت فى عينيه ظفرت بمال جزيل من عطائه ، فهو رجل سخى كريم .



وهذا الطاغية هو الرئيس القائد الأعلى الدكتور رفائيل ليونيداس تريبلو إى مولينا ، وهو رجل خلاسى استهل حياته أجيراً رقيق الحال يعمل فى مزرعة ، أما اليوم فيبلغ دخله من عمله الهين ٥ ملايين ريال فى السنة ، وهو يملك ثروة تقدر بنحو ٢٥ مليون ريال أودعها فى المصارف أو اشترى بها عقارات فى بورتوريكو والولايات المتحدة .

وقد ذكر اسمه أول مرة قبيل الحرب بعد وقوع حادثة على الحدود الدومينيكية تعرف بمذبحة هايتى . وهايتى هى أصغر جانب وأقله خصباً من جزيرة هسبانيولا . وقد يزيد عدد سكانها على سكان الجمهورية الدومينيكية بنحو مليون نسمة . وقد ظل سكان هايتى عدة سنوات يتسللون من الحدود المجدبة ليعملوا فى مزارع السكر فى سانتو دومنجو ، أو ليسرقوا الماشية ، أو ليضعوا أيديهم على قطع متطرفة من الأرض الفضاء .

وأهل سانتو دومنجو يكرهون ذلك من فعلهم ، وحق لهم . وقد لمح الطاغية تريبلو فى وليمة عشاء أمام ضباط الجيش أنه قد يكون من المستحسن قتل اللاجئين من أهل هايتى ، فقتل فى بعض النواحى عدد من الرجال والنساء والأطفال ، ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف نسمة ، رمياً بالرصاص أو طعناً بالخناجر .

واليد التى تدير أمور جمهورية سانتو دومنجو معروفة لا يمارى فيها أحد ، فأنت ترى فى الطريق الأعظم من العاصمة لافتة مكتوبة بأشعة نيون — وهى الوحيدة فى المدينة وهى : «مع تريبلو إلى النهاية» ، وعلى مقربة منها تجد لافتة أخرى مكتوبة عليها : « مع الله وتريبلو » ، وتجد مكتوباً على رخصة كل سيارة هذه العبارة : « يعيش تريبلو » . وكان منقوشاً فوق سُبُل الماء على طول الطريق العام هذه العبارة : « الله وتريبلو يرزقانكما هذا الماء » ، غير أنك اليوم تقرأ فى مكانها : « تريبلو وحده يرزقكم هذا الماء » .

وتجد على النصب المنحوت من الصخر بجوار الفندق الذى تنزله أحرفاً من الشبه هى : « بنى فى عهد تريبلو » ، وتجد مثل ذلك على كل مدرسة وبناء عام . وتجد فوق المكتب حيث تقيد اسمك فى الفندق ، صورة كبيرة ملونة للقائد الأعلى فى ملابسه الرسمية ، وعلى صدره خليط من الأوسمة وهو يصوب إليك نظرات فيها لمحة من التقوى والورع ! وتلقى هذه الصورة على جميع الجدران فى كل مكتب حكومى ، ولا يخلو بيت منها أيضاً .

أما الصحف التى تكتب ما تؤمر به فتعيد نشر اسم القائد مرات لا تحصى ، وفى كل مرة تذكر ألقابه التى منها : « المحسن إلى وطنه » ، « باعث الاستقلال المالى » ، « منقذ الشعب » ، « منشىء الحزب الدومنيكى ورئيسه الأعلى » ، «حامى الفنون والآداب » .

والمدينة التى هى عاصمة البلاد الآن ، كانت تعرف منذ سنة ١٤٩٦ باسم «سانتو دومنجو»

فأطلق عليها الطاغية اسم «مدينة تريبلو» ، وكذلك استبدل باسم ثلاث مقاطعات قديمة الأسماء الآتية : تريبلو ، المحسن ، المنقذ . وترى الآن ما يقرب من مئة بلدة تحمل اسم تريبلو ، أو ألقابه ، أو أسماء أفراد أسرته . وقد صار لقب أمه جوليا مولينا «أمّ الشعب» بقانون أصدره مجلس الأمة .

وتريبلو غير مسئول عن كل هذا الملق الوضيع ، فمعظمه من عمل الحزب الدومنيكى وهو الحزب الوحيد فى الدولة ، وهو أشبه بحزب النازى السابق فى ألمانيا . وقد دعا تريبلو أخيراً إلى إنشاء أحزاب للمعارضة مصانعة للديمقراطيـة ، ولكى يسبغ على انتخابات سنة ١٩٤٧ مسحةَ التنافس بين الأحزاب ، ولكن لم يجرؤ أحد قط على تلبية هذه الدعوة حتى الآن .

وينشر الحزب الدعاية لرئيسه ، فيمدّ السفّاحين بالمال، ويحشد الجماهير المدربة على الهتاف : يعيش يعيش . وأغلب هذه الدعاية صياح وضجيج . ومن أساليبها طريقة قديمة هى طريقة البر والإحسان ، وهى عندهم تقديم اللبن للناس مجاناً . فالرئيس يملك قطيعاً عظيما من الماشية الكريمة التى تدرّ اللبن ، فيشترى الحزب اللبن من الرئيس ، ثم يوزعه مجاناً على الأطفال والمرضعات على أنه هبة من « المحسن » — وهكذا يروج « المحسن» ، وينشر الحزب دعايته ، ويظفر الأطفال بحاجتهم من اللبن ، فيملأ السرور قلوب الناس جميعاً .

وجانب من المال الذى ينفقه الحزب يجمع من موظفى الحكومة الذى يفرض عليهم أن يساهموا بقسط يخصم من مرتباتهم ، ويُجتَبَى الباقى من الضرائب التى تفرض على رجال الأعمال الأجانب الذين يعلمون أن الإباء عقباه خرابهم .

وقد يسبق إليك الظن أن هذا الطاغية رجل أحمق ضعيف العقل ، كلا ، بل هو رجل قوى البأس ، أليف ، حلو المعشر ، محبوب ، جميل الهيئة ، قوى العضلات ، موثق الخلق ، أسمر اللون ، له عينان عسليتان ، وديع النظرات ، وهو أنيق فى زيه، قريب الشبه بجورنج فى ولعه بالأوسمة ، والوشى المذهّب ، وقد اتفق له أن نال أول وسام أجنبى من موسولينى .

تزوج ثلاث مرات ، وأحبُّ أولاده إليه فى السابعة عشرة من عمره ، واسمه رامفيس ، ولما بلغ ولده هذا الخامسة عينه أبوه قائمقام فى الجيش ، وأجرى عليه مرتب قائمقام ، وهو ٤٥٠ ريالا فى الشهر — ثم رقى أخيراً إلى رتبة جنرال .

وقد ولد هذا الطاغية منذ ٥٥ سنة على مقربة من مدينة سان كريستوبال . وكان أبوه يسرق الماشية ويبيعها ، فسيق مرة مكبلا بالأغلال فى الشارع الرئيسى فى العاصمة، فلما توفى أمر ابنه بأن تسير جنازته فى الطريق نفسه ، ثم دفنه فى الكاتدرائية القديمة على بعد بضع أقدام من جثة خرستوف كولمب . وكان هذا الطاغية صبيا شرس الأخلاق ، حتى قيل إنه سجن بتهمة التزوير . ولما ترعرع صار حارساً على مزرعة لقصب السكر . ولما احتل الجزيرة مشاة بحرية الولايات المتحدة ، من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٤ ، أعانهم بجهوده وعمله ، ثم ترقى فصار يوزباشياً فى الشرطة ، وتميز بقدرته فى القضاء على الوطنيين الدومنيكيين الذين شنوا حرب العصابات على مشاة البحرية .

ثم صار جباراً فى عمله لا يرحم ، واكتسب خبرة فى إنشاء الطرق وأنابيب المياه والمرافق الصحية والمدارس .

وبعد أن تم انتخاب هوراسيو فاسكيز رئيساً للجمهورية فى انتخاب حر سنة ١٩٢٤ ، رقى تريلو إلى رتبة جنرال ، وحول الشرطة إلى جيش كامل العدة حسن التنظيم لا يخضع إلا لأوامره . فلما ثارت العصابات سنة ١٩٣٠ على فاسكيز، ظل الجيش مرابطاً فى ثكناته ، وبعد ذلك بقليل أصبح تريلو رئيساً للجمهورية .

وقد وضع لانتخابه رئيساً خطة محكمة ، إذ أطلق جماعة من الطغام يعتدون على خصومه ويرهبونهم إلى أن كفوا عن الدعاية لأنفسهم وعن عقد اجتماعاتهم . واحتشد أعوانه فى سيارات مسلحة بالمدافع فى بلاد الريف وقتلوا ما يقرب من مئة شخص ، فانتخب بالإجماع لانسحاب المعارضة . ودخل تريلو الجمهورية وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وبعد ذلك ببضعة أسابيع دمرت زوبعة ٨٠ فى المئة من دور العاصمة وقتلت ٥,٠٠٠ شخص ، فأتاحت له هذه الكارثة أن يظهر مقدرته على التنظيم والزعامة ، فبلغ الغاية، وأعاد النظام فى الحال،ثم تمكن من إعادة بناء العاصمة كما تراها اليوم مدينة نظيفة حديثة التنسيق .

ولما قبض تريلو على مقاليد الحكم كان دخل الجزيرة يبلغ ٧ ملايين ريال ، وكان على البلاد دين يبلغ ٢٠ مليون ريال، تدفع عنه فائدة قدرها مليون ريال فى السنة ويستهلك منه نحو ١,٧٥٠,٠٠٠ ريال . فأراد أن يعالج هذا الأمر ، فخصم ١٥ فى المئة من مرتبات الموظفين ، وأغلق مئات من المدارس ، واقتصد أموالا أخرى من النفقات العامة .

وقد اتبع الرئيس المحسن فى شئون السياسة أساليب قاسية للقضاء على خصومه ، فيقال إنه أزهق أرواح عـدد من الناس ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف ، ويؤيد هذا الشهود الذين يوثق بهم ، وتؤيده التقارير التى وردت إلى جمعيـة السياسة الخارجية فى الولايات المتحدة . وقد قلت نسبة الاعتقالات وحوادث إزهاق الأرواح ، ولكنها لا تزال ترتكب « فى هدوء » ، كما قال أحد أعضاء السلك السياسى الأجنبى فى العاصمة .

وقد قابلت المعارضة هذه الأعمال بإلقاء القنابل ومحاولات الاغتيال ، وحدث فى شهر يوليو الماضى أن حمل طلبـة الجامعة على الطاغية ، فاعتقل كل شاب اشـترك فى هذا الاحتجاج وألقى فى غياهب السـجن ، وأعدم اثنان من الطلبة .

وقد أسـدى تريبلو لمالية بلاده أيادى جليلة ، ونجح أيضاً فى تنظيم التعليم ، وخفض نسبة الأمية بنحو ١٠ فى المئة ، وفتح مئات من المدارس الجديدة ، وخرّج عدداً كبيراً من المدرسين ، وزاد عـدد الطلبة الذين يواظبون على الدراسة حتى صار ٢٠٠٫٠٠٠ طالب .

وقد فرض تريبلو على كل مدرسة أن تكون فيها حديقة يزرعها الطلبة بأنفسهم ، وهذه الحـدائق تجمع أنواع المحاصيل الرئيسية التى تزرع فى الجزيرة وتتاجر فيها البلاد . ومن الأساليب الجديدة التى أحدثها « المحسن » نظام المدرّس الطوّاف ، وهو مدرّس يمر على الأطفال الذين يعجزون عن الالتحاق بالمدرسة ليعلمهم .

وقد جرى الحديث بينى وبين أمريكى مشهور يكره هذا الطاغية لأسباب كثيرة ، فقال لى : « لقد شهدت البلاد فى السنوات الخمس عشرة الماضية نهضة لم تشهدها منذ ٤٠٠ سنة خلت » . وهذا أسلوب من أساليب رجال الحكم المطلق ، فقد تمكن موسولينى أن يجعل القطارات تسير فى مواعيد منتظمة ، وأنشأ هتلر طرقاً عظيمة للنقل ، وهذا تريبلو قد أنشأ الطرق أيضاً ، وأقام شبكة طويلة من ترع الرى ، وحوّل أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ فدان من أرض بور إلى أرض صالحة للزراعة ، وأعدّ الموانئ التى كانت لا تصلح إلا لسفن الصيد ، لكى ترسو فيها البواخر التى تمخر المحيطات .

وتدل الإحصاءات على أن النتيجة كانت باهرة ، فهذا الأرز مثلا : كانت الجمهورية تستورد منه ما تبلغ قيمته ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال ، فهى اليوم تسد حاجتها منه بفضـل نظام الرى ، حتى استطاعت فى العام الماضى

أن تصدر ماقيمته ٦٠٠٠٠٠٠ ريال . وهو يحاول الآن أن ينوّع محاصيل الجزيرة حتى لا تظل بلاده معتمدة على محصول واحد هو السكر . ولكنك قد تسأل : « ما الذى عاد من ذلك على عامة الناس ؟ » . والجواب أن نصيبهم منه قليل ، فقد كان رطل الأرز يباع بقرش ونصف قرش ، وهو هناك طعام الناس يخلطونه باللوبيا . أما اليوم فيباع الرطل منه بنحو أربعة قروش . فالفقير لا يستطيع أن يشتريه . وسعر السكر أغلى منه فى الخارج وكذلك البن .

ويرجع السبب فى ذلك إلى سلسلة من المحاولات الباغية لتحويل جميع أنواع المحاصيل والصناعات الرائجة إلى ملك خاص حتى يحتكرها الرئيس وأسرته .

فحق استخراج الملح مثلا وحق بيعه ليس إلا لتريبلو وحده ، وقد ارتفع سعر رطل الملح من ربع قرش إلى قرش واحد ، والطباق أيضاً من السلع التى يحتكرها تريبلو ، وكذلك الكرنب . وقد رأيت أثر ذلك فى الريف حيث رأيت فلاحين قد اشتريا سيجارة واحدة واقتسماها بينهما .

أما زوجته فتحتكر غسل الملابس وكيها فى أنحاء الجمهورية ، وهى التى تبيع للحكومة الأوانى المعدنية والفولاذ والحديد اللازم للبناء . وأما شقيقه فيحتكر تجارة الجير والأخشاب . وكذلك شأن أكثر الأشياء والسلع .

وهـذه الاحتكارات تستأثر بخير الأعمال وأجداها فى الجمهورية الدومنيكية ، ما عدا السكر لأنه فى أيدى الشركات الأمريكية ، وهى تدر على الطاغية دخلا صافياً يبلغ ٥٠٠٠٠٠٠ ريال فى السنة .

ومع هذا الدخل العظيم ، فهو شديد صارم فى مراقبة جباية مال الدولة وفى وجوه إنفاقه . وليس فى بلاده رشوة ، وذلك لأن الموظفين أنفسهم يمارسون الاحتكار ، ويربحون أكثر مما تطمح إليه أوهامهم . ومن عادة الطاغية أن يمنح كلاً منهم فى نهاية السنة بيتاً أو عقاراً مكافأة له . وهم جميعاً من أهل الرأى والعقل ، فكان يظن بهم أن يستنكروا هذا الحكم المطلق المستبدّ ، ولكن ما يتمتعون به من الرفاهية والثراء العظيم يجعلهم راضين بالحكم الذين يعيشون فى ظلاله ناعمين .

ولا يصيب الشعب المسكين شيئاً من هذا الترف ، وقد جعلهم سوء التغذية فرائس السل الفتاك . وسبب انتشار هـذا المرض هو الحالة الاقتصادية ، ولن يصلح الحال ما دام نظام الاحتكار قائماً .

وقد أصبحت ترع الرى مباءة للبعوض ، فتفشّت فيهم الملاريا ، ولا يزال مرض

الأنكلستوما يهدّ قوى الناس ، ويصاب به ٣٠٠,٠٠٠ شخص فى السنة ، وهو مرض يمكن توقيه بإلزام الناس أن يلبسوا الأحذية ، ولقد قضى على المرض فى كوستاريكا مثلاً بمنح الأحذية للأطفال . والأمراض السرية متفشية بينهم أيضاً ، والحكومة لا تلقى بالاً إلى مكافحتها ، فإن أخا الطاغية هو الذى يحتكر بيوت الدعارة .

والأمل فى تغيير نظام الحكم فى الجمهورية الدومنيكية معقود على مساعى المنفيين من أهل تلك البلاد ، وهم نفر من الرجال الأذكياء يعملون بهمة لتحرير بلادهم ويقيمون الآن فى فنزويلا ، وكوبا ، وكولومبيا ، والمكسيك والولايات المتحدة . وفى الجمهورية « مقاومة خفية » ، ولكن عين الطاغية التى لا تنام ، وضيق رقعة البلاد ، تجعل هـذه المقاومة قليلة الخطر .

والناس فى بلاد أمريكا اللاتينية يمقتون هذا الطاغية ، فليس للبرازيل وفنزويلا وشيلى ممثلون هناك ، ومردّ هـذا البغض إلى ما يرونه من عدوانه وطغيانه .

وقد فتح الطاغية بلاده لدخول اللاجئين الذين فروا من أوربا ، وهو يتقاضى عن كل رأس نحو ٥٠٠ ريال .

وقد عبر أحد الكتاب الذين زاروا تلك الجمهورية أخيراً عن خلاصة القول فى تريلو بقوله : « لا يزال مجال العمل واسعاً فى الجزيرة قبل أن تظفر بمدارس صالحة للتعليم ، ومستشفيات تتسع للمرضى ، وغير ذلك من أسباب التقدم الاجتماعى . ولا يزال الفقر شائعاً ، وإن كان الناس هناك لا يموتون جوعاً . وكلما نشر الطاغية التعليم فى بلاده ، اشتد السخط عليه . ولن يصبر الناس على مدى الأيام وهم قانعون بما ينعم به الطاغية عليهم من طرق معبّدة ومنشآت عامة فخمة ، وخبز وملاهٍ يتسلون فيها » .

قصص صحفية

من أبعث القصص الصحفية على أسى الصحفى ، قصة مراسل أمريكى سافر إلى روسيا ، بعيد نشوب الثورة الروسية وقيام النظام السوفيتى فيها . فذهب قبل سفره إلى رئيسه وقال : « قد يموت لنين وأنا فى موسكو . ويغلب أن يمنع الرقباء نشر الخبر فى أول الأمر . فأرسل إليك برقية أقول فيها « إننى فى حاجة إلى المال ، ابعث إلى بمئة ريال » . فوافق المحرر على ذلك .

وبعد أشهر مات لنين وأبرق المراسل يطلب المال ، فجاءه رد من رئيسه يبرق ويرعد ويعنفه على إسرافه . فقـد نسى المحرر ما اتفقا عليه . ولم تمض أسابيع حتى تسرب نبأ موت لنين من روسيا . فضيعت تلك الصحيفة فرصة نادرة ، هى أن تسبق صحف العالم إلى نشر نبأ خطير .

[مجلة « ذس ويك »]

اتجاه جديد قد يسفر عن
عواقب خطيرة الشأن .

الثورة الفرنسية الجديدة

أندريه فيسون

ظلت فرنسا خلال القرن التاسع عشر وما مضى فى القرن العشرين آخذة بمبادىء الثورة الفرنسية فى معاداة الدين وأهل الدين ، وانتشر هذا الرأى فى أوربة وكثير من بقاع العالم الأخرى وجر فى أثره الإلحاد والمادية . وقد قام فى فرنسا حزب جديد له رأى فى بعث النزعة الدينية بعثاً جديداً ، فآثرنا نشر هذا المقال لكى يعرف قراء الشرق العربى الاتجاهات الجديدة فى مسألة الدين والدولة ، وما عسى أن يكون لها من أثر فى سائر بقاع الأرض .

فى فرنسا اليوم بوادر ثورة جديدة ، فثورة سنة ١٧٨٩ قد أسفرت عن الديمقراطية فى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ، ولكنها أيضاً حطمت السدود ، فتدفق سيل المادية التى نجم منها عدوّا الديمقراطية: الشيوعية والفاشية. أما الثورة الجديدة فترمى إلى إنقاذ الديمقراطية بإحياء الشعور الدينى ، ليقوم سدًّا منيعاً فى وجه المادية ، فأثرها العميق لن يقتصر على مستقبل فرنسا ، بل سيشمل مستقبل العالم الغربى قاطبة .

ومن الغريب أن أحزاب الميمنة ، لا أحزاب الميسرة ، كانت مبعث السعى إلى هذه اليقظة الدينية . وطليعته جماعة الحركة الجمهورية الشعبية ، وهى حزبٌ سياسىٌّ جديد قد أصبح اليوم من أكبر الأحزاب فى فرنسا ، وأقطابه يصفونه بأنه حركة ديمقراطية تستوحى المبادىء الدينية المسيحية. وسياسة الحزب تجعله وسطاً بين الحزب الراديكالى الاشتراكى المعتدل الذى كان أقوى الأحزاب الفرنسية ، وأحزاب الاشتراكيين والشيوعيين من متطرفى اليسار . أما أحزاب الميمنة فأعضاؤها قلة لا تذكر .

وحزب الحركة الجمهورية الشعبية لا ينوى أن يجعل الكنيسة فى فرنسا قوة سياسية ، فهو لا يختلف فى هذا عن سائر أحزاب الميسرة ، ولكنه يصرّ على أنه لا بدّ من نفخ روح دينى جديد فى حياة فرنسا السياسية والاجتماعية ، فهو يختلف

عن سائر جماعات الميسرة فى أنه ليس عدوًّا للكنيسة من حيث هى كنيسة .

والعداء السياسى للكنيسة تناقض عجيب فى بلد كفرنسا سواد شعبها من الكاثوليك، وسكان فرنسا ٤٠ مليوناً ، منهم ٣٦ مليوناً كاثوليك المولد ، ولكن ١٢ مليوناً منهم وحسب كاثوليك العقيـدة . وإذا سمعت حدهم يقول: « أنا ملحد، ولكننى كاثوليكى لبعاً » فاعلم أن ذلك ليس هزلاً ، فهى كلة جارية على ألسنة الناس فى فرنسا . ثم ن فرنسا ظلت خلال عهد الجمهورية الثالثة لتى دامت ٦٥ عاماً (١٨٧٥ — ١٩٤٠) نتجه اتجاهاً مطرداً إلى اليسار ، على حين كانت الكنيسة وثيقة الصلة بأحزاب الميمنة، فكان الفرنسيون لا يسلكون فى سلك الجمهوريين الأخيار ، إلا الذين انصرفوا عن الكنيسة .

وقد بلغ أحرار الفرنسيين فى ذلك مبلغ المهزلة ، فكانوا إذا أرادوا أن يَصِمُوا مرشحاً من أحزاب الميسرة بما يشينه ، لا ينشرون صورة ساخرة تظهره جالساً وعلى ركبته حسناء شقراء ، بل ينشرون صـورة زوجته وأولاده وهم يصلون فى الكنيسة . وقد اضطر جان جوريس الزعيم الاشتراكى ، أن يقف فى حزبه مرة ليدفع عن نفسه تهمة ذهاب زوجته إلى الكنيسة . أما إدوار هريو الزعيم العظيم لحزب الراديكاليين الاشتراكيين ، فقد انتقده حزبه مرة انتقاداً لاذعاً ، لأنه زار فى بعض البلاد مدارس الفرنسيين ومستشفياتهم التى كانت تديرها الجماعات الدينية منذ أجيال .

وقد نشبت المعركة ضد الكنيسة فى كل قرية فرنسية ، فمعلم المدرسة فى القرية الذى يتقاضى أجره من الدولة ، ويغلب أن يكون من الأحرار أعداء رجال الدين ، عدوّ لكاهن القرية ، وهما يمثلان فريقين متناقضين فى الرأى ، جعلا فرنسا فئتين متنابذتين .

وقد كان هـذا الانقسام أثراً من آثار ثورة سـنة ١٧٨٩ ، فقد كانت فرنسا فى العصور المتوسطة أمة شديدة التدين . وعلى أن ملوكها لم يتمسكوا بقواعد الدين فى حياتهم ، فقد كانوا يفاخرون بما فى ألقابهم من إشارة إليه . وقد بلغ من اهتمامهم بمسائل الدين ، أن خاضوا أربع حروب دينية دامية فى القرن السادس عشر .

وقد غُلب فريق البروتستانت، فأرادت الكنيسة الكاثوليكية الغالبـة أن تفرض سيطرتها على كل ناحية من نواحى الحياة ، ولكنها لم تتمكن من التغلب على نقد الفلاسفة الفرنسيين المطرد . وقد عمدت طائفة من

أبلغ الكتاب ، من رابليه إلى ڤولتير ، إلى كل ما فى وسعها من أساليب التهكم والسخرية للتشهير برجال الدين الفرنسيين ، فهيأوا النفوس والأذهان للثورة .

كان هدف الثورة قيام ديمقراطية وطنية يؤلفها رجال أحرار حطموا قيود « الهيئات المميزة » سواء أكانت « الملكية » أو « الكنيسة » ، على أن الديمقراطية الوطنية خسرت تدينها خلال محاربتها الكنيسة ، فانحطت إلى دولة مادية ، تنكر على الدين منزلته فى المجتمع البشرى .

وفى سنة ١٨٣٠ أرسل ألكسيس ده توكفيل ، الذى توفر على دراسة الديمقراطية الأمريكية ، تحذيراً إلى الديمقراطيين الفرنسيين من أعداء الدين جاء فيه : « المادية أكبر خطر على جماعة الديمقراطية » وألح عليهم بوجوب التقريب بين قواعد الدين والديمقراطية فى أوربة ، وخص بالذكر ما للدين من نفع فى الديمقراطية الأمريكية فى زمنه .

وقد قطع الفرنسيون مئة عام قبل أن يستجيبوا لنداء ده توكفيل البليغ . وفى أكتوبر ١٩٤٥ صوّت أربعة ملايين ونصف مليون من الفرنسيين والفرنسيات لحزب يدعو لجمهورية جديدة ، ولكنه شديد الاستنكار للنزعة المادية المتبعة فى الديمقراطية الفرنسية ، وتجرأ فنقش على أعلامه عبارة « الدين والديمقراطية » .

وقد أذهل زعماء الحزب ما أصابوه من نجاح ، فالحزب جديد فى ميدان السياسة الفرنسية ، وليس له هيئة قائمة دقيقة التنظيم ولا صحافة سياسية تؤيده ، ومع ذلك ظفر بربع الأصوات ، فضارع الاشتراكيين والشيوعيين ، وخلف سائر الأحزاب وراءه .

أما أسباب قوة الحزب فكثيرة ، فقد أبيح الانتخاب للنساء الفرنسيات أول ما أبيح فى سنة ١٩٤٥ ، وقد خصصن حزب الحركة الجمهورية الشعبية باهتمامهن ، لما وجدنه من عنايته بأمر الدين ، وعزز ذلك منزلة ديجول . وعلى أن الحزب ليس « حزب ديجول » ، إلا أنه أقرب فى مبادئه إلى الزعيم الفرنسى منه إلى أى حزب آخر . ثم إن بعض أتباع الميمنة صوّتوا لهذا الحزب ، لأنهم آثروه على الاشتراكيين والشيوعيين ، ولكن أعظم عناصر القوة فى الحزب مستمد من برنامجه السياسى والاجتماعى والأخلاق الحافز إلى التقدم والمطبوع بطابع الصدق والإخلاص .

فقد اشترك فى حركة المقاومة الخفية

رجال ليسوا من أتباع ماركس ، وخاطروا بحياتهم وتعرضوا للعذاب والنكال فى مقاومة النازيين ، وهم يريدون اليوم أن يكافح حزب الحركة الجمهورية الشعبية ذلك الانحلال الأخلاقى الذى نزل بالأمة فى عهد الجمهورية الثالثة . وهم يريدون أن يتعاونوا مع الاشتراكيين والشيوعيين لتحقيق الإصلاح الاجتماعى ، ولكنهم ينوون أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك،أن يقيموا الدليل للشعب الفرنسى وللأوربيين والأمريكيين اللاتينيين الذين يقاومون الدين،على أن الدين والديمقراطية شيئان غير متنافيين ، بل إن الدين لا غنى عنه لنموها ، وأن « الكنيسة » ليست حليفة الطبقات المميزة ، ولا عدوّ الذين يكافحون فى سبيل توطيد العدل الاجتماعى ، وهذه مهمة شاقة فى فرنسا حيث كان شعار الميسرة « حرية لجميع الناس — ولكن حذار من الكاهن » . وعلى نجاح هذا الحزب فى مهمته ، يتوقف مستقبل الحضارة الأوربية كلها .

وأنت تجد فى جماعة رجال الدين ، كما تجد فى أية جماعة أخرى فى فرنسا ومنها جماعة الشيوعيين ، من عاون الألمان زمن الاحتلال ، ولكن كثيرين منهم أيدوا حركة المقاومة أو اشتركوا فيها . وقد تنكر جورج بيدو ، محرّر الشئون الخارجية فى صحيفة « الفجر » الكاثوليكية باسم « مسيو إكس » فى عهد الاحتلال ، وعين رئيساً لمجلس المقاومة ، ثم صار بعد تحرير فرنسا رئيس حزب الحركة الجمهورية الشعبية ووزير خارجية فرنسا .

إن وطنية هؤلاء الزعماء مكنت حزب الحركة الجمهورية الشعبية من أن يبسط برنامجه الذى يجمع بين العدل الاجتماعى والتدين — وهو تدين لا يشوبه النزوع إلى إضفاء سلطة سياسية على هيئة الكنيسة. وقد كتب فرنسوا مورياك الكاتب الفرنسى الكاثوليكى: « البابا معصوم حين يقطع برأى فى مسائل الإيمان لا فى مسائل السياسة : ونحن خصوم للمسيحية السياسية » .

إن الزعماء الروحيين فى حزب الحركة الجمهورية الشعبية يتمنون أن ينفوا السياسة عن الدين ، حتى تنعم فرنسا بدين صاف لا تشوبه شوائب العالم . فإذا حققوا ذلك ، كان ذلك بدءَ عهد جديد ، يشمل فرنسا وجميع بلاد أوربة والشق الغربى من الأرض، التى لم تزل شعوبها تهتدى بهدى الأفكار التى نشرتها الثورة الفرنسية .





مختصرة من كتاب سينشر قريبا بعنوان "إما عالم واحد وإما فناء العالم"

الكاتب معلق سياسى أمريكى معروف بسعة الاطلاع ودقة البحث وهو يرى أن (عالم المدينة الفاضلة) الذى تمثله هيئة الأمم المتحدة ، ليس وليد خطة موضوعة وتدبير مقصود لهذا الغرض ، بل جاء نتيجة لما حدث أخيراً من تطورات وثورات فى العلاقات الإنسانية .

قليل من الناس فى بلاد الأرض من يؤمن اليوم بأن الحرب أو أحد أسلحتها الخطرة ، شىء يمكن تنظيمه أو تحريمه بالمعاهدات المألوفة بين الدول ذات السيادة . فقد عقد كثير من أمثال هذه المعاهدات وصدق عليها فيما بين ١٩١٩ و ١٩٣٩ ، ومع ذلك فهى لم تمنع أو تقلل فظائع الحرب العالمية الثانية وأهوالها ، إذ لم تحترمها الدول المعتدية، وأخفقت الدول النازلة على أحكامها فى تنفيذها . فلا يمكن الوثوق اليوم بمثل هذه المعاهدات ، ولن يثق بها أحد .

ومن البين أيضاً أنه لا غنى لنا عن عقد أمثال هذه المعاهدات الدولية أيًّا كانت صورتها — إن أردنا أن نبدأ معالجة مشاكلنا ، إذ لا يمكن إقرار مشروع عالمى إلا بمعاهدة تصدق عليها الدول ذات السيادة فى الوقت الحاضر . فواجب علينا إذن أن نبحث عن الأسباب التى أفضت إلى نقض

المعاهدات القديمة ، فإذا صدق تشخيصنا للداء ، اهتدينا إلى الدواء .

وقد علمنا على مرّ الزمن أن كل الاتفاقات الدولية تقريباً وأغلب نصوص القانون الدولى ، لا تنفذ إلا بالقدر الذى تشاؤه وتستطيعه دول ذات سيادة حين تفرضه كرهاً على دول أخرى ذات سيادة . ولم يرد فى هذه الاتفاقات والنصوص ذكر لطريقة تنفيذها ، فلم يبق إلا أنه رهن بمشيئة الدول النازلة على أحكامها ، وفى استطاعتها فى نهاية الأمر أن تشن الحرب على الدول التى تنكث عهدها . ويصدق هذا القول أيضاً على جميع الوسائل اللهم إلا القتال : كقطع العلاقات الدبلوماسية وحجز السفن والحصر البحرى ، وهى من قبيل الجزاء الذى لا يجدى إلا باعتباره إنذاراً ودلالة على ما يتبعه من عقوبات قاسية . وهذا ما تبينه العالم فى اعتداء اليابان على منشوريا ، وإيطاليا على الحبشة ، وألمانيا على النمسا ، وفى موقف أسبانيا والأرجنتين أثناء الحرب ، فإن العقوبات التى فرضت عليها بادىء ذى بدء لم تمنعها من المضى فى خطتها ، ذلك لأن الدول النازلة على أحكام المعاهدات والقانون الدولى ، لم تكن متأهبة ولا راضية بتطبيق العقوبة الأخيرة وهى الحرب .

فتنفيذ الاتفاقات الدولية بين الدول ذات السيادة هو ما نسميه « نظام الأمن المشترك » ، ولكن لن نجد أمة تعتمد اليوم أو غداً على اتفاقات دولية من هذا القبيل . فلماذا ؟ ذلك لأن الدواء شر من الداء ، إذ يجب على الأمم المحبة للسلم أن ترضى بشن حرب شاملة ، تسخر لها كافة مواردها وقواها لتمنع بها حرباً شاملة مثلها . فهذا دواء فيه من الجفاء والعداوة ومن باهظ النفقات ، ومن شناعة العواقب ما يَزْوِى عنه وجوه من نؤمل فيهم أن يتولوا عبء تنفيذه — وهم الشعوب المحبة للسلم .

ويجب أن نفهم هذه الحقيقة أوضح فهم ، إذ يتوقف عليها نتائج ذات خطر . فقد كثر القول بأن التهديد باستعمال القوة المشتركة حقيق بأن يمنع قيام أية دولة بالخطوة الأخيرة المؤدية إلى الحرب . فهذا كلام لا يصدق إلا إذا كان المفهوم من التهديد أنه جدٌّ ولا يقصد به مجرد التخويف أو الخديعة . فالواجب إذن أن لا يجول أقل شك فى أذهان زعماء الأمم التى تنكث المعاهدات ، أن الدول الأخرى على تمام الأهبة والرضى بأن تشن عليها حرباً شاملة .

ومن بسط هذه الشروط نعلم أن توفرها فى زمن السلم أمر بعيد الاحتمال ، فإن

الدول التى ستحمل عبء صيانة الأمن المشترك، ترى ساعة يكون الاعتداء أو الغزو فى أول مراحله ، أن عواقبه لن تضيرها ، وأنها قليلة الشأن فى حدّ ذاتها . ولنذكر مثلا غزو منشوريا سنة ١٩٣١ ، والحبشة سنة ١٩٣٥ ، والحرب الأهلية فى أسبانيا ، واحتلال منطقة الرين سنة ١٩٣٦ . ففى هذه المراحل الأولى من الاعتداء ينبغى أن تكون أساليب السلامة المشتركة أنفذ ما تكون إذا أريد منع الحرب ، ولكنها فى الواقع تكون عندئذ أضعف ما تكون ، ذلك لأنه لا يمكن الاعتماد على الدول المحبة للسلم فى أن تقوم فوراً بشن حرب شاملة من جراء نزاع تراه قليل الخطر . وهذا ما تدركه الدول المعتدية حق الإدراك ، ولذلك فهى تسقط من حسابها هذا التهديد المشترك وتعتبره خدعة مشتركة .

فالتهديد بالحرب الشاملة المشتركة ليس من وسائل تنفيذ الاتفاقات الدولية ، بل هو تدبير يمليه القنوط إذا بلغ حدّه ، ولا يلجأ إليه إلا بعد ضياع الأمل فى جدوى الاعتماد على الاتفاقات ، وحينئذ يكون سلم العالم قد تحطم إلى غير رجعة ، وتصبح الأمم المحبة للسلم مضطرة إلى الاتحاد معاً لشن حرب يتوقف عليها بقاؤها أو فناؤها .

فإذا رأت الدول العظمى أن العواقب أهون من أن تضيرها ضيراً ، أعرضت عن العمل المشترك لصون الأمن . من أجل ذلك لن يتأتى أن يصبح هذا العمل المشترك من الوسائل المعتادة المستمرة التى تكفل تنفيذ المعاهدات ، كالاستعانة به مثلا فى رقابة المعادن والمصانع التى تشتغل بتحطيم الذرة . وشبيه بهذا أن نقول إن القوانين لن تكون نافذة فى مدينة ما إذا كان لا مفرّ للشرطة حين يريدون القبض على المجرمين مثلا ، من أن ينشب بينهم عراك قد ينجم عنه هدم المحكمة والسجن ، والمساكن التى يسكنونها أيضاً .

فالعمل المشترك لصون الأمن ، والذى يرمى إلى تحقيق السلم تحت ظل القانون يتطلب من جماعات كبيرة من أناس أبرياء أن يأخذوا أهبتهم لإبادة جماعات كبيرة أخرى من أناس أبرياء . وهذا أساس هيهات أن تستقر عليه دعائم نظام دولى ، ولن يستجيب له رجال هذبتهم المدنية ، كما يندر أن يستجيب له رجال أشربوا حب الديمقراطية واحترام الفرد ، ويرون أن المعنى الأول للعدل هو التفرقة بين المذنبين والأبرياء .

فإذا أدركنا لماذا كان العمل المشترك لصيانة الأمن وسيلة معيبة فى تنفيذ القانون والاتفاقات ، اهتدينا من فورنا إلى المبدأ

السياسى الذى لا غنى لنا عن الاستعانة به لحل مشاكلنا . هذا المبدأ هو أن نجعل الأفراد ، لا الدول ذات السيادة ، هدف الاتفاقات ، أو بلفظ آخر : سن قوانين تسرى على الأفراد كافة . وهذا مبدأ غير جديد حتى فى الشئون الدولية فى عصرنا الحاضر الذى بلغت فيه السيادة القومية ذروتها من السلطان . فهناك تبعات كثيرة تقع على عاتق الأفراد بمقتضى القانون الدولى العام ، أو بمقتضى المعاهدات . مثال ذلك : معاهدة محاربة تجارة الرقيق فى إفريقية سنة ١٨٦٢ ، والاتفاق الدولى لمحاربة الاتجار فى النساء والأطفال سنة ١٩٢١ ، والاتفاق الدولى لمحاربة المطبوعات الفاحشة ومنع تداولها سنة ١٩٢٣ ، والاتفاق الدولى لمحاربة العملة الزائفة سنة ١٩٢٩

والواقع أنه لم يستنبط فى علم السياسة مبدأ ثبتت صحته بالتجربة كالمبدأ القائل بأن النظام لا يستتب بقانون يفرض على الدول فحسب ، إذ لا يتأتى تنفيذ القانون إلا إذا كان سارياً أيضاً على الأفراد .

وإذا أردنا أن نبحث أثر تطبيق هذا المبدأ على مشاكل العالم فى أيامنا هذه ، فيجب أن لا تبلبل أفكارنا معانى كلمة «الحكومة» ، فقد يكون المقصود بها إنشاء هيئة تنفيذية عالمية أو هيئة تشريعية عالمية ، أو نظام قضائى عالمى ، أو جيش عالمى . وقد يكون من المرغوب فيه تطبيق بعض هذه النظم أو كلها أو الإعراض عنها جميعاً ، ولكن هذا بحث ينبغى أن لا نشغل به أنفسنا الآن ، إذ أن مبدأ سريان القوانين الدولية على الأفراد يمكن إنفاذه فوراً دون أن يكون ثمة حاجة للتعهد بإنشاء شىء من نظم الحكومة العالمية السابق ذكرها .

وفى تطبيق هذا المبدأ خير علاج للمشاكل التى بحثها وزراء خارجية روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة فى موسكو سنة ١٩٤٥ ، وتم الاتفاق بينهم على إحالتها إلى لجنة الإشراف على الطاقة الذرية التى طلبوا من الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة أن تؤلفها . ومهمة اللجنة «أن تعمل على تبادل المعلومات العلمية النافعة فى أغراض السلم» ومن مهمتها أيضاً «أن تشرف على الطاقة الذرية بقدر يضمن حصر استعمالها فى أغراض السلم» وكذلك «أن تستبعد من العتاد الحربى فى الدول كل سلاح يقوم على الطاقة الذرية ، وكل سلاح يكون شديد الفتك بالجماهير الغفيرة من الخلق» .

ومن الواضح أن هذه القواعد تنظم عمل عدد جم من الأفراد فى جميع البلدان . فالعلماء ورجال الصناعة والإدارة والموظفون

والمراقبون والقضاة والمشرعون وقادة الجيوش ورجال السياسة وحكام الدول ، يجب عليهم أن يراعوا فى عملهم هذه القواعد، بل يجب عليهم أن يتولوا بأنفسهم تنفيذها .

فإذا وثق الناس من طاعة هذا العدد الغفير من الأفراد للقانون ، فإن هذه القواعد تصبح قانوناً مصوناً مهيباً فى كل بلدان العالم . وإذا اعتمدنا على هذا القانون أمكننا أن نعرف بوضوح ومنذ بداية الأمر ، مقدار نجاح الضمانات التى سنتخذها، ولنا أن نشترط أن تصديق إحدى الدول على معاهدة ما ، لا يعتبر فى نظرنا نافذاً إلا حين تستعين بتشريعها الداخلى لإقرار أحكام المعاهدة ، وتصبح من قوانينها الأهلية .

وليس هذا كل ما فى الأمر ، فما دامت المعاهدة تتطلب أن يكون تنظيم الطاقة الذرية خاضعاً لقانون واحد يسرى فى جميع البلدان ، فللأمم المتحدة أن تعترف بحق كل فرد فى الاستقلال بظل هذا القانون ، فيطبق عليه إذا حوكم فى أية أمة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة . وعندئذ لا يستطيع من يتعدى حدود القانون أن يطلب حماية حكومته ، إذ يصير خارجاً على القانون يمكن أن تقبض عليه أية دولة من دول هيئة الأمم وتنزل به عقاب ما اقترف .

فإذا رأى أحد من العلماء أو الموظفين أو أصحاب المصانع أو مديريها ، ممن يريد أن يطيع القانون ، أن حكومة تسعى إلى إكراهه على معصية ، جاز له أن يلتمس حماية الأمم المتحدة . فلو ألقى فى معسكر الاعتقال كان للأمم المتحدة أن تستفسر عن الأسباب ، فولاء الفرد لأمته يسقط عنه إذا أفضى به إلى تعدى حدود القانون العالمى . فلن يكون الرجل خائناً لوطنه ، بل العكس هو الصحيح ، إذا ما دل على تآمر موظفى دولته على انتهاك حرمة قانون نافذ فى العالم كله وفى بلده . نعم ، إنه يدل عليهم وهو مرتاح الضمير كارتياحه حين يدل على أناس يتآمرون على الخيانة العظمى فى حق وطنه ، فليس هو ، بل هم الذين ينطبق عليهم وصف الخونة والمجرمين والخارجين على القانون .

ويقصد فى الاتفاقات المقترحة بشأن الطاقة الذرية أن يكون استعمال هذه الطاقة وتحسين أساليب نفعها قاصراً على أغراض السلم ، ولذلك فلن يسمح بكتمان أمرها فى جميع مراحلها : من التجارب العلمية البحتة واستخراج المعادن من المناجم إلى صنع السلاح ذاته، وذلك حتى لا يتسنى لحكومة ما أو لعصبة من المتآمرين أن يستخدموها لأغراض تنافى هذه الاتفاقات المقترحة .

ومن حسن الحظ أن الكتمان التام

مطلب عسير المنال ، فما يكون للدولة من سرّ ، وخاصة فيما يتعلق بصنع السلاح ، إلا انتهى أمره إلى أن يعلمه الكثيرون ، ويكفى فى إفشائه فرد واحد ، وكل ما يفعله هو أن يجهر بأن هناك أعمالا تجرى فى الخفاء وتدعو إلى التفتيش عنها .

ولا حاجة بنا إلى أن نفرض أن الدول النازلة على أحكام المعاهـدة ستعتمد كل الاعتماد على طائفة من المراقبين تميزهم بعلامة معروفة ويعملون باسم الأمم المتحدة ، إذ يجب أن تستعين هذه الدول أيضاً بممثليها الدبلوماسيين والقنصليين وموظفى مخابراتها السرية ، كما تستعين كذلك ببعوث غفيرة من الصحفيين ورجال الأعمال والسياح والدعاة والطلبة .

والتوفيق إلى ضمانات صالحة أسهل منالا فى ميدان الطاقة الذرية ، إذ لا مفر من أن يكون بين الأفراد المطلعين على أسرارها أقطاب علم الطبيعة فى كل دولة ، وهم رجال أفذاذ ، قليل عددهم ، يعرف بعضهم بعضاً وإن تباعدت أوطانهم . فمن البعيد أن يتاح لدولة ما أن تكتم تمام الكتمان تجنيد طائفة صغيرة من العلماء وتدريبهم ليعملوا فى الخفاء على تزويد جيوشها بسلاح الطاقة الذرية . فالحقائق العلمية ، وخاصة فى مبحث الطاقة الذرية ، هى ، كما يقال ، تركة مشاعة بين العلماء ، ولا مندوحة لهم من أن يتبادلوا كل النتائج التى تصل إليها أبحاثهم ، وفرض على المبتدىء منهم أن يقف موقف التلميذ والمريد من الأساتذة القدماء ، كلّ فى علمه الذى تخصص له .

فهناك إذن أسباب كثيرة تدفعنا إلى الظن بأن العلماء ، وهم أسرة عالمية واحدة ، سيصبحون من أوائل المؤيدين للاتفاقات الدولية ، إذ أن كل تقدم فى أبحاث الطاقة الذرية لن يأتى إلا على يدهم ، فهم فى مقام قادة المعركة المشرفين على سيرها . وسينتخب طائفة المراقبين بطبيعة الحال من بين هؤلاء العلماء وتلاميذهم .

وستصبح اتفاقاتنا قانوناً ثابتاً قادراً على البقاء ، لا لأن أغراضها سامية فحسب ، بل لأنها ستتيح للعلماء والمدربين على فنون الصناعة أن يجمعوا بين خدمة مصالحهم ومثلهم العليا فى وقت واحد . فالقانون السَّمْح الذى يكفل للأفراد حريتهم أسهل تطبيقاً من القوانين المقيـدة لهم . ومثل هذه الاتفاقات تستعين بحرية الفرد فى الحدّ من استبداد الدولة بسلطانها .

ومن المستطاع الظفر بكل ما قدمنا ، إذا جعلنا المعاهدات التى ننوى التصديق عليها مستندة على المبدأ الأساسى القاضى بفرض الحقوق والواجبات لا على الدول

وحدها بل على الأفراد أيضاً .

ومع ذلك فالنتائج التي وصلنا إليها ، وإن كانت ظاهرة الحجة ، لا قيمة لها من الوجهة العملية إذا اقتصرت على كونها مجرد برهان نظرى يثبت أن من الخسير تنظيم سلاح الطاقة الذرية على طريقة معينة ، إذ يلزمنا في تلك الحالة أن نستنبط خطة أخرى لتحديد التسلح ، وقد علمتنا التجارب أن تحديد السلاح — إذا طبق بعض التطبيق لا كله — لا يمنع نشوب الحرب . فيجب في النهاية أن نعنى ، لا بالحرب التي تستخدم فيها الطاقة الذرية ، بل بالحرب عامة وأياً كان سلاحها ، إذ نحن نعلم حق العلم أن كل نظام يوضع لضبط التسلح سيتحطم ويصبح هباءً منثوراً إذا نشبت حرب عالمية أخرى .

ولذلك يجب علينا أن نتدبر مدى تأثر الأمم المتحدة — ذلك المجتمع العالمى — بمبدأ تنظيم الطاقة الذرية . ولكن لابد من اجتناب التناقض والتعارض فيما نقول ونفعل . فمن التناقض أن نفرد قانوناً عالمياً ليس هناك غيره ، للإشراف على الطاقة الذرية ، ونرضى في الوقت ذاته بأنظمة متضاربة للمحافظة على السلم .

ومع ذلك فليس هناك من تناقض أو تضارب ، إذ أن هيئة الأمم المتحدة قد رفضت في الواقع أن تأخذ بنظام الأمن المشترك ، وكل ما قررته إلى اليوم من وسائل لتنفيذ الاتفاقات ، إنما يصدر عن إقامة النظام العالمى على أساس من القوانين التي تطبق على الأفراد كافة .

وهذا هو ميثاق الأمم المتحدة ينص على أن من أغراضها « اتخاذ تدابير مشتركة للقضاء على كل ما يخل بالسلم » ، ولكن يبطل أثر هذا النص ذلك المبدأ القاضى بضرورة إجماع الدول الخمس الكبرى على كل قرار يصدر عنها ، وهو ما نسميه « حق الاعتراض » وعلى ذلك فلا يمكن — في حدود القانون — تطبيق نظام الأمن المشترك على دولة كبرى بغير رضاها . ومعنى هذا بعبارة أخرى ، أن نظام الأمن المشترك لا يمكن تطبيقه أبداً ، إذ لا يعقل أن تجيز دولة كبرى لبقية العالم أن يشن عليها هى نفسها حرباً شاملة . هذا وقاعدة الإجماع تحمى باقى الدول من مواجهتها بوسائل إكراه مشتركة — اللهم إلا إذا كان الأمر متعلقاً بدولة بلغت من الضآلة والعزلة وهوان القدر مبلغاً يقعد بها عن أن تكون حليفة أو صديقة لإحدى الدول الكبرى .

وهناك أناس كثيرون من رأيهم إلغاء حق الاعتراض وتوطيد نظام الأمن المشترك ، ولكن عليهم أن يعودوا فيتدبروا رأيهم .

ففي سنة ١٩١٩ رفضت الولايات المتحدة ميثاق عصبة الأمم لأنها لا تريد أن يكون لها نصيب في تعهد يقضي عليها بشن الحرب . وكذلك لم يقبل أعضاء العصبة أن يفوا بتعهداتهم فيحاربوا اليابان سنة ١٩٣١ أو إيطاليا سنة ١٩٣٦ . ومن المسلم به قطعاً أن روسيا في سنة ١٩٤٥ ما كانت لتقبل التصديق على ميثاق الأمم المتحدة ، لو هو أجاز نظام الأمن المشترك ، وحذت الولايات المتحدة حذوها في أغلب الظن .

فإذا كانت الدول الكبرى قد رفضت في الواقع أن تأخذ بنظام الأمن المشترك ، فلا يعني هذا أنها أصبحت من دعاة الفوضى في العلاقات الدولية . بل لعلها لم ترفض هذا النظام لأنها انحرفت عن الصواب ، بل لأن الوسيلة ذاتها معيبة . وهي في الحق وسيلة جافية ، باهظة النفقات ، لا عدل فيها ، مما يجعل تعميمها بين الدول أمراً ممتنعاً .

والواقع هو أن الأمم المتحدة ، وإن كانت قد رفضت الأخذ بنظام الأمن المشترك ، إلا أنها ارتبطت إلى حد كبير بالوسيلة الأخرى : أعني اعتبار الأفراد مسئولين عن تعدّي حدود المعاهدات والقانون الدولي .

وقد تجلى هذا الارتباط على أتمه اليوم باشتراك الأمم المتحدة في محاكمة مجرمي الحرب وتوقيع العقاب عليهم ، إذ لم تثر هذه المحاكمة اعتراضاً مّا ، بل أثبتت الدول قولا وفعلا أنها ترتبط بالمبدأ الذي نادى به القاضي جاكسون في افتتاح محاكمة نورمبرج إذ قال : « دعوني أبين لكم بجلاء أن هذا القانون الذي نطبقه أول ما نطبقه على الألمان المعتدين ، واجب التطبيق أيضاً على كل أمة يقع منها اعتداء ، ولو كانت أمة يجلس ممثلها اليوم معنا على منصة القضاة » .

فالأمم المتحدة إذن قد اعتنقت الرأي القائل « إن الجرائم لا يقترفها سوى الأفراد » وإن « الجزاء الذي يوقع على الأفراد هو الجزاء الوحيد الذي يمكن تنفيذه في نطاق السلم تنفيذاً مجدياً » . ولم يكن ارتباط الدول بمبدأ محاكمة نورمبرج خبطة عشواء ، بل إن له جذوراً ممتدة في تاريخ عصرنا الحاضر . حقاً إنه ككل قانون عام في أول عهده ، يستند أول ما يستند على التجربة إثر التجربة ، ويفتقر إلى نصوص مكتوبة ، إلا أنه عهد واجب الاتباع ، لا يقل في ذلك عن ميثاق هيئة الأمم ذاته . وأهم ما تضمنه هذا العهد هو إقرار الأمم المتحدة لمبدأ التبعة التي يحملها الأفراد طبقاً لأحكام القانون الدولي العام . وقد قيدت هذه الأمم نفسها إلى المبدأ العام الذي يجعل كل

معتدٍ ، لا المعتدون الألمان وحدهم ، يحاسبون طبقاً لهذا القانون نفسه .

وإذا التفتنا اليوم إلى الماضى واستعرضنا تاريخ الحرب العالمية الثانيــة ، أدركنا أنها تمخضت عن ثورة فى العلاقات الإنسانية ، إذ هى قد دفعت البشر إلى تخطى حــدود الدائرة المرسومة لهــذا العصر الذى كنا نسميه إلى عهد قريب « العصر الحاضر » ، حين كان الناس يعيشون جماعات مقسمة ، رغم تشابه الجنس ، فى بقاع دول ذات سيادة مطلقة أو فى أرض مستعمراتها . وهكذا تهيأت العوامل المؤدية إلى إنشاء الدولة العالميــة . ولم يتم ذلك بفضل الاقتراحات والدعايات وحــدها ، كلا ، فهى ككل الأحداث التاريخية الهامة ، ليست فى الأصل وليدة تدبير مقصود — بل هى وليــدة سلسلة من القرارات كان لا مفرّ من اتخاذها حين تدعو الحاجة إليها ومن تجربة نتائجها مرّة بعد مرّة .

وليست هيئة الأمم المتحدة صورة أخرى لعصبة أمم مغلولة اليد من جراء حق الاعتراض الممنوح للدول التى هى أعضاؤها ، بل هى بحكم اشتراك أغلب أمم الأرض فيها ، بمثابة جمعية تأسيسية لوضع دستور الدولة العالمية . وقد صرفت جهودها فعلا لتوطيد نظام عالمى تسرى قوانينــه التى لا تسن إلا لحفظ السلم ، على كافة الأفراد . فقــد تبين للبشر أن هــذه هى الوسيلة الوحيدة التى تمكن من معاقبة مجرمى الحرب ، بل هى الوسيلة الوحيدة لتقرير ضمانات ناجعة تحمى الناس شرّ إســاءة استعمال الأسلحة الذريمة الفتاك ، كما أنها هى الوسيلة الوحيدة التى يرجو بها الناس أن تصبح الاتفاقات الدولية واجبة التنفيذ . ونستخلص من كل هذا نتيجة جليلة الخطر ، وهى أن سلطان الدولة العالمية مستكنّ اليوم فى هيئة الأمم المتحدة .

وليس هنـاك ما يدعونا إلى أن نفرض أن كل الأمم وشعوبها سينعقد إجماعها وتتّقد حماستها فتطالب بإنشاء الدولة العالمية ، بل لابدّ من أن نعمل على إقناع بعض الدول بمبدأ الدولة العالمية ، إن أردنا أن تقتنع به أيضاً دول كثيرة غيرها . ونحن نتوقع — إذا لم يجدّ ما ليس فى الحسبان — أن تظل أمور العالم زمناً طويلا تسيّرها خصومات الدول الكبرى ذات السيادة ، وما تؤلفــه من كتل متنافسة ، أو توازن دولى واهى الدعائم . ولكن من الجائز ، بل من الممكن ، بل من الواجب ، أن يطرأ على أحوال العالم الحــاضرة حادث جديد ، ولن يكون هذا الحادث إلا عزم الشعب الأمريكى على أن يجعل إنشاء الدولة

العالمية أهم غرض فى سياسته الخارجية .

وإذا أصبح هذا المبدأ هو الحافز الأول فى سياسته الخارجية ، كان لإقراره أثر عظيم على الإنسانية . ولا شك أن الولايات المتحدة فى هذه الساعة من تاريخها ، لو رفعت لواء الدولة العالمية لسارعت إليه واحتشدت تحت ظلاله دول كثيرة على الفور ، ولسارع إليه أيضاً أناس كثيرون فى دول أخرى .

ولم تسنح لشعب قط فرصة مثل هــذه الفرصة المتاحة اليوم لشعب الولايات المتحدة ، إذ هو يستطيع استخدام تفوّقه الحربى فى تحقيق المثل الأعلى للبشرية كلها ، والعمل على نشره وبسطه فى الأمم جميعاً . نعم لا تزال أمامنــا مشاكل توزيع الأرض والموارد ، وستواجهنا مشاكل أخرى معقدة حين نشرع فى تصفية بقايا الحرب ، وفى عقد الصلح .

ولن ينتهى الصراع بين من هذّبتهم المدنية وبين من طبعوا على الغلظة والعناد والخبث ، تلك الطبائع التى نجدها فى كثير من الناس حولنا كما نجدها فى أنفسنا . ولكن ما أعظم التطور الذى يطرأ على السياسة الدولية ، لو هى فرضت وتوقعت أن تعمد الولايات المتحدة — من حيث هى دولة كبرى تنضم إليها بقية الدول — إلى التعهد بإنشاء نظام عالمى يستند على قانون يسرى على البشر كافة . وقد تكون الخطوات الأولى قصيرة وشاقة ، ولكن مجرد البدء فى تنفيذ هذا المشروع سينجم عنه اتجاه جديد فى السياسة الدولية وفى خططها وفى أعمالها ، كما سينجم عنه أن يجد الناس لحياتهم هدفاً تهوى إليه أفئدتهم .

رحمة موسيقى

كتب الموسيقى أرتورو توسكانينى ، أن سيدة كتبت إليـه مرة أنها ولدت منذ أيام طفلا ميتاً ، وأنهـا استسلمت للحزن واليأس حتى ملت الحياة ، ثم عمـد زوجها إلى الراديو ذات مساء وأداره ، فسمعت حفلة توسكانينى الموسيقية ، فرد إليها الرغبـة فى الحياة ، لأن فى العالم مثل هذه الألحان الرائعة . ولم توقع كتابها باسمها لانها — كما قالت — « لم تشأ أن تحملنى مشقة الرد عليها ، وإنما أرادت أن تطلعنى على ما كان » .

قال : « وظلت معانى الرسالة تتردد فى نفسى ، وأحسست أنه لابد لى من أعرب لها عن شكرى فذهبت سكرتيرتى إلى كل مستشفى ولادة فى نيويورك ، ولم يكن بين أيدينا دليل يهدينـا سوى تاريخ الرسالة . وبعـد ساعات كثيرة من البحث والسؤال بالتلفون وجدناها ، فأرسلت إليها فى ذلك اليوم صورتى وكتبت فى ذيلهـا : « من أرتورو توسكانينى ، البوليس السرى ! » .

تزوجت حليف المغامرات

ملخص كتاب بقلم

أوزا جونسون

« تزوجت حليف المغامرات » — هو ترجمة صادقة لمارتن جولسون المصور الشهير الذى تخصص فى تصوير الوحوش فى مسارحها ، وفى تصوير البشر المتوحشين ، وقد كتبتها أرملته ، وفيها تروى كيف طوف فى الأرض شابان — بنت عامل ومصور متجول — مزودان بالطموح والجرأة والأمل ، واستطاعا أخيراً أن يفعلا شيئاً أبقى لهما من الشهرة والنجاح.

فى يوم ضاح من أيام إبريل سنة ١٩١٠ — وكنتُ فى السادسة عشرة — كنت إحدى تلميذات مدرسة كانساس الثانوية اللواتى شهدن حفلة بعد الظهر فى مسرح فى شانوت . وكان بعضهم قد جاء من إندبندنس ليلقى محاضرة على « رحلة فى البحار الجنوبية مع جاك لندن » . ولكننا ذهبنا إلى الحفلة لأن إحدى زميلاتنا فى المدرسة ستغنى أغنية يصحبها عرض صور ملونة .

وبعد أن فرغت « جيل » من أغنيتها قدم مدير المسرح « ذلك الشاب السائح الجرىء المستر مارتن جونسن ، من أهالى إندبندنس » ، فتقدم على المسرح شاب طويل نحيف ، وجعل يطرف ، ويمر إصبعه حول بنيقته ثم شرع يتكلم ، وسرعان ما تكلم على المتوحشين الذين يأكلون لحوم البشر ، وعرض علينا شريطاً من الصور المتحركة ظهر فيه أناس بلغ من فظاعتهم أنى لم أستطع أن أنظر إليهم . فألقيت إلى الصف همسة بأنى مللت وانصرفنا جميعاً .

ولكن بعد سنتين خرجت مع هذا الشاب السائح نفسه فى رحلة إلى البحار

الجنوبية لتصوير المستوحشين آكلي البشر.

كانت الخطبة سريعة . وكنت قد تعرفت بمارتن جونسون بفضل « جيل » فزارني في بيتي في شانوت عصر يومين من أيام الأحد، وأخيراً اتفق أن مرضت جيل فرجا مني أن أغني في إحدى داري السينما الصغيرتين اللتين يديرهما في بلدة إندبندنس .

وكنت قد بت مع أسرته ، فلما رافقني إلى القطار في اليوم التالي اقترح أن نتزوج — على الفور — فوافقت ، وتم الزواج في تلك الليلة بمدينة إندبندنس، ولما كنت دون سن الرشد في ولاية كانساس، فقد كررنا عقد الزواج في ولاية ميسوري بعد خمسة أيام حتى لا يستطيع أبي أن ينقض الزواج .

ولما اجترأنا على العودة ومواجهة أسرتي كان اللقاء صعباً ، وكان أبي يعمل على خط سانتافي الحديدي ، وهو أصغر جسما من مارتن ، ولكن يديه كانتا مقبوضتين ، وبدا وجهه شديد البياض في أول الأمر ، ثم شديد الاحمرار .

وقال بصوت كالرعد : « أيها الفتى ، ما تمنيت قط أن أضرب أحداً ضرباً مبرحاً كما أتمنى اليوم ، فاهم ؟ »

« نعم — ولست ألومك يا مستر ليق . إن المسألة الوحيدة هي — »

« المسألة الوحيدة هي هذه يا مستر مارتن جونسون : لقد نلتها فعليك أن تعنى بها وترعاها » .

وقضيت الشهور الستة التالية وأنا زوجة سعيدة قريرة العين ، ثم اقترحت يوماً أن نشتري منزلا لنا فأبى مارتن وقال إنه لا يريد أن يلقي مراسيه في مكان واحد ، وأنه سيطوف حول العالم .

وكان مارتن بطبيعته شغوفاً بالتنقل لا يستقر في مكان ، ففي حداثته اشتغل في ولاية كنساس مصوراً جواباً ، وقبل أن يبلغ العشرين من عمره رحل إلى ليفربول على سفينة للماشية وبدأ برأس مال قدره أربعة ريالات وربع ريال . وقضى عدة شهور في بلدان أوربية شتى ، وكان يكسب رزقه بما يتيسر له من عمل، وفي سنة ١٩٠٨

انضم إلى جماعة جاك لنـدن على باخرته الشهيرة « سنارك » ، وقام معه برحلة جديدة وشاهد السكان الأصليين فى هـذه الرحلة التى استغرقت عاماً ونصف عام فى البحار الجنوبية . فمن له أن يصنع لهم شريطاً مصوراً وافياً ، وأقنعنى فقررنا أن نرحل من فورنا ، وإن كان أبى قد سأله : أهذه هى الطريقة التى يرعانى بها ، فيحملنى معه إلى بلاد وثنية كلها مستوحشون من أكلة لحوم البشر ؟

وأردنا أن ندبر مالا لرحلتنا ، فبعنا الهدايا التى تلقيناها عنـد زواجنا كما بعنا الأثاث ، واستعنا بالشرائط والصور التى رسمها مارتن فى رحلة السفينة سنارك ، وطفنا بالولايات المتحـدة وكندا لإلقاء المحاضرات . وكنا كثيراً ما يقتصر دخلنا من ذلك على ما يكفى لأجر الانتقال ، ولكن مارتن حصل على عقد مع جماعة للتمثيل المنزلى واشترك مع « ويل روجرز » فاستطعنا أن نجمع ٤٠٠٠ ريال وهى القدر اللازم لرحلة إلى البحار الجنوبية .

وكان جهازنا لهذه الرحلة الأولى ضئيلا ، وهو آلة تصوير سينمائى تدار باليد ، وآلتا تصوير ثابت ، وبندقية ومسدسان وبضعة آلاف من الأقدام من شريط التصوير ، وكان هذا كل ما وسعنا أن نتجهز به .

وكانت الشهور التالية القليلة مخيبة للأمل وباعثـة على الهم والقلق ، فأبحرنا فى سفن مختلفـة من جزيرة إلى أخرى من جزر سليمان ، ووجدنا كثيرين من الزنوج الهمج قيل إن بعضهم من آكلى لحوم البشر ، وكنت لا أكاد أصدق أن مارتن سيهتدى إلى من هم شر منظراً من هؤلاء فى أى مكان ، ولكنه قال إن هؤلاء جميعاً قد رُوِّضوا ، وأصر على البحث عن همج لم تنسل منهم المدنية ولم تمسسهم .

وأخـيراً قرر أن يذهب إلى جزيرة ماليكولا ، وهى الجزيرة الثانية فى جزر هبريديز الجديدة ، وكانت « غير محفورة » ، فإذا كان يوجد فى أى مكان رجل فى حالة استيحاش ، فهو يوجد فيها . وركبنا سفينة صغيرة ، وما كاد الركاب يعرفون غايتنا حتى هبت علينا عاصفة من التحذير .

وقال الربان لمارتن : « أصغ إلىّ أيها الفتى ، إنى لا أريد أن أفزع السيدة الصغيرة ولكن أهالى ماليكولا فيهم غدر وخيانة ، ومن الحقائق المعروفة أنهم لا يزالون يأكلون لحم البشر » . فتبسم مارتن ، وغمرته سعادة لم يشعر بها فيما مضى .

وقال رجل عليـه سيما الأوغاد ، من مورِّدى الزنوج : « إنى لا أرضى أن أذهب إلى هذه الجزيرة ولو أعطيت ألف جنيـه إلا إذا كانت ورائى سفينة مدفعية ، فإن فيها نحو ٤٠٫٠٠٠ من الهمج ، وقبيلة « الأرقام

الكبيرة » وهى أقوى القبائل ، لها شيخ مخيف حقاً » .

وأبى الربان أن يرسو بسفينته على شاطىء ماليكولا، وقال المورّد إن ڤاو جزيرة أصغر وأنها هى بغيتنا ، « وفيها بعثة فرنسية ، ويطوف بها دائماً زورق بريطانى ، غير أن هناك نحو ٤٠٠ من الهمج ، وقد سمعت أنهم لا يزالون يأكلون لحوم البشر » .

ونزلنا فى جزيرة ڤاو ، ونحن نعلم أن فى وسعنا أن نمضى منها بسهولة إلى ماليكولا. ورحب بنا الأب برين ترحيباً صادقاً وإن كان لا يخلو من حيرة ، وحدثنا هذا الرجل الطيب الذى ظل يعمل وحده بين المستوحشين فى هذه الجزيرة نحو ثلاثين عاماً ، عن الفظائع التى لا تزال ترتكب حتى فى جزيرة ڤاو . أما جزيرة ماليكولا ... وألقى إلى مارتن نظرة عتب . وشر من ذلك أنى رأيت أن مارتن نفسه بدأ يخاف علىّ ، علىّ أنا دائماً !

وجاء المساء بأصوات الطبول التى يقرعها الأهالى فى الأدغال ، وأشار الأب برين من نافذة كوخه ، فرأينا على حافة الأرض المكشوفة رجالا يحدقون فينا ، وكانت وجوههم السود من كثرة التشقق وفرط القبح، بحيث يصعب على الإنسان أن يصدق أنهم رجال .

فسألت هامسة : « ما هذا الذى فى أنوفهم ؟ »

فقال الأب برين: «عظام.عظام بشرية» .

فردّنى مارتن عن النافذة ، وقال : « لست أستطيع يا حبيبتى أن أخاطر باستصحابك إلى جزيرة ماليكولا، وستكونين هنا فى أمان مع الأب برين » .

فاستشطت غضباً، وزايلنى الخوف وقلت: « إذا ذهبتَ فسأذهب معك يا مارتن جونسون ! هذا ما جئت من أجله » .

ووضع القسيس الطيب تحت تصرفنا زورقاً طوله ٢٨ قدماً ، وخمسة من فتيان ڤاو من الذين يمكن الاعتماد عليهم . وفى الصباح التالى، وضعنا آلات التصوير والسلع التى أعددناها للتبادل التجارى فى الزورق ، ورفعنا قلوعهُ الصغيرة وقصدنا إلى جزيرة ماليكولا .

ورسونا فى خليج تانمارو على شاطىء مهجور رمله الأصفر يزيغ البصر ، وهو يحاذى الغابة الكثيفة ، وشرع الغلمان يخرجون السلع من الزورق، وتولى مارتن بنفسه إخراج آلة التصوير السينمائى النفيسة .

وبرز فجأة من الغابة أحد المستوحشين وكان أسود كالفحم ، وعلى حال من القذارة لا يصدقها العقل، وشعره متلبّد ولحيته كثة وفى أنفه عظمة ، وهو عريان فيما خلا

مئزراً من الألياف ، وتكلم بصوت أجش ، وأدهشنى أنه استعمل بضع كلمات إنجليزية : « أيها السيد ! إن بطنى تعشى كثيراً » وضغط معدته بيديه .

فنظرت إلى مارتن وأنا لا أكاد أصدق ، فقد جئنا إلى ماليكولا ونحن نتوقع أن نرى همجاً متوحشين سفاكين ، فإذا بنا نلقى زنجياً متأوهاً موجع البطن ! فكدنا نقع من الضحك ، وفتحت لفافة وأخرجت منها بعض أقراص من الكاسكارا . وأومأ إليه مارتن أن يأخذ بعضها عند الغروب والباقى عند طلوع الشمس ، فأصغى إليه الزنجى ثم بلع الأقراص كلها دفعة واحدة .

وفى أثناء ذلك خرج من الغابة كثيرون من الأهالى الأصليين ، وكلهم فظيع المنظر إلا أنهم على ما يظهر لا ضير منهم . وأعد مارتن آلة التصوير — وقد أهملوها بعد أن ألقوا عليها نظرة عارضة — وبدأ يضع الشريط . وكنت أرى أنه يقيسه بعناية .

وكان الأهالى يلغطون وهم ينصرفون . وقال لى مارتن ، وكان يفهم قليلا من لغة أهل هذه الجزيرة : « إنهم يقولون إن شيخهم هناك فى الغابة ، فإذا استطعنا أن نصوره فإن الرحلة تكون قد نجحت » .

فقلت وأنا أتكلف الهدوء : « سآخذ بعض السلع وأذهب إليه » وأخرجت شيئاً من الطباق والقماش ومضيت به إلى الغابة .

« انتظرى ياأوزا ! لاأستطيع أن أخاطر وأنت معى ! وسأعود غداً وحدى ! »

فواصلتُ السير فصاح بى : « حسن إذن ، فانتظرينى » .

ومضينا معاً ، وخلفنا ثلاثة من غلماننا ودخلنا فى الغابة ، وجعلنا نتعثر فى الطريق المظلم الذى تزلُّ فيه القدم من الوحل والنباتات الزاحفة المتسلقة . وكان الهواء فى هذه الأرض الغميقة ثقيلا رطباً فثقلت وطأته على صدورنا . ثم بدأنا نصعد ، وكان المرتقى حاداً ومكسواً بالعشب والقصب الجاف ، ولا بد أن نكون قد ارتقينا نحو ألف قدم . وكانت أنفاسى كالسكاكين فى صدرى ، وإذا بنا نصل فجأة إلى رقعة مكشوفة رأيت منها خط الساحل الأصفر وزورقنا ، وكان يبدو كأنه نقطة على حافة الماء .

وسمعنا وقع أقدام فاستدرنا ، فرأينا نحو عشرين من الأهالى وراءنا ومعهم البنادق ، ورأيت وجه مارتن يتصلب ، وقال لى بصوت خافت : « لا تدعيهم يرون انك خائفة . ألقى ما معك من السلع وارجعى على مهل ، وسأشغلهم أنا بآلة التصوير » .

فدرت لأفعل كما أشار ، ولكن الطريق كان قد سده نحو مئة من المتوحشين المسلحين ، وتأدى إلينا من ناحية ما فى الغابة

قرع الطبل الخفيض ، ووقف غلماننا الثلاثة مسمّرين من الفزع .

وظهر على حافة الغابة شخص بدا من فرط الفظاعة جليلا ، وكان كغيره ليس عليه سوى خرقة ، وفى أنفه عظمة ، وكان كل ما فيه يدل على القوة والبأس : قامته المديدة ، وكتفاه العريضتان ، وفكه ، وكانت عيناه تنطقان بالذكاء وقوة الإرادة والدهاء ، فأدركت أن هذا هو الرئيس .

وكان يحدق فينا وهو يقبل علينا متمهلا وأدهشنى أن أسمع صوت آلة التصوير وهى تدار ، فقد كان مارتن يصور الرئيس وهو مقبل .

فقال بصوت بطىء هادىء : « تذكرى يا حبيبتى ما قلت لك : لا تظهرى الخوف . اكشفى عن السلع » .

فتكلفت ما رجوت أن يكون ابتسامة ودّ ، وكان ناجابات الرئيس ، مقبلا علىّ ، فقلت : « أهلا بك يا مستر ناجابات » ومددت يدى ببعض الطباق ، فلم يكد يعنى بالنظر إليه . فقال مارتن : « جربى القماش . إذا فزنا برضى الرئيس ، فإن كل شىء يكون على ما يرام » .

ورأيت أربعة خواتيم على يدى ناجابات أحدها له طغراء واضحة ، فسرت رعدة فى ظهرى . أتراه ينزع الخواتم من أصابع ضحاياه قبل أن يطبخهم أو بعـــد ذلك ؟

وقلت بصوت عال : « هذه قطعة من قماش حسن جـــداً » . ونشرت القماش الأحمر اللمّاع . فمد ناجابات يده ، ولكنه لم يتناول القماش بل أمسك بذراعى ، فأحسست أن يده جلد جاف .

وجاءنى صوت مارتن الهادىء ، وأنا فى هذا الفزع ، يقول : « لا تخافى يا أوزا . فكل ما فى الأمر أنه مستغرب » .

والظاهر أن بياض بشرتى حير هــذا الزنجى الضخم ، وقد حاول وهو يتمتم أن يمسح البياض بإصبعه ، فلما لم ينفع ذلك ، التقط عوداً من القصب الخشن وحك به جلدى ، وبدت عليه الدهشة لما احمرت البشرة . ونزع قبعتى عن رأسى ، وحيّره شعرى الأصفر ، ففرّقه وجعل يتأمل جلدة رأسى ، ثم شد الشعر بقوة ، وأدارنى وثنى رأسى ونظر إلى قفاى .

وكان زوجى يدير آلة التصوير فى أثناء ذلك بغير تفكير ، فتقـــدم ودخل بينى وبين ناجابات متكلفاً الابتسام ، وتناول يده وصافحه بحرارة . ويظهر أنّ المصافحة كانت شيئاً لاعهد به لهذا القيصر الأسود ، فنظر إليه شزراً .

وألقى مارتن إلى هذا المتوحش الملوكى مثل نظرته ، وقال لى عرضاً : « ارجعى من

الطريق مع الغلمان ، وسأتبعكم » .

على أن ناجابات لم يكن هذا ليصرفه عنى ، فلما درت لأمضى ، أخذ يدى وهزها كما هز مارتن يده ، فتنفست الصعداء لما بدا لى أنه توديع مودة ، حتى لقد ضحكت وهززت يده بحرارة ، ولكنى لما حاولت أن أسحب يدى شد عليها ، وشرع على سبيل التجربة ، يقرصنى ويدفع أصبعه فى بدنى . فرددت صرخة كادت تند عنى ، ونظرت إلى مارتن وبى من الجزع ما بى . وكان وجهه ممتقعاً ، وقد ارتسمت عليه ابتسامة ثابتة .

ثم فك إسارى فجأة . وأصدر ناجابات أمراً فارتد المتوحشون إلى الغابة ، وبدا لنا أننا فزنا . وأمر مارتن الغلمان أن يحملوا أشياءنا ، واندفعنا إلى الطريق ــ فأمسك بى من الخلف ، فكأنه عبث قط بفأر .

وصاح بى مارتن أن أتذكر مسدسى ، ولكنى كنت فيما يشبه الإغماء ، وكان كل ما أعرفه على وجه غامض ، كأنى فى كابوس ، أنى أجرى القهقرى إلى الغابة . فصرخت مرة وأخرى وثالثة ، ثم أطلق سراحى فجأة ، وانقطع صوت الطبل ، ووقف الأهالى ينظرون إلى الخليج . فتبعت نظرة ناجابا فطنت إلى ما أسكتهم ، ذلك أن زورقاً مسلحاً بريطانيا كان يدخل الميناء .

وتخلص مارتن من آسريه وواجه ناجابات ، وصاح مهدداً : « سفينة حربية ! سفينة حربيــة ! » وكانت إشاراته تنبىء أن زورق الحراسة قد جاء من أجلنا . فعبس ناجابات وبه بعض الشك ، ثم انسحب ومعه رجاله إلى الغابة .

ومشينا إلى أن غبنا عن نظر ناجابات ، ثم انطلقنا نعدو منحدرين ، وكنا نعلم أنه لا مفر من القبض علينا ثانيــة إذا خرج الزورق من الخليج قبل أن نبلغ قاربنــا ، وتعثرنا مراراً ، ونهضنا لنستأنف الجرى .

وبلغنا فضاء مكشوفاً ، وأبصرنا زورق الحراسة يخرج على مهل ! وعادت الطبول تدق ، وتلك ولا شك إشارة بأن يعاد القبض علينا ، وكان لا يزال بيننا وبين الشاطىء غابة كثيفة ، فاندفعنا غير عابئين على الطريق الموحل الغادر ، وقد آتانا الفزع قوة ، وشد من عزمنا ، إلى أن بلغنا الشاطىء .

وجررنا غلماننا إلى قاربنا حين برز رجال ناجابات من الغابة . فتهافتُ فى قاع الزورق ، ولما استطعت أن أرفع رأسى مرة أخرى كنا قد خرجنا بسلام إلى البحر .

وبلغنا فاو فسرنا أن نجــد أننا جميعاً ــ وفى جملتنا الغلمان ــ قد تشبثنا بكل قطعة من أجهزتنا ، وبمعظم السلع التى كانت معنا ، وأن آلة التصوير والشريط لم يصبهما سوء .

وكانت الصور التى فاز بها مارتن هى التى تحتاج إليها ليتم شريطنا الذى يصور حياة هؤلاء الأهالى . وكان وجه ناجابات المقطب يرسل الرعدة فى أبدان أبناء الحضارة ، حين عرض عليهم الشريط بعد ذلك بشهور . وبلغ من نجاح محاضراتنا وعرض هذه الصور فيها ، أن اعتزم مارتن أن يعود إلى ماليكولا ليحصل على تسجيل أوفى لهؤلاء المتوحشين.

ولكنا فى هذه المرة نزلنا فى ڤاو بأجهزة وافية موضوعة فى ٦٥ حقيبة وصندوقاً ، واستأجرنا ثلاثة زوارق بحارتها مسلحون لمرافقتنا إلى خليج تانمارو ، وقال مارتن : « عندنا فى هذه المرة بضع مفاجآت للشيخ ، أليس كذلك ؟ »

وأقبل نحو عشرين من رجال الشيخ على الشاطىء حين نزلنا ، وكان على رأسهم ناجابات . ومن الغريب أنه أصبح فى نظرى شخصية للتصوير السينمائى لا متوحشاً ، وأن الفزع منه ذهب عنى لسبب ما ، فاندفعت أنا ومارتن لمصافحته ، وبدت الحيرة على هذا الشيخ المتوحش، ولكنه رأى أننا لا نمسك فى قلوبنا حقداً عليه ، فانبسطت أساريره ، وربّت على صدره ، وأشار إلى زوارقنا ، فأدركت أنه يريد أن يركب فيها ، فدعوته فركب هو واثنان من رجاله ، وكان عجيباً منه أن يفعل ذلك لأنه صار فى أيدينا .

ولما صاروا فى السفينة أطعمتهم خبزاً مقدداً وسمكا محفوظاً ، فتقبلوا ذلك بغير احتفال . والواقع أنهم كانوا يتكلفون الفتور وعدم الاحتفال فى كل شىء . ولما انصرف ناجابات ، تلقى هدايانا من الطباق والقماش والسكاكين ، وقبعة عالية دون أن يلقى عليها نظرة .

وفى مساء اليوم التالى ، بعد أن اجتذبنا إلينا جمهوراً كبيراً من المتوحشين بأن نشرنا أمامهم بضاعتنا ، أريناهم الصور التى أخذناها لهم فى الرحلة السابقة . ولما خرج شعاع النور الساطع من آلة العرض فى الظلام ، همهم الأهالى وتراجعوا ، فتناولت ذراع ناجابات بقوة ، وجلست على الأرض أمام الشاشة ليفعل كما فعلت ، فتبعنا المتوحشون وهم يتلاغطون بشدة .

ولما ظهر وجه ناجابات على الشاشة ارتفعت ضجة عظيمة ، وصاحوا : « ناجابات ــ ناجابات ناجابات » وأشار مارتن طالباً الضوء للتصوير ، ولمحت ابتسامة الاغتباط على ثغره وهو يدير آلة التصوير ويصور ما امتزج على وجوه السود من الخوف والدهشة ، وكان كل متوحش ظهر فى الصورة جالساً مع النظارة ، وكانوا كلما ظهر منهم واحد على الشاشة يصيحون باسمه ويضحكون . ثم صارت ضجة الضحك همساً خفيضاً حين ظهر وجه

رجل مات قبل عام. وامتلأت قلوبهم رهبة، فإن «سحر» مارتن قد أخرج ميتا من القبر!

وبعد هذا رأينا تغيراً واضحاً في موقف المتوحشين حيالنا، وذهب الإحساس بالغدر، وصاروا يحتشدون حولنا في سكون واحترام. على أنه كان من الجلي أنهم كانوا ينتظرون حدوث شيء آخر. ودل البحث على أنهم يطلبون الطباق ثمناً لمشاهدتهم الصورة

ودعانا ناجابات إلى زيارة قريته، فذهبنا ومعنا ثلاثة من الرجال البيض و ٢٦ من الأهالي الموثوق بهم، وكلهم مسلح، وقضينا أسبوعاً في « مملكته »، صور مارتن في خلاله كثيراً من مظاهر حياة القوم في قريتهم. وبعد ذلك قضينا عدة شهور نطوف بساحل ماليكولا، ونرتادها هي والجزر الصغيرة القريبة منها. وقد وقفنا على كثير من عادات المتوحشين، ورأينا بيتاً مقدساً فيه سلال ملأى بجماجم آدميين، مكومة كأنها ليمون هندي أسود، على حين كانت بعض الجماجم تتدلى من السقف. ورأينا فتاة دائمة الصراخ وقد أطار الألم لبها، لأن ساقها ثنيت على فخذها وربطت به وبينهما حجراً أبيض محمي، وكان زوجها قد أمهرها ٢٠ خنزيراً، وذلك أغلى مهر، ففرت منه مراراً! وشهدنا احتفالا حول نار عليها أعضاء من جسم إنسان تشوى!

وقد أورثتني هذه الشهور الثمانية التي قضيتها بين آكلي لحوم البشر، حنيناً إلى الوطن لا يغالب، وتلهفت على الأشياء المألوفة، وعلى رؤية قومي — وعلى الماء الحار والصابون. وكذلك كان مارتن.

غير أنا بعد أن لبثنا في الولايات المتحدة بضعة شهور، وصار نجاح شريطنا الثاني «آكلو اللحوم في البحار الجنوبية» مضموناً، خرجنا إلى بورنيو لنصور المتوحشين صيادي الرءوس فيها. وقد استنفدنا ٥٠٠٠٠ قدم من الشريط في هذه الرحلة، وقرر مارتن أن يعرضها على أنها درس صادق لبورنيو، أهلها وحيوانها وكل ما فيها.

ولما عرض هذا الشريط في أمريكا، عيننا أعضاء في نادي الرواد، وعرض المرحوم كارل إيكلي العالم الكبير والمثال ومدير متحف التاريخ الطبيعي، اقتراحاً صار موضوع عملنا سنوات فيما بعد.

قال إيكلي: « إن لك مهمة عظيمة القدر يا مارتن — مهمة أعظم حتى من مهمتي. »

فحدقت فيه أنا ومارتن غير فاهمين.

ومضى إيكلي في كلامه فقال: « لقد جعلت مهمتي أن أخلد حياة الحيوان المتوحش الذي يبيد وينقرض في البرونز، وأن أحصل على نماذج للمتحف. وأنت تفعل هذا

بتصوير شريط يراه ملايين فى العالم كله » .

ودارت أحاديث طويلة عديدة مع إيكلى ، أنتجت مشروعاً لتصوير شريط لحياة الحيوان المتوحش فى بيئته الطبيعية ، وقال إن إفريقية الشرقية البريطانية هى خير بقعة لذلك .

وهكذا بعد عدة شهور قضيناها فى جمع المعدات ، أبحرنا إلى ممباسا ، ذلك الثغر الحار فى إفريقة الشرقية البريطانية ، ومن هناك أرسلنا حقائبنا وصناديقنا وأقفاصنا الخمسة والثمانين بالسكة الحديدية إلى نيروبى التى اتخذناها مقراً لنا . وفى نيروبى قابلنا بلينى بيرسيفال الذى ظل عشرين سنة حارساً للصيد فى إفريقية الشرقية البريطانية ، فهو يعرف كل أصناف الحيوان وعاداتها ، والأرض التى تغشاها ، وكان كريما جاد علينا بعلمه ووقته ، وأخبرنا ببحيرة قصية ، من المحقق أن يكثر فيها الحيوان لبعدها .

فكاد مارتن يطير عقله من فرط التأثر وصاح : « هيا بنا ! لماذا نضيع الوقت فى أى شىء آخر ؟ » .

فتبسم بلينى وقال : « إذا كنت عاقلا فإنه يحسن بك أن تقوم برحلات تجريبية قبل أن تقدم على هذه ، فإنها تحتاج إلى استعداد دقيق . والبحيرة تقع فى منطقة مجهولة قرب الحدود الحبشية على مسافة ٥٠٠ ميل ، والطريق خطر ، ثم إنها ليست رحلة تشترك فيها امرأة » .

فكدت أنفجر وقلت : « ليست رحلة تشترك فيها امرأة ! عدنا إلى هذه الحكاية ! »

ولكنا قبلنا بقية رأيه ، وقمنا بعدة أسفار على سبيل التجربة قبل أن نشرع فى الرحلة الطويلة شمالا فى صحراء كايسوت إلى الأرض المجهولة على حدود الحبشة . وقد حملنا مؤننا على مركبات تجرها الثيران مسافة ٢٠٠ ميل إلى ميرو ، ثم انتقلت إلى ظهور مئة من الحمالين . وقد استأجرنا سبعين من هؤلاء الحمالين من الجبال القريبة من ميرو ، وكلهم أبطال مفتولو العضل على رءوسهم أكسيتهم المزدانة بريش النعام الفاخر ، وعلى وجوههم صبغة الحرب من لونين أحمر وأزرق . وقد دهشت واضطربت قليلا حين رأيتهم أول مرة حافّين بنارنا .

وقضى ركبنا ليلة ونهاراً فى عبور نهر من الحمم الجافة . وكانت المقذوفات البركانية المتجمدة حادة كشظايا الزجاج المحطم ، فمزقت أحذيتنا المتينة ، وقطعت أقدام الحمالين الحفاة ، وكانت الشمس حامية تشوى الجلد ، والهواء جافاً لافحاً ، فاحترق جلدى ، وتأذت عيناى ، وأحسست بمثل قرع الطبل فى رأسى .

وكان الزنوج قد تجاهلوا أوامر مارتن فأهملوا أن يملأوا مزاداتهم ، فجعلوا

يطرحون ما يحملون. فأصدر مارتن بكرهه أمراً أن يجلدوا بالسياط إذا تطلب الحال ذلك ، فكاد كثيرون منهم يجثون من الظمأ ووجع الأقدام قبل أن تنتهى المحنة ، ولكنهم جميعاً خرجوا أحياء .

وبعد أن اجتزنا هذه المنطقة استرحنا أسبوعاً عند نبع ماء حتى يتماثل البعض ، ويرجع البعض الآخر ليجيء بالأحمال المطروحة . ثم مضينا إلى أرض وحيد القرن ، وبدأنا نرى كثيراً من الوحوش الدميمة التي لا سبيل إلى التكهن بما عسى أن يكون منها ، حتى لقد سئمت تصويرهم ، ولكننا شاهدنا ذات يوم حيواناً جميلا في وضع بديع ، وكل ما حوله من المناظر وما عليه من الضوء ، على ما يرام ، فنصب مارتن آلة التصوير وتركها لى ، فبدأت أديرها حين أشار .

وهمس : « استمرى فى التصوير مهما حدث » . ومضى غير مبال فاقترب من الوحش الذاهل ، وفى هذه اللحظة خرج كركدن آخر من وراء صخرة كانت تستره وهجم الاثنان .

وكان مارتن طويل الساقين خفيف القدم ، ولكنه كان يخيل إلىّ أن من المستحيل أن ينجو ، فقد كانا فى إثره حين بدأ يعدو أمام آلة التصوير ، ثم انعطف فجأة ، وظل الوحشان المزمجران مندفعين فى طريقهما ، فنجا ، وكنت أرتجف وتصطك ركبتاى .

وقال مارتن مغتبطاً : « أظن أن هذه أبدع صورة لوحيد القرن وهو يهجم » .

وخيل إلىّ أنى ضيعت ثقته ، فقد أهملت أن أدير الآلة . فقال : « فى المرة التالية ، خذى الصورة ولا تهتمى بى » .

وعند حافة صحراء كايسوت وجدنا بوكولى ، وهو زنجى هرم ضاو ، ساقاه منسلقتان وفكه غير مستو ، وقد برز لنا من لا شىء ، وأعرب عن رغبته فى الانضمام إلى ركبنا . وكان له سمت غريب ، وبه ثقة بأنا أحوج إليه منه إلينا ، فألحقناه برحالنا ، وصاروا يدعونه « أخا الفيلة الصغير » ، والحقّ أنه كان فيما يتعلق بالفيلة حادقاً بصيراً إلى مدى يتجاوز مجرد المعرفة .

وصار هذا الرجل الغريب الصغير الجسم ظلاً لمارتن ، ولما سأله مارتن عن البحيرة المجهولة على الناحية الأخرى من الصحراء بدا كأنه لا يفهم ، ولكنه كان خبيراً بالصحراء فجازها بنا بأقل ما يمكن من المشقة . وقد لبثنا أياماً نسير وراء هذا الدليل العتيق فى أرض شديدة الوعورة ، وقضينا يوماً آخر نصعد فى مرتقى ، وإذا بنا فجأة فوق هضبة عالية تطل على أجمل بحيرة رأيتها فى حياتى .

والبحيرة عرضها ربع ميل وطولها

ثلاثة أرباع الميل، وهي في وسط بركان خامد، ولها شاطىء من الحمم الجامدة يمتد إلى الوراء نحو ١٠٠ قدم إلى حافة مرتفع كثير الشجر يبلغ علوه مئتي قدم . وعلى حافة الماء ألفاف من الكروم والدوالي المائية، وأزهار إفريقية الكبيرة الزرق . وكان البط والكراكي وغيرها من الطيور تحوم وتنزل إلى الماء، والحيوانات — وهي أكثر من أن تحصى — واقفة ساكنة، والماء إلى ركبها، وهي تشرب .

فقلت : «هي الفردوس يا مارتن !» فهز رأسه موافقاً . وهكذا سميت بحيرة الفردوس .

وضربنا خيامنا على مرتفع مشرف على البحيرة، وكانت أصوات الفيلة تجيء من كل ناحية وتمزق السكون، وترجّنا ونحن جلوس تحت سقف الخيمة الرقيق، بل لقد كنا نسمع تقصّف الشجر إذ تحطمها الأفيال لتصل إلى الأكمام الغضة في القمة .

وفي صباح اليوم التالي ونحن نفطر، وضع زوجي خطة لتسجيل حياة الفيلة تسجيلا تاماً . وقال في حماسة : «إن هذا المكان هو وطنها . ولقد تركتنا ندخله» .

وأقمنا ثلاثة شهور على بحيرة الفردوس . كانت آثار أقدام الفيلة، وهي ترجع على ما يظهر إلى عدة قرون، تتقاطع في الغابة العذراء بمثل نظام الشوارع في المدن ؛ وقد ارتدناها فوجدنا أنها تؤدي إلى البحيرة وإلى الأرض المعشبة، وإلى الصحراء والسهول وينابيع الماء، وأن حركة الحيوان تعظم أو تفتر بحسب الفصول، ففي الجو المطير البارد تتجه الأفيال إلى الصحراء والسهول، وفي الجو الجاف الحار ترتد إلى الغابة والبحيرة .

ولما جمعنا قافلتنا لنعود إلى نيروبي كان ما معنا من الأشرطة والمال قد نفد أو كاد، وكان الإعياء قد حل بنا، ولكن مارتن فكر في خطة سرّتني وأذهلتني . ذلك أنه اعتزم أن يرجع ويقضي أربعة أعوام على بحيرة الفردوس بعد أن يعدّ مالا كافياً وأجهزة وافية، فيها أحدث آلات التصوير ليصور حياة الوحوش كلها في هذه المنطقة .

وعدنا إلى الولايات المتحدة، وذهبنا لنقابل جورج إيستمان مدير شركة كوداك وفي مرجونا أن نفوز بعونته . فاستمع إلينا خمس دقائق بسطنا فيها فكرتنا أسوأ بسط، ثم ألفينا أنفسنا نشيَّع إلى الباب في لطف . وقد لبثنا وقتاً طويلا بعد أن ركبنا القطار إلى نيويورك مكتئبين، غير أني وثبت إلى قدمي لما بلغنا ألباني وقلت له : «تعال!» ونزلت من القطار قبل أن يلحق بي مارتن .

فسأل متذمراً : «لماذا ننزل هنا ؟ إننا لا نعرف أحداً في ألباني» .

قلت : « سنعود إلى إيستمان . أقل ما فى الأمر ، أن لا يهمل الموضوع قبل أن يعرف ماذا يهمل » .

فقال مارتن : « سيعتقد أننا خبنا . وأراهن أنه لن يسمح لنا بمقابلته » .

ولكنه سمح . ولما صرنا مرة أخرى فى مكتبه زايل مارتن اضطرابه واستعاد سكينته ، وصار كما كنت أراه حين يهجم على آلة التصوير لتصوير أسد أو كركدن .

وقال زوجى : « إنى لا أحسن الكلام فيما له قيمة عندى ، وأحسبنى لم أبين أن ما أردته هو أن أحملك على الاهتمام بفكرة تصوير شريط متحرك لحياة الحيوان فى بحيرة الفردوس ، لا بمجرد مسألة مالية » .

فهز إيستمان رأسه قليلا . وأدليت بدلوى فقلت : « إننا نعرف أن لديك طرقاً عديدة لتكسب المال وليست بك حاجة إلى اقتراحنا » .

وبدا لى أن إيستمان يحاول أن لا يبتسم وقال : « هل لى أن أفهم أنكما لا تعدانى بربح ضخم على المال الذى أستثمره فى مشروعكما ؟ »

فهز مارتن رأسه وقال : « كل ما أعد به هو أن أرد إليك مالك بفائدة اسمية . إن تكاليف ركب كبير يقضى أربعة أعوام على هذه البحيرة ، ستكون عظيمة . ولا يمكن أن يفكر فى مساعدتى إلا رجل يقدر الفكرة ولا يجعل عينه على الربح » .

فنهض إيستمان ومضى إلى النافذة وهو يقول : « لا يسعنى إلا أن أقول إنى معجب بصراحتك يا مستر جونسون . وإنى أحب الرجل ذا الأحلام وذا الإقدام على محاولة تحقيقها » . ثم قال بغتة : « سأضع ١٠,٠٠٠ ريال فى مشروعك ، ولك أن تستخدم اسمى للحصول على مبالغ أخرى » .

واستطعنا بفضل معونة إيستمان السخية أن نحصل على مساعدات نفيسة أخرى .

وفى إبريل سنة ١٩٢٤ كنا نتملى مرة أخرى بجمال بحيرة الفردوس التى يخطف الأنفاس ، وكان معنا كل ما يمكن أن نحتاج إليه . فكان عندنا ست سيارات وأربع سيارات نقل ، وخمس مركبات ، و ٢٣٥ زنجيًّا — بل لقد كاد مقدار مؤننا يكون علة إخفاق . فقد تعطلت سياراتنا ومركباتنا مرات فى الطريق من نيروبى وطوله ٧٠٠ ميل ، واضطررنا ونحن نتصبب عرقاً ونتذمر أن نجاهد لنقطع كل شبر من الأرض .

وبعد ساعتين من وصولنا بدأت « الأمطار الكبرى » التى كنا نخافها . ولم يكن يخطر لى أن المطر يكون بهذه الغزارة ، ولم تستطع خيامنا أن تحمينا من هذا الطوفان ، وكان رجالنا لا مأوى لهم ، فهم تعساء ، وعلى الرغم من ذلك أسرعنا فى إقامة المبانى الدائمة وفى جملتها معمل وحجرة

مظلمة لمارتن . وقد بنيناها من كتل الخشب وقويناها من الخارج بخليط من الجلة والطين ، وغطينا سقفها بالحشائش الجافة .

ثم أقمنا على الأيام بيوتاً للضيوف ، وأكواخاً لرجالنا، وأحطنا مبانينا وحدائقنا وسياراتنا ومركباتنا ودجاجنا وحميرنا وأبقارنا وجمالنا بسياج ارتفاعه ١٣ قدماً .

وغرستُ حديقة وأخرجت محاصيل حسنة من الفول والحمص والذرة والبطاطس والبطيخ ، ولكنى كنت أكثر استطابة للبقول البرية مثل الهليون البرى والسبانخ والتوت الأسود البرى ، وعين الغراب ، والفاكهة ، ونوع من العسل أسمر غاية فى الحلاوة . وهذه هى إفريقية المظلمة !

وفى أثناء مقامنا على بحيرة الفردوس كانت الفصول وحدها هى التى تعين لنا الوقت وتوجه عملنا . ففى موسم الأمطار حين يتوافر الماء فى الصحراء والسهول ، كنا نخرج لتصوير الغزلان والوعول والزرافة ، والحمار الوحشى والحلوف البرى . فإذا جف الجو ذهبنا إلى عيون الماء الكثيرة والغابات ، وصورنا شريطاً للبقر الوحشى ووحيد القرن والفيل .

وكان رائدنا الملتوى الفك الصغير الجسم بوكولى ، يعرف عن الأفيال أكثر مما يعرف أى زنجى فى إفريقية ، ولم تكن أساليبه مقنعة فى البداية ، لأنه كان يتمتم وهو يمشى وكأنه نصف نائم . ولكنا ما لبثنا أن وثقنا به ثقة عمياء ، ولقد رأيته يشم ريح الحيوان فلا يخطىء كأنه كلب صيد . وكان يعرف من الزاوية التى تكون عليها ورقة مفردة من أوراق النبات ، منذ كم داستها قدم الفيل الثقيلة الوطأة . ويظهر أن الورقة إذا ديست واستوت بالأرض ، تحتاج إلى نحو ثلاث ساعات لتعود فتقف معتدلة ، فللزوايا المختلفة بين الحالين دلالة دقيقة على الوقت .

وكان الغصن المثنىّ ينبىء هذا الرجل العجيب بمرور قطيع منذ وقت يصل إلى خمس دقائق ، ويدله على الاتجاه الذى سار فيه ، فإذا عجز عن الاهتداء إلى آثار الفيلة هز رأسه هزة فلسفية وقال إحدى ثلاث عبارات : « شاورى أكو » ، من عمل الإنسان، أو « شاورى مونجو » ، من عمل الله ، أو « شاورى مفووا » ، من عمل المطر .

ومتى رأى بوكولى لسبب من هذه الأسباب أن الأحجى بنا أن نعدل عن العمل فى يومنا ، فعلنا كما يرى .

وقد استطعنا لكثرة رؤيتنا للفيلة فى السنوات التى أقمناها على بحيرة الفردوس أن نعرف السر فى إجلال بوكولى لها . فإن هذا الحيوان الوقور المحافظ الذكى يعنى بشئونه ، ولا يدخل قط فى شئون الحيوانات

الأخرى ، وقلما تقتتل الفيلة ، وفيها بالغريزة ولاء للجماعة، وهي تعنى عناية كبيرة بصغارها.

وكنت أنا ومارتن نحب صغار الحيوان من كل نوع ، ولكن صغار الفيلة كانت أقواها استيلاء على قلبينا . وقد رأينا فيلا صغيراً تقوده أمه إلى عين ماء للمرة الأولى على ما يظهر ، وكان اليوم قائظاً جداً ، والفيل الصغير يتلكأ خلفها ويغمغم ويتذمر فنفد صبر أمه، وأمسكت بأذنه ووضعته تحت قدمها ورشته بالماء ، ثم نهض وهو لا يزال يغمغم وفمه الأحمر، مفتوح فأحس بالانتعاش والسعادة ، فتناول بخرطومه ذيل أمه كما يتناول الطفل يد أمه ، ووقف راضياً مغتبطاً وهي تشرب .

واتفق ذات يوم ونحن في الغابة أن رأينا أربع أمهات يعقدن ما يشبه مدرسة لتعليم فن التصويت لدعوة الصغار ، فكانت كل أم ترفع خرطومها وتطلق صوتاً قوياً ، ثم يحاول الفيل الصغير أن يقلدها فلا يخرج إلا صوتاً هزيلا ، فأغرانا بالضحك ما رأينا من خيبة أمل الأمهات وخجل الصغار ، فقهقهنا ، فانفضت المدرسة مذعورة .

وفي كل السنوات التي اتصلنا فيها بالفيلة لم نقتل سوى واحد ، وذلك أننا كنا قد وجهنا آلة التصوير إلى قطيع متقارب في أرض فضاء والصغار تلعب حول الكبار .

وكنت عادة أثير الحيوان لتحدث حركة ، ولكن في هذه المرة لم يكن ثم ملجأ نعدو إليه إذا وقع هجوم، وأصر مارتن على أن يقوم هو بمهمتي وأن أقوم أنا بمهمته وراء آلة التصوير ، فمشى على مهل إلى القطيع ، فرآه أكبر الفيلة ، ففزع ، ونشر أذنيه ، ورفع خرطومه وهجم .

فذهب مارتن يعدو . وكنا كثيراً ما وقفنا مثل هذا الهجوم بأن نصيح ونلوح بأذرعنا ، ولكن هذا الفيل أبى أن يعدل ، فجعل مارتن يحاوره وينثني راجعاً ، وينعطف ، ولكن الفيل كان يتابعه في كل حركة ودورة ، ويزداد اقتراباً منه ،وأخذت بقية القطيع تجري وراء قائدها . وواصلت أنا التصوير تنفيذاً لاتفاقنا ، ولكني واصلت الصياح والصراخ أيضاً . وكان جانب من عقلي يقول لي : إن هذه ستكون صورة بديعة ، وجانب آخر يقول لي : إن مارتن سيداس حتما إذا أنا لم أقتل الفيل الزعيم . فأخذت بندقيتي من حاملها وأطلقتها . ولست أتذكر أني عنيت بالتسديد فاضطرب الفيل الكبير وارتمى على الأرض، وفزعت الأفيال الأخرى فدارت وراحت تعدو .

وأخيراً أغلقنا بيوتنا المحبوبة على بحيرة الفردوس وعدنا إلى الولايات المتحدة لنشر صورنا ، ولكننا ما كدنا نفرغ حتى رجعنا

إلى إفريقية ننشد الأسود فى هــذه المرة .

الأسود ! لقد عشنا معها عاماً فى « عرين الأسد» وهى رقعة مساحتها ٥٠٠ ميل مربع فى منطقة تنْجنيقة. وكنا نعمل مع الأسود ، ونأكل وننام وزئيرها حولنا من كل ناحية . وجاء وقت كنا نخاف فيه هذه القطط السمر الكبيرة ، ولكنا أحببناها أخيراً .

والأسد حيوان لطيف جداً على الأكثر ، وهو يجوب ، وينام كثيراً ، ويغريه مزاجه باللعب كقطة البيت ، ويعنى بشئونه دون شئون غيره ، ويحب أسرته ، ويؤدى واجباته كخادم للأسرة وعائل لها ، وهو فى حداثته يمشى مع الذكور الصغار من أمثاله . ويقضى الوقت فى المرح ، إلى أن يكبر فيكوّن لنفسه أسرة ، وإذا هرم وعجز عن مسايرة أسرته وأصدقائه ، نفته الجماعة ، فيروح يصطاد وحده ، وعندئذ يصبح فى الغالب « وغداً » .

والأسد يقتل ليأكل ، وفيما عدا ذلك قلما يتعرض لحى من الأحياء إلا دفاعاً عن نفسه أو إذا فزع . فإذا هوجم وجرح فإنه لا يتقهقر أبداً ، بل يقاتل ما دام فى بدنه البديع دماء ، وهو يزن من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ رطل ، غير أن هذا الحيوان الضخم يستطيع بوثبات قصيرة أن يدرك أى حيوان آخر فى السهول . وفى لطمة واحدة منه أو عضة ما يكفى للقتل .

وفى أحد الأيام قضينا العصر كله بين أربعة عشر أســداً ، وقد اعتمدنا على قلة مبالاة الأسود بالسيارات — حتى التى تكون مكشوفة ، وركابها قيد النظر — فصورناها وهى تتلاكم لاعبة عدة ساعات . فلما تعبت نامت ، وعادتها أن ترقد على ظهورها ، وأقدامها مرفوعة فى الهواء ، وشخيرها قوى . وليس فى الوسع أن يتصور المرء جماعة من الحيوان أحسن أخلاقاً وأجدر بالحب .

ولما أدرت المحرك أخيراً وبدأت أرجع القهقرى ، رأى أسد صغير أن يعترض طريقنا ، فتحمس وتبعنا ، وكان العمل الوحيد الذى تؤمن عاقبته هو أن نقف ، لأن الأسد كغيره من فصيلة القطط ، يغريه الفرار بالمطاردة .

وصوب مارتن بندقيته إلى رأسه .

ونظر إلينا الأسد مستغرباً أن نقف ، غير راض عن إفسادنا عليه متعة المطاردة فتشمم عجلة ، وعضها عضة خفيفة ، وتقبض أنفه لطعمها ، ثم شرع يتناولها بفمه ويزمجر كأنه جرو يلعب بكرة من المطاط . واقتربت الأسود الأخرى ووقفت تنظر فى كسل .

وقلق زوجى وقال بحذر : « إن خرقاً بسبب العجلة الآن لا يكون شيئاً حسناً ، ثم إن الانفجار قد يطير بلبه » .

فأسرعت بالسيارة لأشغل الأسد ، وأخرج المحرك سحابة من الدخان المزعج ، واغتنمت فرصة اشتغال الأسد باستغراب رائحة الدخان فاجتزت السهل .

وقررنا أن نصور عادات الأسد ليلاً بعد تصوير عاداته فى النهار ، ليكون عندنا تاريخ مصور واف لهذا الحيوان . فأقمنا أربعة مصابيح قوية على عمد طولها ست أقدام ، ثم ثبتنا آلات تصوير أوتوماتيكية على قواعد أمام المصابيح ، وهذه الآلات يديرها سلك طويل .

وكان علينا بعد ذلك أن نقوم بمهمة ثقيلة هى قتل أحد الحمر الوحشية لتتخذ منه طعماً ، ثم نحمل الضحية إلى نقطة تبعد ١٥ قدماً عن آلات التصوير ونقعد فى السيارة على مسافة مأمونة والبندقية معدّة ، والسلك مهيأ .

وكانت الضباع أول ما يقبل على الحمار ، فإذا سددنا إليها حجراً ورميناها به بإحكام فإن هذا يكون كافياً أحياناً لتفريقها ، ولكنه كان لا يسعنا إلا أن نضربها بالنار حين تجىء منها جماعات .

وبينما كنا ننتظر ذات ليلة مظلمة باردة متراكبة السحاب ، سمعنا حركة وصوت تمزيق ، وشهقة ثم زمجرة . فأضاء مارتن المصباح الكهربائى ، وإذا أمامنا ملك أسود تشجنيقة كلها . فرفع رأسه الكبير على مهل ، وحدق بازدراء فى النور ، وكانت قطعة دامية من لحم الحمار تتدلى من فمه ، ولكن هذا المنظر على بشاعته لم ينل من جلاله .

وتهيأ زوجى لإضاءة الأنوار وإدارة آلات التصوير ، فألقى الأسد اللحم ، وزأر ثم عاد فعكف على طعامه . وانضم إليه أسود أخرى ، فصاروا جماعة شائقة المنظر ، وأخلق بصورها أن تكون بديعة .

وهمس مارتن : « هذا شىء عظيم » وضغط الزر ، فلم يحدث شىء ، فضغطه ثانية فلم نر أثراً لوميض ، فنزع الأسلاك من الزر وجمع أطرافها ، على غير جدوى .

فقال : « أحسب أنه لا يسعنا أن نفعل شيئاً آخر ، ولا بد أن أذهب وأصلح الخلل » . وغادر السيارة قبل أن يتسنى لى منعه ، وأمسكته من بنيقته وقلت وأنا أكاد أبكى : « هذا جنون » .

فكان كل ما قاله : « هاتى البندقية القصيرة » .

فطردت الأسود عن الفريسة بأن ألقيت على وجوهها أنوار سيارتنا ، وبالنفخ فى بوقها وبالصياح ، فارتدت مسافة عشرين ياردة ، واستطاع زوجى فى دقائق قليلة كنت أحس أنها الأبد ، أن يصلح الأسلاك ويعود إلى السيارة . وكنت خائرة متهافتة ، وشرع مارتن فى العمل فوراً ولكنى

كنت أرى أنه هو أيضاً يرجف قليلا .

وفرغ الأسد الملك من أكل فريسته ، فرأى أن يفحص عن آلات التصوير ، وعض إحداها على سبيل الاختبار .

فصاح به مارتن وقد خرج عن طوره كل الخروج : « اترك هذه الآلة » .

فنظر إلينا الأسد الجليل بغير احتفال ، ثم بدأ يعمل أسنانه فى المنصة التى وضعت عليها الآلة ، فانهار كل شىء

ووثب مارتن من السيارة مرة أخرى وجعل يرميه بالحجارة ، وأقبل أسد صغير وشد الأسلاك حتى فك كثيراً منها .

ولبثنا هكذا نقذف الحجارة ، ونصيح ونطلق النار فى الهواء ، ولكن هذين الأسدين لم ينصرفا إلا بعد أن قوضا كل شىء : الأسلاك جميعاً ، والمولد الكهربائى وآلة التصوير والعمود ، ثم ارتدا وهما يحركان ذيلهما زهواً . وهكذا حبط سعينا للتصوير على ضوء المصابيح .

ولعل أمثال هـــذه التجارب هى التى جعلتنا ننظر إلى هذه السباع الكبيرة كأنها قطط أليفــة وحملتنا على التهور قليلا . فكنا فى يوم حار نمشى ومعنا آلة التصوير وحملة البنادق ، فإذا بأسد نائم على مسافة ٣٠ ياردة منا ، فوثب إلى قدميه على الفور ، ورد أذنيه إلى الوراء وهز ذيله ، وزمجر .

فقلت : « لست مطمئنة إليه يا مارتن » وأشرت طالبة بندقيتى فقال مارتن : « أوه ، إنه ثائر قليلا ، ولكن هــذا كل شىء » وأدار الآلة . ثم شرع الأسد وهو يغمغم ، يمشى إلينا ، وذيله يضرب جنبيه ، وعضلات كتفه القوية تختلج تحت جلدته الصفراء اللامعة ، وربض وحدق فينا بعينين تنطقان بالمقت المتلهب ، ثم هجم . واستمرت يد مارتن تدير الآلة ، بغير تفكير .

ووثب نحونا — عُفْرتُه منفوشة ، وأنيابه بادية — فأطلقت النار وبى ذهول ، ودون أن أكون مدركة لما أصنع . وبدا الأسد كأنه معلق فى الهواء وسقط على ثلاث عشرة قدماً من قوائم الآلة .

وكانت مغامراتنا فى بعض الأحيان مثيرة للنفس ، وأحياناً كانت كداً مرهقاً ، وقاسينا فى أحيان أخرى ما لا يكاد يحتمل من المصاعب . على أن جملة ما خرجنا به هو الذى كان يعنينا ، وكان من أعظم دواعى الاغتباط أن نستطيع أن نعرض حياة هذا السبع النبيل على الملايين الذين كانوا يظنون أنه وحش غادر سفاك للدماء .

وقد قمت أنا ومارتن بعدة رحلات أخرى بعد أن أتممنا تسجيل حياة الأسود ، فذهبنا إلى الكونجو البلجيكية فى ١٩٢٩ ، وهى بلاد الأقزام والغورلَّى ، ولبثنا هناك عدة شهور

وصورنا صوراً حسنة للأقزام وللغورلّى وعدنا ومعنا اثنان حيان من الغورلّى .

وفى سنة ١٩٣٢ تعلم كلانا الطيران ، فقطعنا بطيارتين جميلتين بريتين مائيتين ٦٠٠٠٠ ميل فوق أدغال إفريقية دون أن يقع لنا حادث لحسن الحظ ،ولم ينقض لنا عجب قط من الحرية التى منحتنا إياها طائرتانا. وكانت الجبال والأدغال والسهول منظراً مترامياً تحتنا ، وكنا نرى من الجو جموع الفيلة المهاجرة ، وأسراباً من البلشون الأبيض وزرافات لا عداد لها ، وحيوانات الصيد فى السهول ، ولا نلمحها حتى نكون قد صورناها ، وكنا نستطيع أن نهبط فى مواضع يتعذر الوصول إليها فى العادة ، ولم تطأها قدم رجل أبيض من قبل ، وأن نصل إلى أهالى قبائل غريبة نائية .

واستخدمنا إحدى الطائرتين فى رحلة أخرى إلى بورنيو ،وقضينا أربعة عشر شهراً فى هذه البلاد الحافلة بالأنهار والأدغال وصيادى الرءوس . ورحب النقاد بما صور مارتن فى هذه الرحلة وعدوه خير ما صنع ، فسرّ بهذا وسعد .

وقد كان هذا الرضى دأبه فى ما يلقيه من محاضرات وما يعرضه من صور حتى قلت له يوماً : « لكنك لا تصف لأحد مبلغ الكدّ الذى تجشمته فى الأدغال ،وكيف كنت تقف وكأنك تستحم بعرقك ساعات على أحواض التحميض ، ووراء آلات التصوير ،وآلات تسجيل الصوت المتآكلة ، أو كيف رأيت عمل شهور — ٢٠٠٠٠ قدم من الشريط — يتلفه العفن »

ففكر زوجى فى هذا ثم ابتسم : « لقد كانت هذه مسلاة أيضاً ، حتى مشقة العمل كانت فيها متعة »

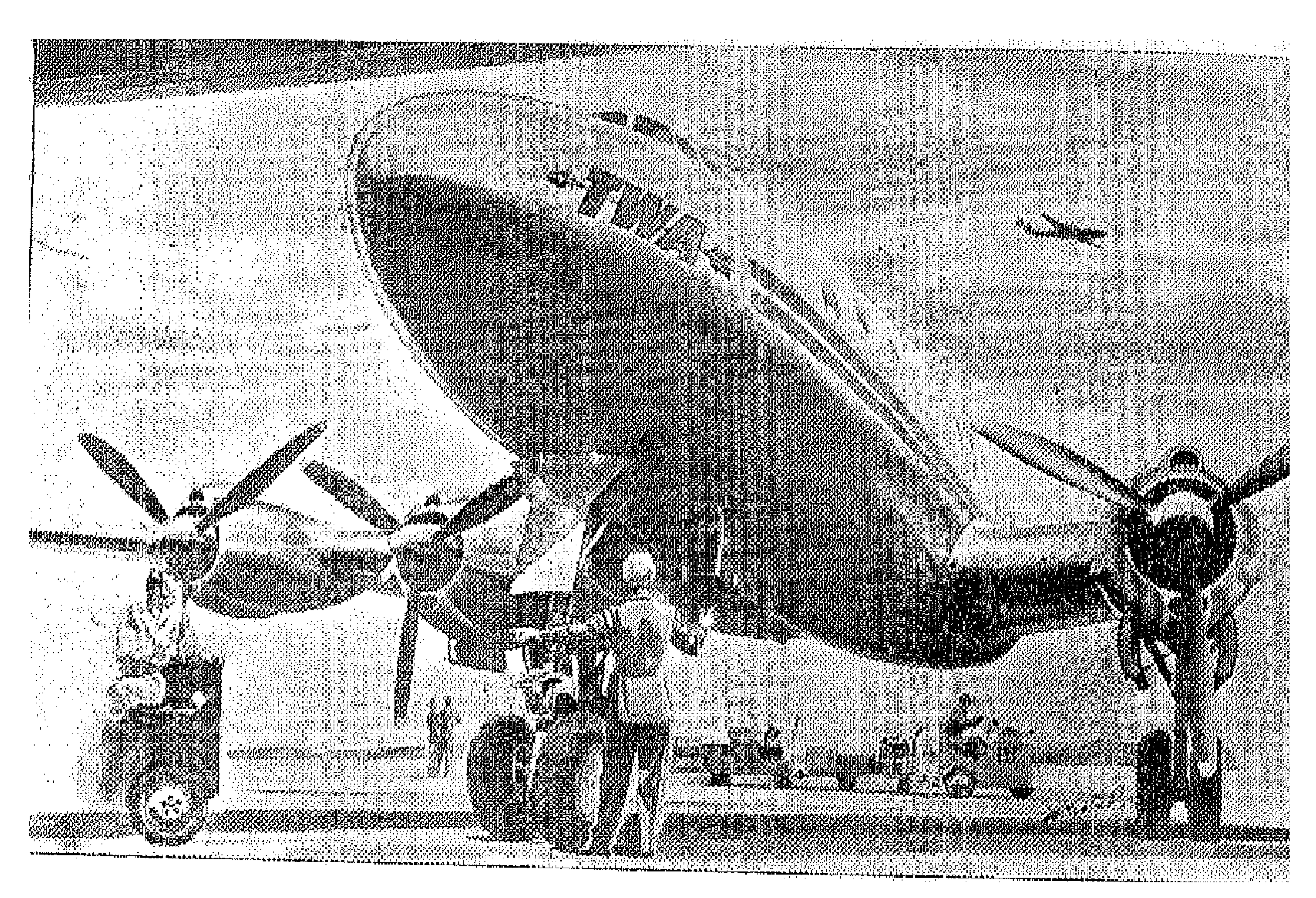
وفى صباح اليوم التالى كنا فى المطار لنركب الطائرة الذاهبة إلى كاليفورنيا،فتحدثنا عن شراء منزل ، وهو أمل كان مارتن يخشى أن يكون قد فاتنى تحقيقه ، فزوى ما بين عينيه وهو يفكر ويقول : « ترى ماذا يصنع المرء فى هذا الامر — أمر الأطفال ؟ »

فقلت — وكنت أتكلم بسرعة وحماسة :

« لم أكن أدرى أنك فكرت فى هذا ، ولكنى اهتديت إلى ما ينبغى عمله . وأما عن البيت فإنا نستطيع أن نشترى بيتاً صغيراً فى الريف فيه سعة كافية لحيواناتنا الأليفة »

« نعم ويستطيع الأولاد أن يلاعبوها »

ودخلنا فى طائرة الركاب الكبيرة فقال وهو يبتسم: « هذه فكرة حسنة ». ودارت المحركات ، وسارت الطائرة على المدرج ، ونظر مارتن إلى ، وهو لا يزال يبتسم . ولن أنسى هذه الابتسامة ما حييت ، فقد سقطت الطائرة وتحطمت ، وقتل مارتن .



معروفة فى كل مكان

كل إنسان ملم بالطيران فى أية بقعة من بقاع العالم ، لا يحتاج إلى الاستدلال على الطائرة المبينة فى هذه الصورة . إنها طائرة لوكهيد كونستلاشن المشهورة التى وضعت تصميمها مؤسسة «ت . و . ا » للقيام بالرحلات الجوية البعيدة على أيسر وجه وأعظمه راحة وأمناً . وإن الأرقام القياسية التى سجلتها هذه الطائرة والأصدقاء الذين كسبتهم فى كل بلد حلّت فيه ، لأعظم دليل على ما أظهرت مؤسسة «ت . و . ا » من ثاقب نظر وصدق فراسة حين وضعت تصميمها للخدمة الجوية بين جميع أقطار الأرض .

ماهى " ت . و . ا " ؟

* «ت . و . ا » لها خبرة بضع و ٢٠ عاماً فى الطيران .

* «ت . و . ا » كانت أول شركة استخدمت طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .

* «ت . و . ا » سجلت ٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩ر٠٠٠ رحلة فوق المحيطات .

* «ت . و . ا » كانت أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى .

* «ت . و . ا » صممت طائرة لوكهيد كونستلايشن ذات الشهرة العالمية ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .

TWA

الخطوط الجوية العالمية

مواصلات مباشرة مصرح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إرلندا . فرنسا . سويسرا . إيطاليا . اليونان . المملكة المصرية . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . مراكش . تونس . ليبيا .



فولاذ

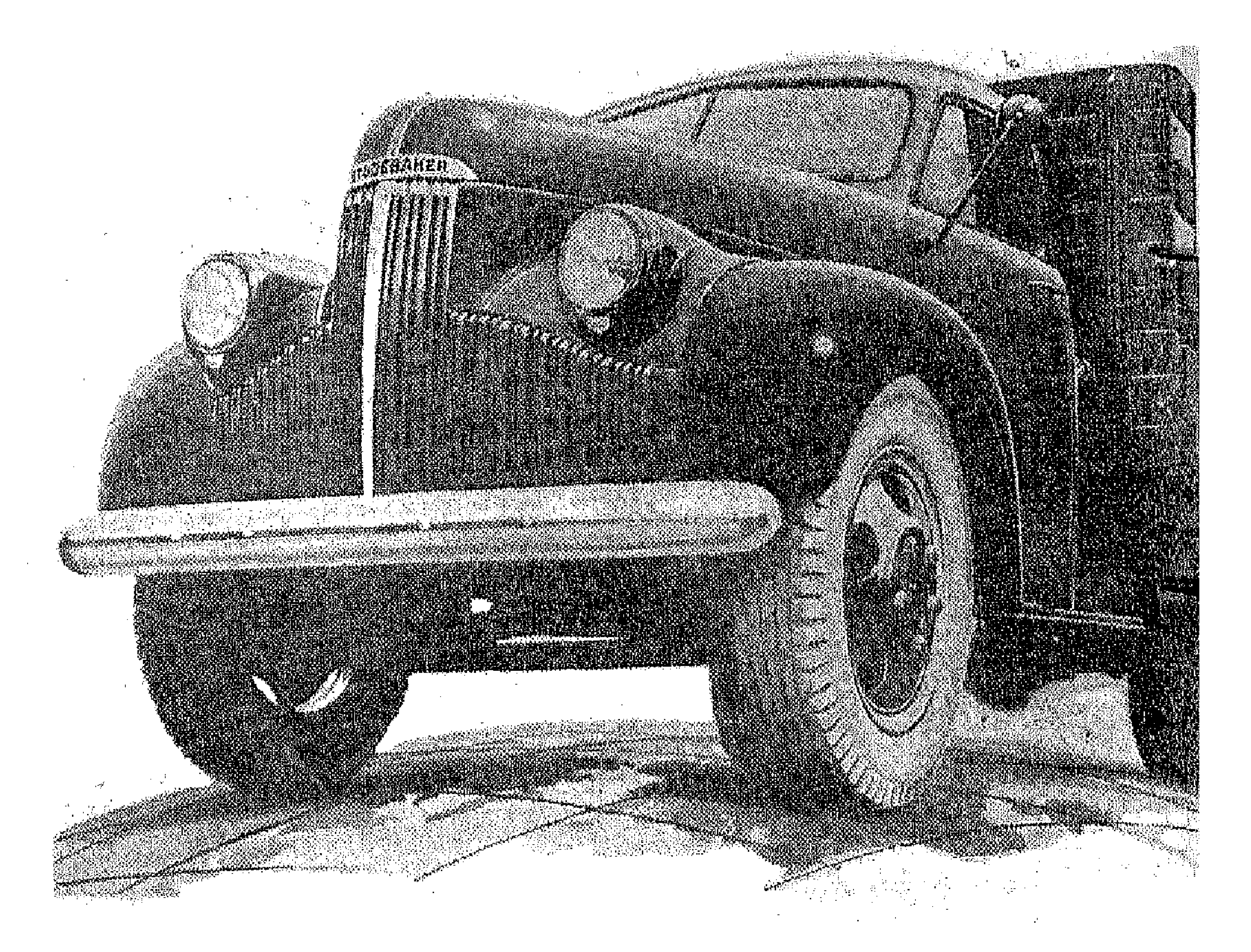
يخرج كل عام من مصانع « بثلهيم ستيل » العظيمة ملايين الأطنان من الصلب الفحمى والصلب المخلوط — ومقادير متزايدة من الأفرخ الفولاذية والقضبان والصفائح والصلب المفرغ فى أشكال خاصة من أجل البناء ، والرقائق والأسلاك وغيرها من المنتجات الفولاذية .

إن كثيراً من الأبحاث ووجوه التحسين اللازمة لإنتاج أنواع الفولاذ العصرية الممتازة يعود الفضل فيها إلى شركة « بثلهيم ستيل » . أما الأبحاث المعدنية والهندسية التى تقوم عليها هذه المنتجات فلا تنقطع أبداً لأن خطة مؤسسة « بثلهيم ستيتل » هى التحسين المطرد والانتباه الدائم لحاجات المستهلكين المتغيرة . وسواء أكنت فى حاجة إلى مسامير أم إلى جسور ضخمة فإنك تستطيع الاعتماد على شركة « بثلهيم ستيل » — « التى تعد من أعظم الشركات لإنتاج الفولاذ فى العالم » .

الوكلاء ... فى القطر المصرى : **شركة الدلتا التجارية ، ش . م . م .** فى العراق : **ستانلى شعشوعة** . فى فلسطين : **رفائيل ملتز** . فى سوريا ولبنان **مشيل صحناوى وولده**

Bethlehem Steel Export Corporation

25, BROADWAY NEW-YORK, U.S.A.



فى جميع أنحاء العالم ...
المؤسسات التجارية المشهورة تصطفى
مركبات النقل "ستوديبيكر"

بين الأسماء المعلمة ألفة قوية . ولا شك فى أنك تكون واحداً من جماعة ممتازة حين تتمتع بمركبات النقل ، المتينة ، السهلة « ستوديبيكر » .

وكثير من المؤسسات التجارية ذات الأسماء اللامعة فى آفاق العالم اصطفت من سنين سيارات النقل « ستوديبيكر » لما تمتاز به من خدمة طويلة واقتصاد فى الأداء .

وفى خلال الحرب أصبحت مؤسسة «ستوديبيكر» من أعظم الشركات لصنع سيارات النقل فى العالم ، أما الآن فإن مهارة «ستوديبيكر» المنقطعة النظير ، التى أنتجت ١٩٧٫٦٦١ سيارة نقل عسكرية قوية ضخمة لقوات الأمم المتحدة ، هذه المهارة توضع اليوم فى خدمة الجمهور إذ تنتج له أجود مركبات النقل التجارية وأعلاها نوعاً .

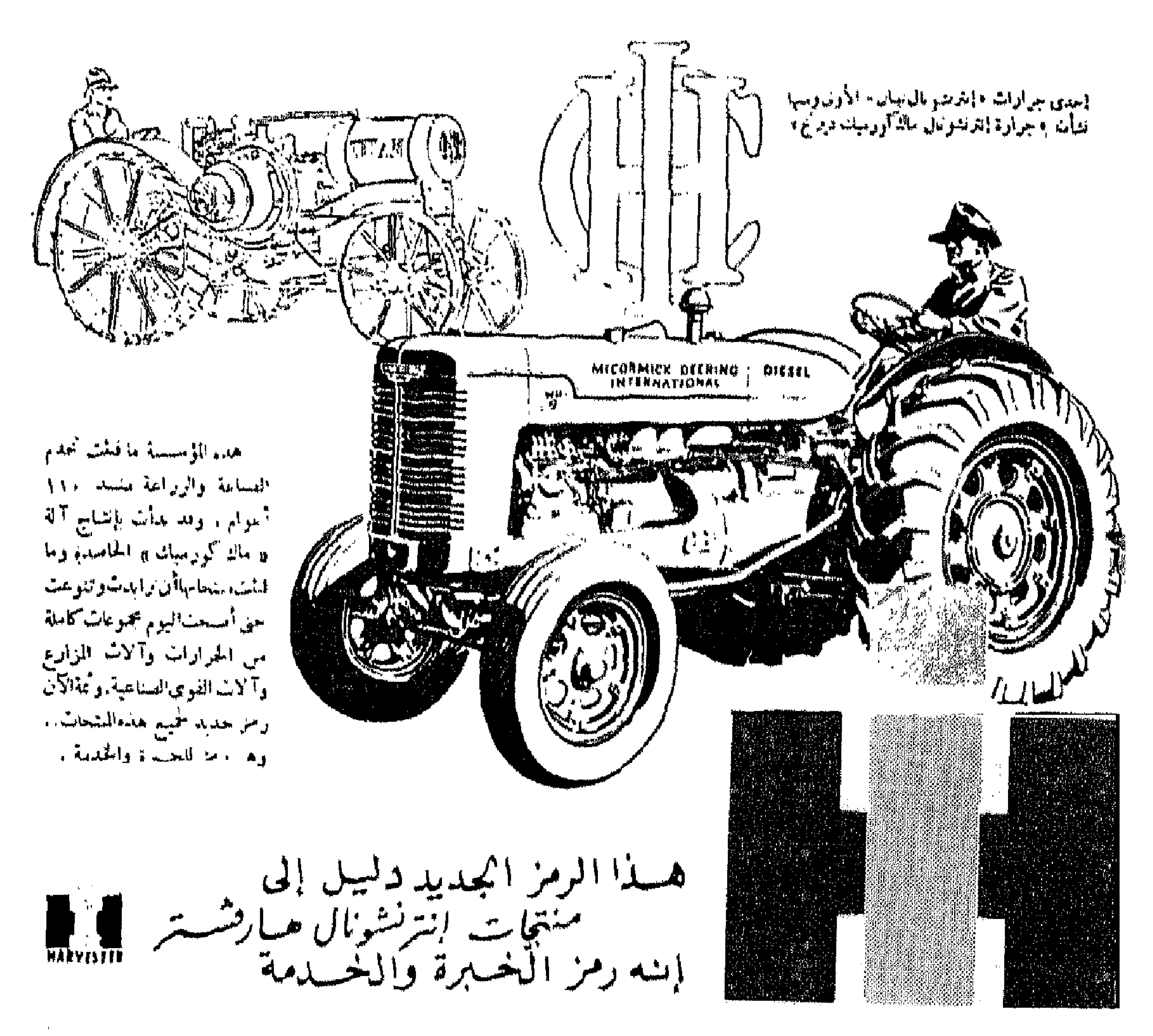
كما أن مؤسسة « ستوديبيكر » على استعداد الآن لخوض غمار الأسواق بسيارتيها الجديدتين لعام ١٩٤٧ « شامپيون » و« كوماندر » — وهذه السيارات الجديدة فى تصميمها — الفريدة فى مظهرها — هى أول وأبدع « سيارات جديدة لعالم جديد » .

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل


زهرة القطن..
... هي عماد الاقتصاد القومي ، وكذلك المنتجات
الممتازة من القطن المصري والصوف والكتان ... التي
تقدمها شركة مصر للغزل والنسج لعملائها في القطر المصري
والسودان وجميع أنحاء العالم العربي
شركة مصر للغزل والنسج
مركزها الرئيسي بالقاهرة — مصانعها بالمحلة الكبرى



هذا الرمز الجديد دليل إلى منتجات إنترنشونال هارفستر إنه رمز الخبرة والخدمة

HARVESTER

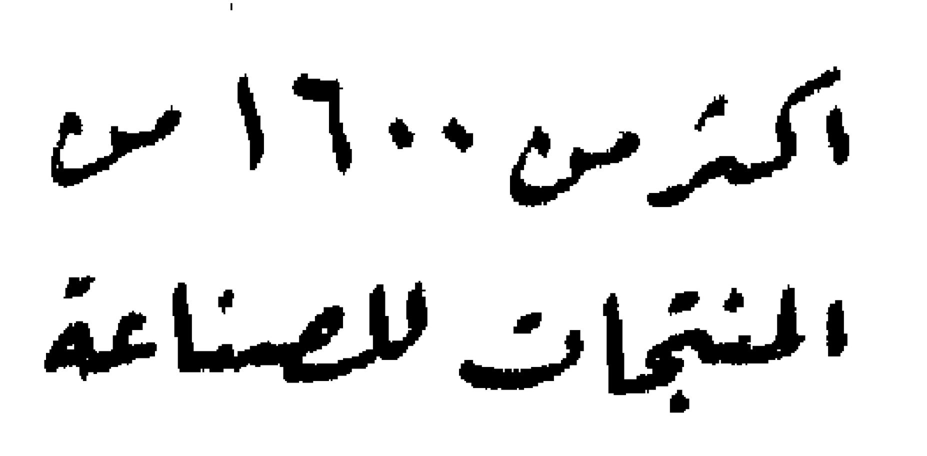
مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز « IHC » دليلا على كل آلة تنتجها شركة « إنترنشونال هارفستر » . ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة « إنترنشونال هارفستر » وأصبح يشمل مجموعات كاملة من كميونات « إنترنشونال » وآلات القوى الصناعية « إنترنشونال » وجرارات « ماك كورميك ديرنج » ومعدات المزارع « إنترنشونال .. » وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة في جميع نواحيها وإن ما تمتاز به منتجات « إنترنشونال هارفستر »

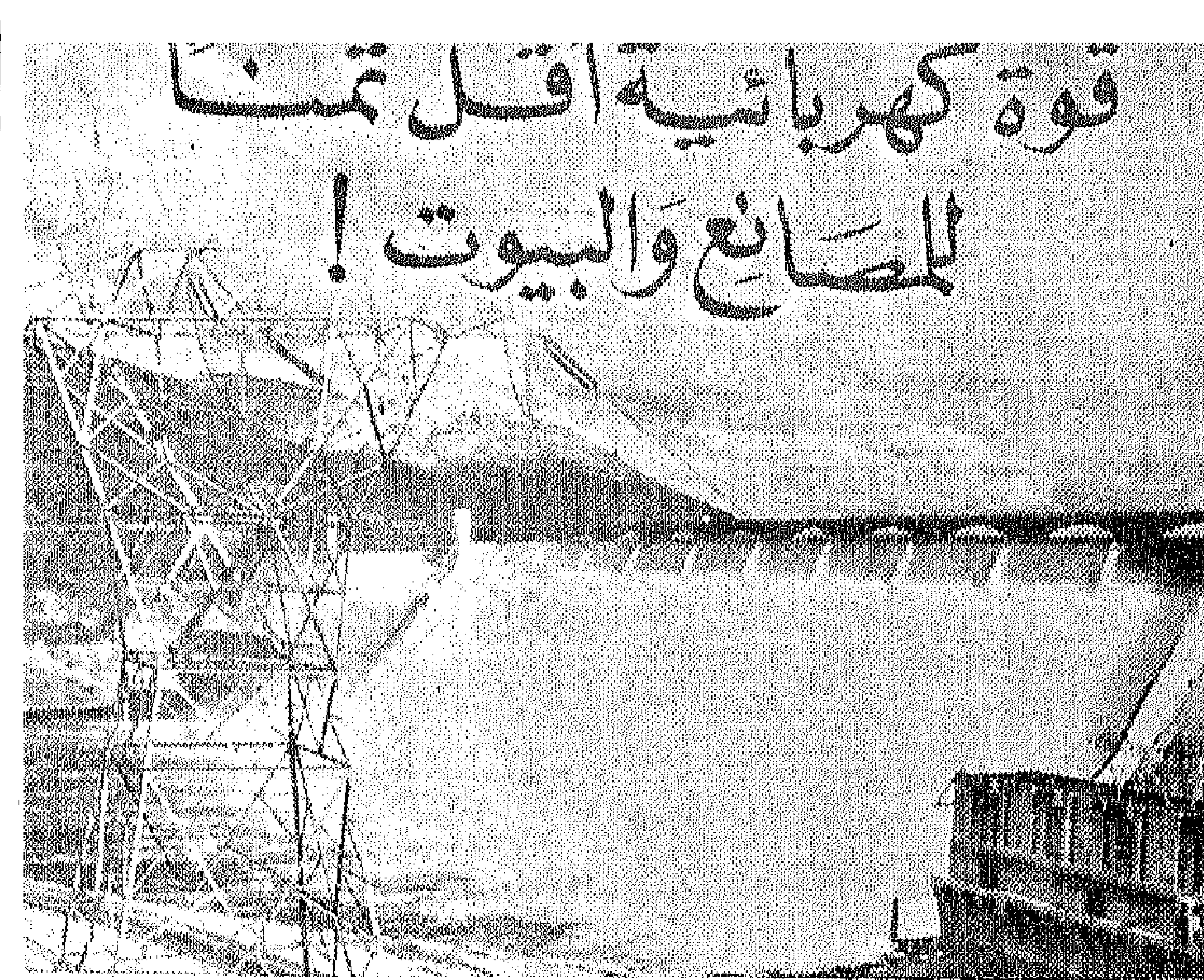
من متانة البناء ، وكمال الأداء ، والاقتصاد ، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التي تؤديها لمستعمليها في جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التي تنتجها مؤسسة « إنترنشونال هارفستر » . إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم في العالم أجمع .. كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة :

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U.S A

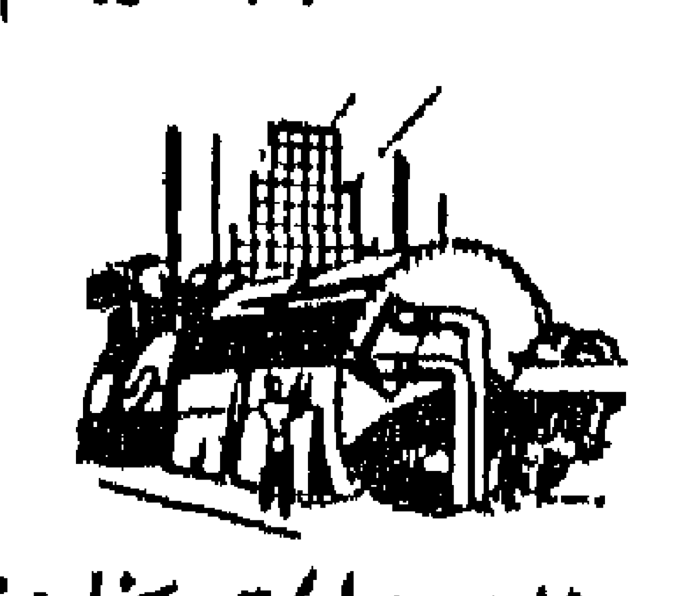
سيارات النقل إنترنشونال — آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

INTERNATIONAL HARVESTER















تمتاز الكهرباء اليوم عن أى عامل منفرد آخر بأنها أساس لحياة أرغد. فهى القوة التى تسيّر الآلات الحديثة وتضىء المدن العصرية. وهى القوة المحركة وراء آلاف من المنتجات وعليها تقوم الرفاهة ووسائل الراحة فى كثير من الشئون.

وإحدى المسائل التى شرعت مؤسسة « أليس شالمرز » فى بحثها منذ سنين، هى كيفية توليد الكهرباء من أحسن الطرق وعلى أفضل وجه. لقد تعلمنا كيف تبنى تربينات مائية وبخارية ذات مقدرة فائقة، تولد القوة الآلية لتسيير مولدات ضخمة. كما أننا نصنع هذه المولدات ذاتها — والمحولات وآلات الضبط وغيرها من الآلات اللازمة لضبط التيار الكهربائى وتوزيعه بطريقة اقتصادية على المراكز الحيوية.

على أن هذا الميدان هو واحد من ميادين عديدة نقوم بخدمتها. فمن ثمانية مصانع هائلة، تنتج مؤسسة « أليس شالمرز » أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية فى العالم. استشر أقرب وكلائنا إليك لمساعدتك على حل أية مشكلة فى الآلات الخاصة بصناعتك.

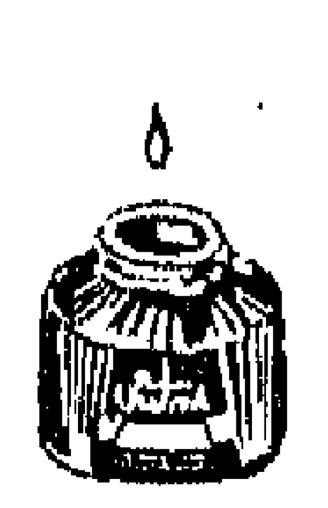


MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة، ش . م . م ١٠٠، ٤ شارع صفية زغلول، اسكندرية، و ٢١ شارع سليمان باشا، القاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٢٨٢ / ٩ شارع المستنصر، بغداد، وشارع الملك فيصل، البصرة — الحبشة أميريكان إيسترن كوربوريشن، أديس أبابا — المملكة العربية : أميريكان إيسترن كوربوريشن جدة — إيران وأفغانستان : أميريكان إيسترن، ش . م . ا . ، ٩٢٦ شارع شاه، طهران. وبناء نادى البحرية الأمريكية سابقاً، خورامشاهر.— وهناك مراسلون لشركة « اليس شالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة.

حبر پاركر كوينك
يمنع اضطرابات القلم
قبل
أن تبدأ

- يمنع تآكل المعدن وبلاء المطاط اللذين تسببهما المواد الزائدة الحموضة .
- يقف لزوجة المداد وتكاثفه فيتيح للقلم بدءاً سريعاً — وانسياباً سوياً .
- ينظف القلم أثناء الكتابة . . . ويحفظه دائماً فى حالة صالحة للعمل .
- يذيب الرواسب التى تخلفها الأحبار العادية ويطردها .



PARKER
Quink

الحبر الوحيد الذى يحتوى مادة « Solv-x » الواقية للأقلام !

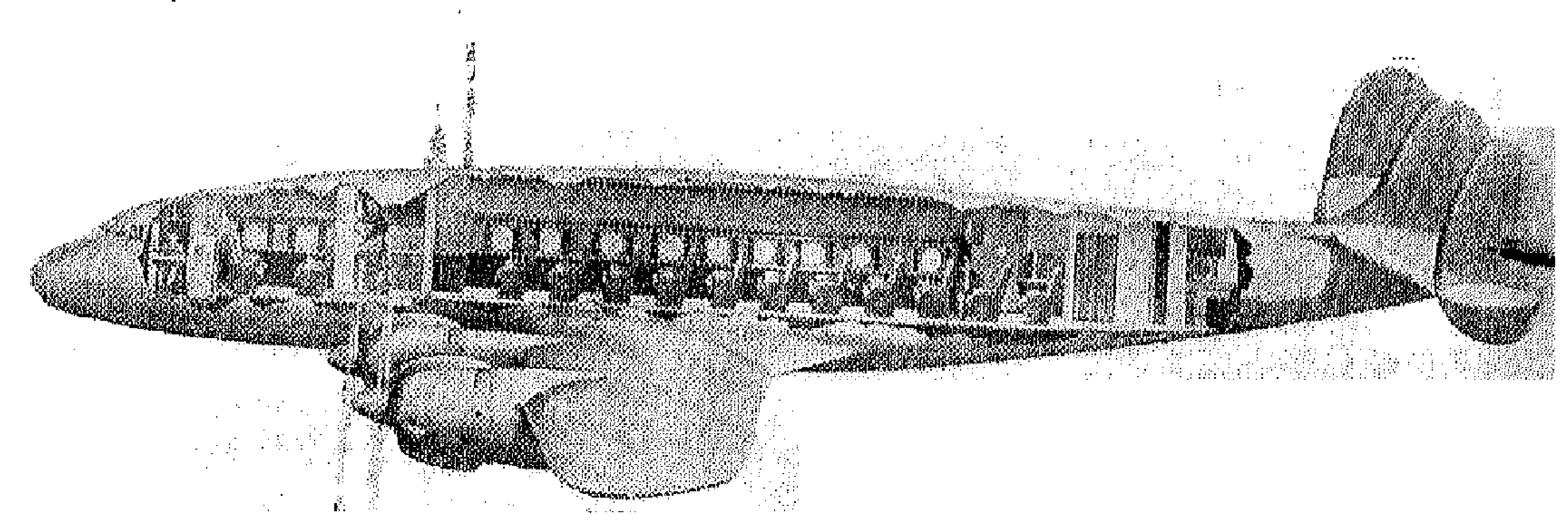
إن الخبراء يؤكدون أن ٦٥٪ من اضطرابات الأقلام سببها الأحبار العادية الزائدة الحموضة . غير أن حبر « پاركر كوينك » الذى يحتوى عنصراً واقياً Solv-x يمنع أغلب اضطرابات الأقلام .

حبر « كوينك » اللامع ، الميسّر الانسياب هو وحده الذى يحتوى Solv-x ٧ ألوان ثابتة ، لونان قابلان للغسل .

تستطيع الآن أن تسافر طائراً فى طائرات

CONSTELLATION

فتوفر الساعات فى الطيران بين الشرق الأوسط وسائر بلاد العالم



حجرة ذات هواء عادى! إن طائرة « كونستليشن » هى وحدها التى تضم هذه الميزة! فى أثناء تحليق الطائرة فى الطبقات العليا، يظل « مستوى » الجو فى الحجرة طبيعياً لكى يتاح أكبر قسط من الراحة للركاب.

فرامل هوائية! إن المصارع المسجلة التى ركبت فى أجنحة « لوكهيد » تهيىء للطائرة أبطأ سرعة تستطيع أن تطير بها طائرات النقل الكبيرة عند هبوطها إلى الأرض.

قوة مضاعفة للأمان! إن طائرة « كونستليشن » يمكنها اليوم أن تطير بواسطة أى اثنين من محركاتها الأربعة. وفى هذا ما فيه من أمان خلال الرحلات!

مهندس طيران! بفضل ضم مهندس الطيران إلى رجال الطائرة تلت أعباء مراقبة العدادات والأجهزة مقدار ٦٠٪ عن كاهل القائد والضابط الأول فأصبح فى إمكانهما تركيز كل جهدهما فى قيادة الطائرة قيادة محكمة سهلة.

خابر الوكيل المحلى للأسفار أو أحد هذه الخطوط الجوية الكبرى:

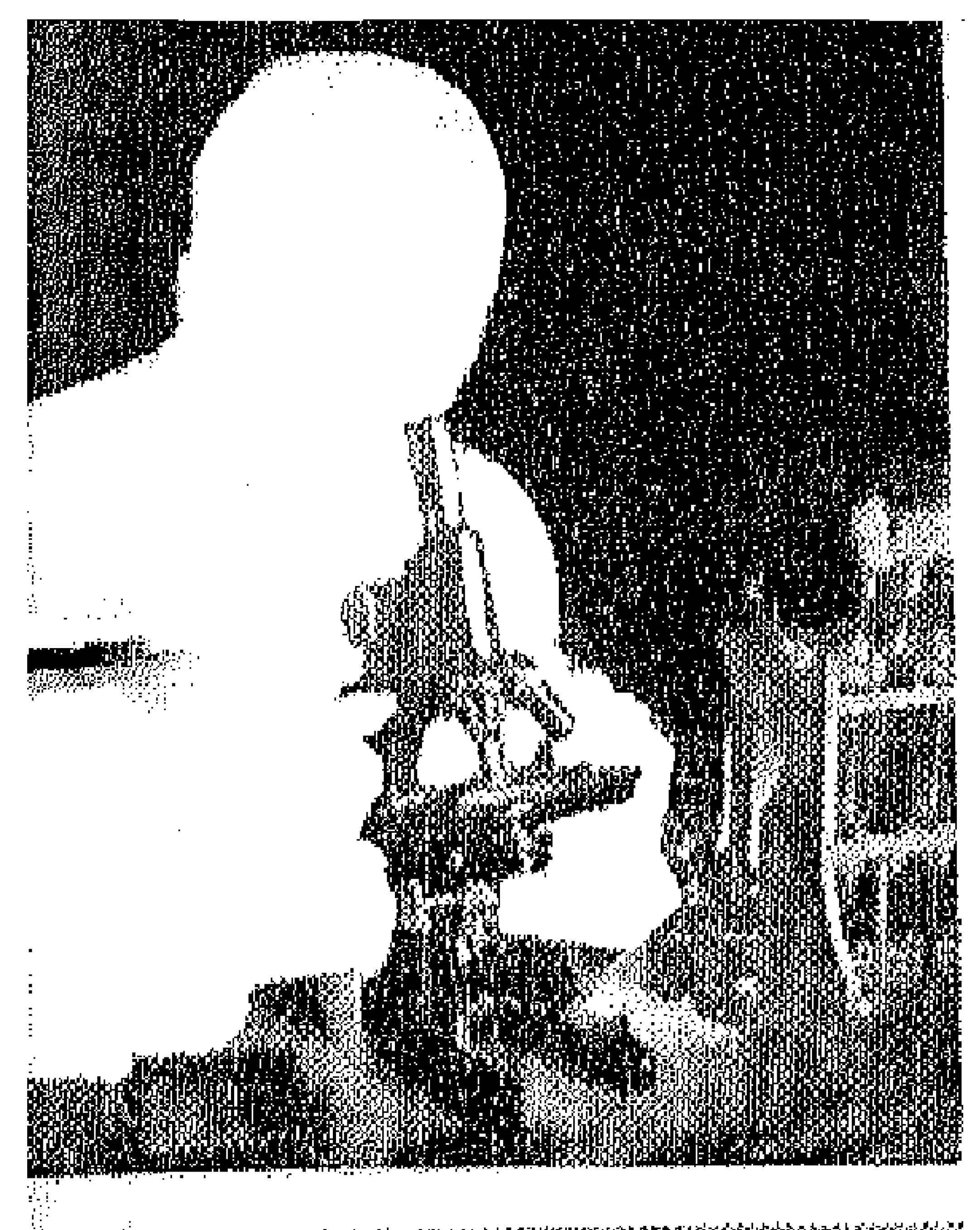
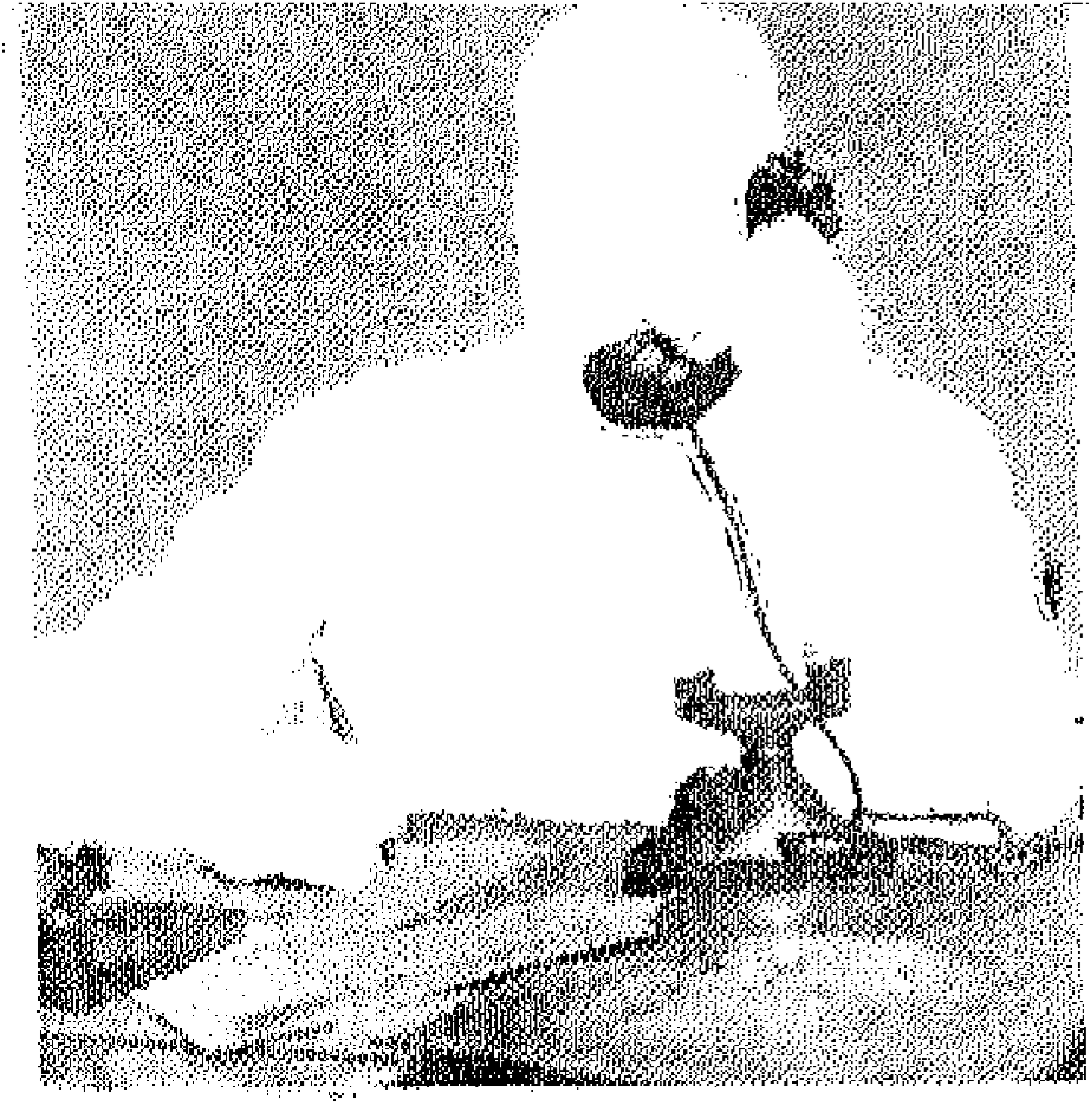
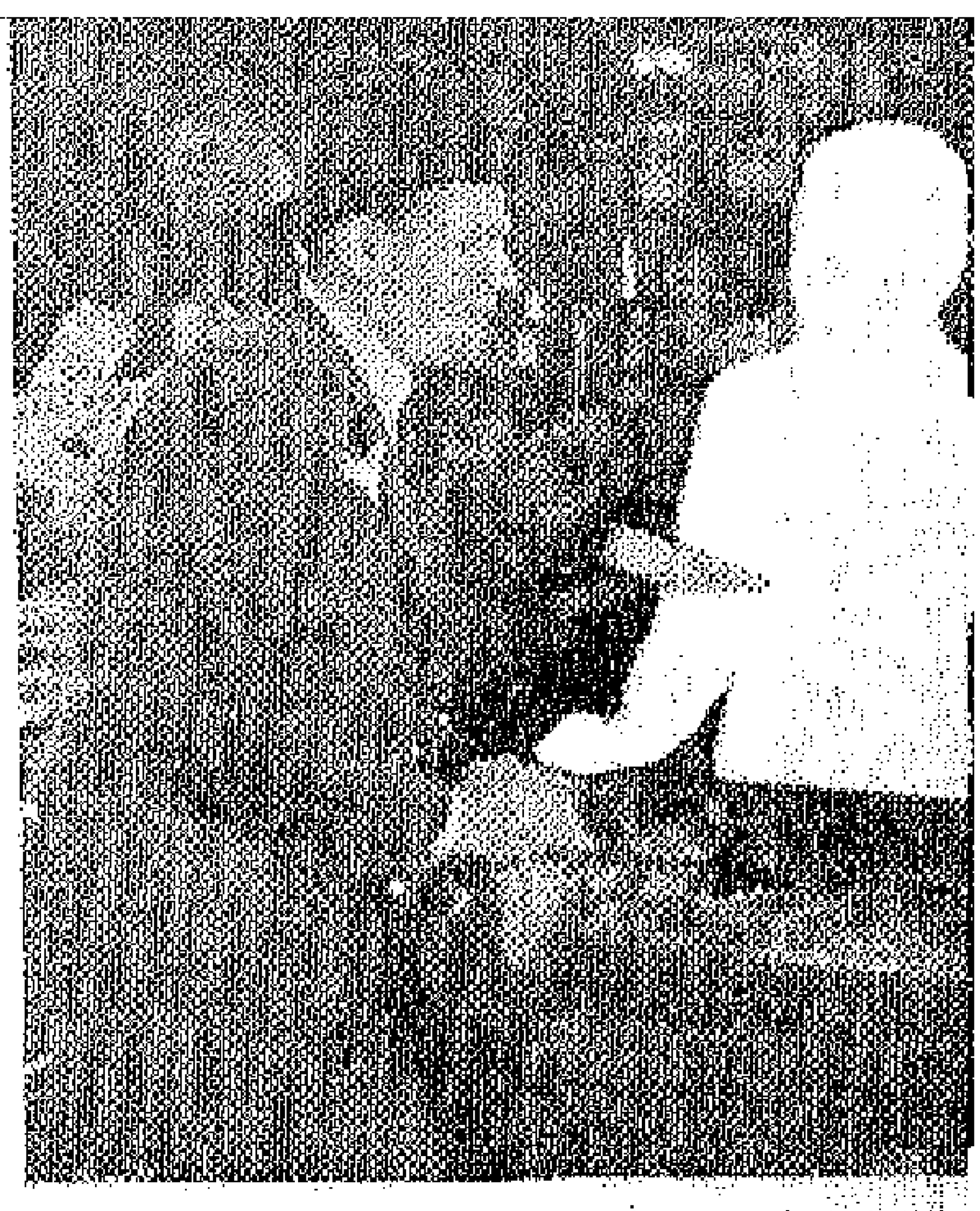
أميريكان أوفرسيز ارلاينز • پان أميريكان • ت.و.ا. • إيسترن إرلاينز • پاناجرا • الحكومة الفرنسية • ك.ل.م • ك.ن.ا.ل.م. • برتيش أوفرسيز ارويز

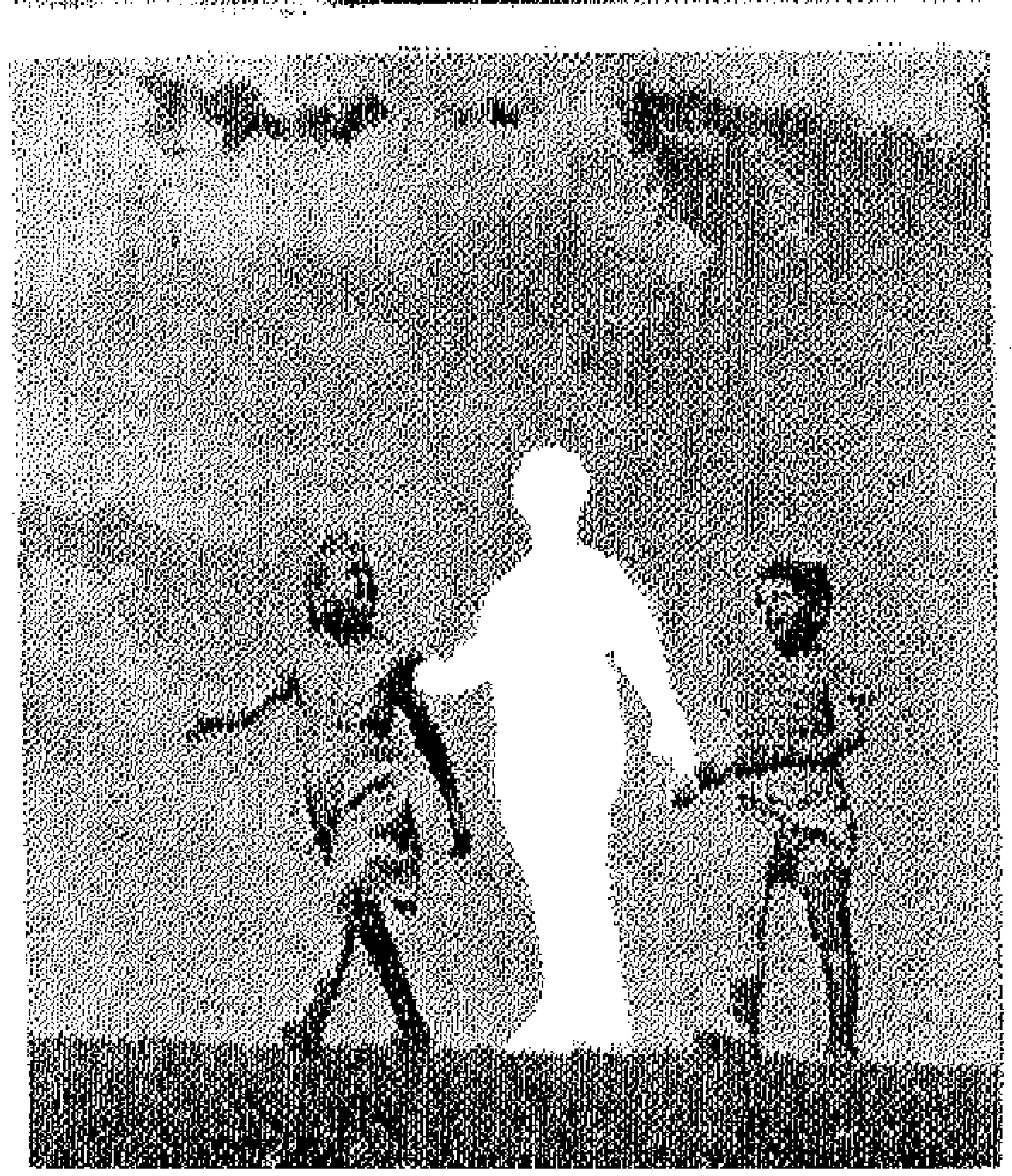
سرعة أكبر!
راحة أكبر!
أمان أكبر!

عندما تسافر طائراً . . . فى طائرة

CONSTELLATION

Lockheed Aircraft Corporation, Burbank, California




فقدوا ... لأنهم لم يروا

ويصاب كل يوم أناس يعيشون فى وسطك ، بسبب اعتلال البصر . وقد تكون مصاباً بضعف فى بصرك وأنت تجهل ذلك . وقد يكون نظرك صالحاً لبعض المهام ، وغير صالح لبعضها الآخر .

إن علم البصر الحديث قد أثبت هذه الحقائق ، فابتكر الأساليب العلمية لتصحيح جميع علل البصر تقريباً .

« إننى لم أر » ... ما أوهاه عذراً لما تجره على نفسك وعلى أسرتك من كرب أو هم !

لا تجازف ! إن فحص عينيك بوساطة خبير إخصائى هو وحده السبيل لإطلاعك على حالة نظرك الحقيقية .

استشر إخصائياً فى العيون . إنه يستطيع حمايتك — كما يستطيع مساعدتك على اجتناب العثرات — بمحافظته على سداد بصرك وقوته .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

شركة عدسات



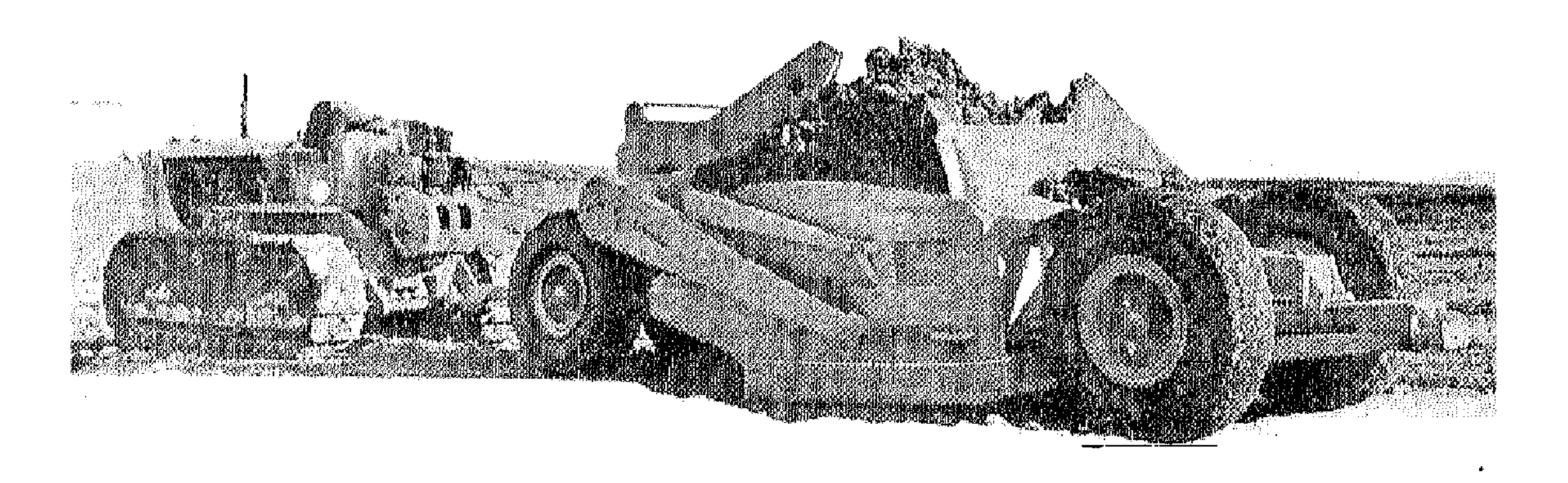
ESTABLISHED IN 1853

ROCHESTER, N.Y., U.S.A.



أوتو لايت
AUTO-LITE
تخدم سيارتك
سواء أكنت فى حاجة إلى استبدال شمعة من شموع الاحتراق فى سيارتك وحسب أم إلى ترميم الجهاز الكهربائى بأكمله ، فإنك تستطيع أن تثق من حصولك على الخدمة المضمونة إذا اعتمدت على أوتوليت .
إن مؤسسة أوتوليت أكبر المصانع المستقلة فى العالم لإنتاج معدات السيارات الكهربائية — شموع احتراق ، بطاريات ، أجهزة القيام والتوليد ، أسلاك — فلا عجب أن نجد أن أوتوليت هو الإسم الذى تدعمه القدرة الفنية الصحيحة .
ابحث إذن عن إسم أوتوليت على جميع أجهزة القيام والإضاءة والإشعال.
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.
AUTO-LITE
AUTO-LITE
أجهزة للقيام والإضاءة والإشعال

تقدم لك اليوم آلات كاملة لنقل الأتربة



إن **كاتربيلر** تصنع اليوم المسالف (ممهدات الطرق) ومعدات الجرف الخاصة بها — لتهيئ للمقاولين وأصحاب الصناعات ومصالح الحكومة معدات مثالية كاملة لنقل التراب .

وتمتاز هذه المعدات بمزايا آلية فريدة تتيح لك المزيد من المقدرة والاقتصاد في العمل . ولا غرو فهي من تصميم وإنتاج نفس الشركة التي تنتج الجرارات التي تحركها ، ويبيعها ويشرف على خدمتها هيئة واحدة للتوزيع وهي أكفأ الهيئات وأوسعها إنتشاراً وأدناها إلى خدمة زبائنها العالم كله .

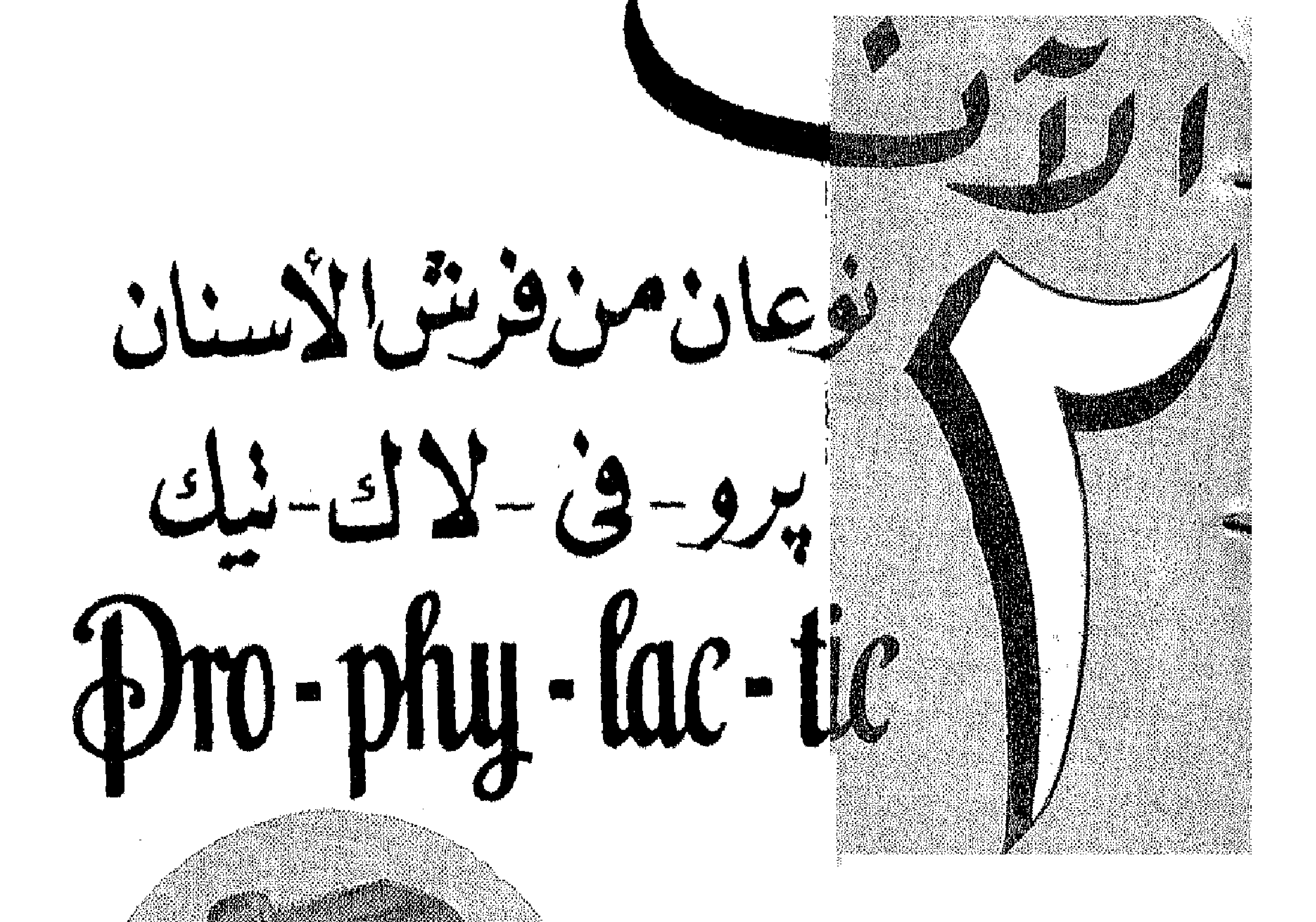
خابر وكيل « **كاتربيلر** » للحصول على جميع البيانات الخاصة بالوحدات الجديدة لنقل التراب .

CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب



فقد عادت الفرش ذات **الشعر الطبيعى**

وهناك أيضاً فرش

پرولون*

إذا شئت وفضلت

سواء كنت تفضل الشعر الطبيعى أو شعر پرولون فليس هناك إلا صنف Pro-phy-lac-tic واحد — هو أجود الأصناف على الإطلاق .

ويباع فقط فى العلبة الصفراء المشهورة .

* البرولون هو اجود أنواع النيلون

مازالت تنظف الأسنان منذ ٥٨ عاماً


لماذا يفضل المسافرون على الخطوط
الجوية العالمية قلم إيفرشارب!
خزانه السحرى المشهور يمنع تسرب الحبر ورشحه فى طبقات الجو العليا — وكذلك
الحال على اليابسة بالطبع ! إن الخزان السحري يجعل الحبر ينساب انسياباً ناعماً
على أي ارتفاع . . ومهما كانت حالة الطقس . وهذا يضع حداً لتلطخ الأصابع
واتساخ القلم . . . كما أنه تكتب عدداً أكبر من الكلمات بين ملئة وتعبئة !
أما ريشته السحرية فتكتب بنعومة يصح معها أن نطلق على «إيفر شارب»
لقب القلم الصامت .
وهناك قرينه قلم الرصاص « إيفر شارب » وزن الريشة وهو يمتاز
بزره السحرى ذى الطلقات. ويكفى ضغط بسيط بإبهامك على زره ليظهر
الرصاص تماماً على طريقة المدفع الرشاش !
إيفرشارب
طراز "سكاى لاينز"
متاح فى مختلف الألوان
خدمة القلمين مضمونة،
لا عدداً معيناً من السنين،
ولا مدى الحياة وحسب ،
بل هو ضمان للأبـــد !

أعاصير

حرائق

سرقات

طوفان

الراديو... يساعد على حماية الحياة والعقار

النيران تتاجج واللهيب يشق عنان السماء. ولكن هاهم رجال المطافئ قد شرعوا يكافحون النار ففى دقائق معدودة وبوساطة راديو الطوارىء استطاع كل من ضباط المطافىء الاتصال بالآخر كما استطاعوا أن يتصلوا بمحطة المطافئ والمراكز الرئيسية.

وفى بهمة الليل استطاع لص أن يظفر بما خف وزنه وغلا ثمنه من بيت أو مخزن وراح يتلمس سبيل الفرار مستعيناً بالظلام. ولكن هاهى ذى سيارة البوليس تصل بهدوء إلى مكان الجريمة وتضبط اللص متلبساً بجريمته!

نعم إن الراديو فى ميدان المنافع العامة يعد ضرورة حيوية لا سيما فى حالات الطوارىء المستعجلة مثل العواصف والزوابع والفيضان والحرائق وغيرها من الكوارث التى تعطل المواصلات التلفونية والتيار الكهربائى.

إن الراديو لا تقتصر مهمته على تنبيه السكان لإخلاء الأماكن المنكوبة بل يساعد أيضاً على توجيه المتطوعين والإسعاف وتنظيم الجهود للتغلب على النكبات العامة.

وهكذا يقوم راديو الطوارىء فى هذه الحالات وغيرها بمهمة حماية الحياة والعقار.

إن النجاح اليوم مزود بالراديو. وأيّا كانت البقعة التى تعمل فيها شركتك أو أحد فروعها فإن مؤسسة RCA تضع ثمار تجربتها الدولية الواسعة فى خدمتك، و RCA ترحب بكل فرصة لخدمة كل من يريد أن يستعين بالراديو وسائر معداته على التأهب لمستقبل أعظم وأمجد.

أكتب اليوم طالباً جميع البيانات عن معدات الاتصال اللاسلكى RCA

RCA INTERNATIONAL DIVISION



RADIO CORPORATION of AMERICA

745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العـــالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرق مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط . ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا ڤلڤا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيك ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة



جارجويل
موبيلويل
"اف"
خفيف الثقل
زهيدة الثمن
كثيرة الوفر
C.R.4954
موبيلويل
سوكوني فاكوم

يصل الورد غضًّا ناضرًا لأنه ينقل بالطائرة

هنالك فى طبقات الجو العليا ، بعيداً عن وسائل النقل المألوفة على الأرض ، تمد طرق التجارة الجديدة . وفى الطائرات الضخمة الحديثة التى ترتاد هذه الطرق ستنعم بالاستجمام الحقيقى فلم تعد ثمة حاجة إلى أن ترهق نشاطك فى رحلة طويلة متعبة . إن الطيران فيه السرعة ، وفيه النظافة ، وفيه الراحة . والرحلة التى كانت تدوم أياماً أصبحت تتم اليوم فى ساعات . ولا تنس أنك تصل مستريحاً منتعشاً ، أنيقاً حسن الهندام ، حين تسافر طائراً .

ترقب الطائرات الجبارة الحديثة التى تسيرها محركات سيكلون فقد باشرت خدمتها على خطوط العالم الجوية .

طائرات اليوم الجبارة تحركها القوة التى برهنت على جدارتها فى الحرب



إن أعظم خط جوى فى العالم كان ذلك السيل الذى لا ينقطع من القاذفات الذاهبة والآيبة تلقى قنابلها المدمرة على بلاد المحور . وهذا المجهود الرائع مضافاً إلى خبرة ٢٥ عاماً قد أقام الدليل على أن محركات سيكلون هى الجديرة بأن تؤدى السرعة والأمان لرحلات السلام .

Curtiss Wright

Export Sales Division

30 ROCKEFELLER PLAZA, NEW YORK 20, N. Y.

الكمال في كل صغيرة وكبيرة!

إطار چنرال

شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت
أكرون: أوهايو، الولايات المتحدة
[illegible]
مصانع في الولايات المتحدة، وكندا، والمكسيك،
وفنزويلا، وشيلي، والبرتغال

يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

The GENERAL TIRE

The General Tire & Rubber Co.
AKRON OHIO.



شفرات جيليت
GILLETTE BLADE
MADE IN ENGLAND

[illegible] أثبتنا شيئاً عظيماً في رحلاتنا التالية ، فقد

وأصبحت [illegible] مجلة [illegible] ريدرز دايجست . لم تكن مجلة كبيرة ،

ولا [illegible] يطورها العين . ولكن مطالعة عدد واحد منها

كانت [illegible] نعمة من نعم الله على الرائد المستكشف ، أو أي

امرئ [illegible] أن يطلع [illegible] بتيار العالم الزاخر بالأحداث .

في سبتمبر ١٩٣٦ [illegible] مع زوجتي [illegible] في الصين — في بيبنج .

وحين تكون هناك ، يتراءى لك أنك بعيد عن كل شيء ، وأن سائر

الناس لا يدخل في تقديرك واهتمامك . حيث ترى السكينة الصامتة على

الهياكل القديمة ، وعلى غابات الأرز التي يغمرها الضوء ، تنزل على نفسك

فلا يسعك إلا أن تتأمل وتحلم .

فلما عدنا إلى وطننا وجدت زوجتي ترتب على مائدة مكتبي مجموعة

من أعداد ريدرز دايجست التي صدرت حديثاً وقالت :

« سوف نظفر فيها بما فاتنا من خبر الأحداث الخليقة بالاهتمام » .

وأنا أكتب هذه الكلمات في مزرعة قصدناها لنصيب قسطاً

من الراحة والاستجمام بالفرار من ضوضاء الحياة . فالحيوان في الغاب ،

والطير على الأرض وفي الشجر ، والسمك في بركة الماء ، أعظم شأناً

في نظرنا الآن من الناس والسياسة والحفريات القديمة . وقد نتلقى صحيفة

في الحين بعد الحين — إذا اتفق لنا أن نذهب إلى البلدة التي تبعد عن

المزرعة سبعة أميال ، ولكننا لا نفعل ذلك إلا نادراً . وبين أيدينا

كتب جيدة ما زلنا نريد مطالعتها منذ زمن طويل ، ثم هذه ريدرز

دايجست بين أيدينا أيضاً ، فهي تطلعنا على كل خطير يحدث في كل

ناحية من نواحي الحياة — وهذا حسبنا !

أعظم اكتشاف تم لى

روى تشابمان آندروز

مدير متحف التاريخ الطبيعى الأمريكى ، ورائد صحراء غوبى فى آسية ، مؤلف "على آثار الإنسان القديم" و "عمل الرحالة"

حين كانت بعثة آسية الوسطى تشق طريقها فى مجاهل القفار فى صحراء غوبى بالصين ، كانت صلتنا بمصادر أنباء العالم مقطوعة ، فكأننا كنا قوماً يعيشون على سطح المريخ . لم نتلق رسائل ولا برقيات ولا صحفاً ، ومنعتنا حكومة الصين أن ننتفع بأجهزة الراديو ، فلم يكن بين أيدينا وسيلة تطلعنا على شىء مما يحدث فى شتى أقطار الأرض . وقد نشبت حرب ، ومات رئيس الولايات المتحدة ، ودمر الزلزال مدينتين عظيمتين خلال رحلتنا هذه — فلم نعرف شيئاً عن هذه الأحداث أو غيرها .

ويوم عدنا إلى مغانى الحضارة ، كان أول سؤال ابتدرنا به أصدقاؤنا : قولوا لنا ماذا حدث من أحداث ؟

ولكن الأنباء التى رووها لنا كانت أنباء الأسابيع القليلة القريبة وحسب ، أما الأنباء التى مضى عليها شهران أو ثلاثة أشهر فكانوا يهملون ذكرها ، ولو كانت أنباء أحداث تهز العالم ، فقد مضت إلى مكانها فى جوف التاريخ فلم يأبهوا لها .

وأنا لا أستطيع أن أنقب فى كوم من الصحف والمجلات التى مضى عليها أسابيع أو شهور ، ويندر بين الناس المعنيين بأعمالهم من يستطيع ذلك . فمضى علىّ زمن وأنا جاهل بما تمّ خلال غيبتى ، حتى تمكنت على الزمن أن ألمّ أشتات الأخبار عن أهم ما تمّ .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية